العلاقات الخارجية
لدولـــة اليعاربة في عُمـــــان
١٦٢٤-١٧٤٧

رسالة تقدمت بها الطالبـة

نغم طالب عبد الله النعيمي

الـــى

كلية الاداب – جامعة بغداد

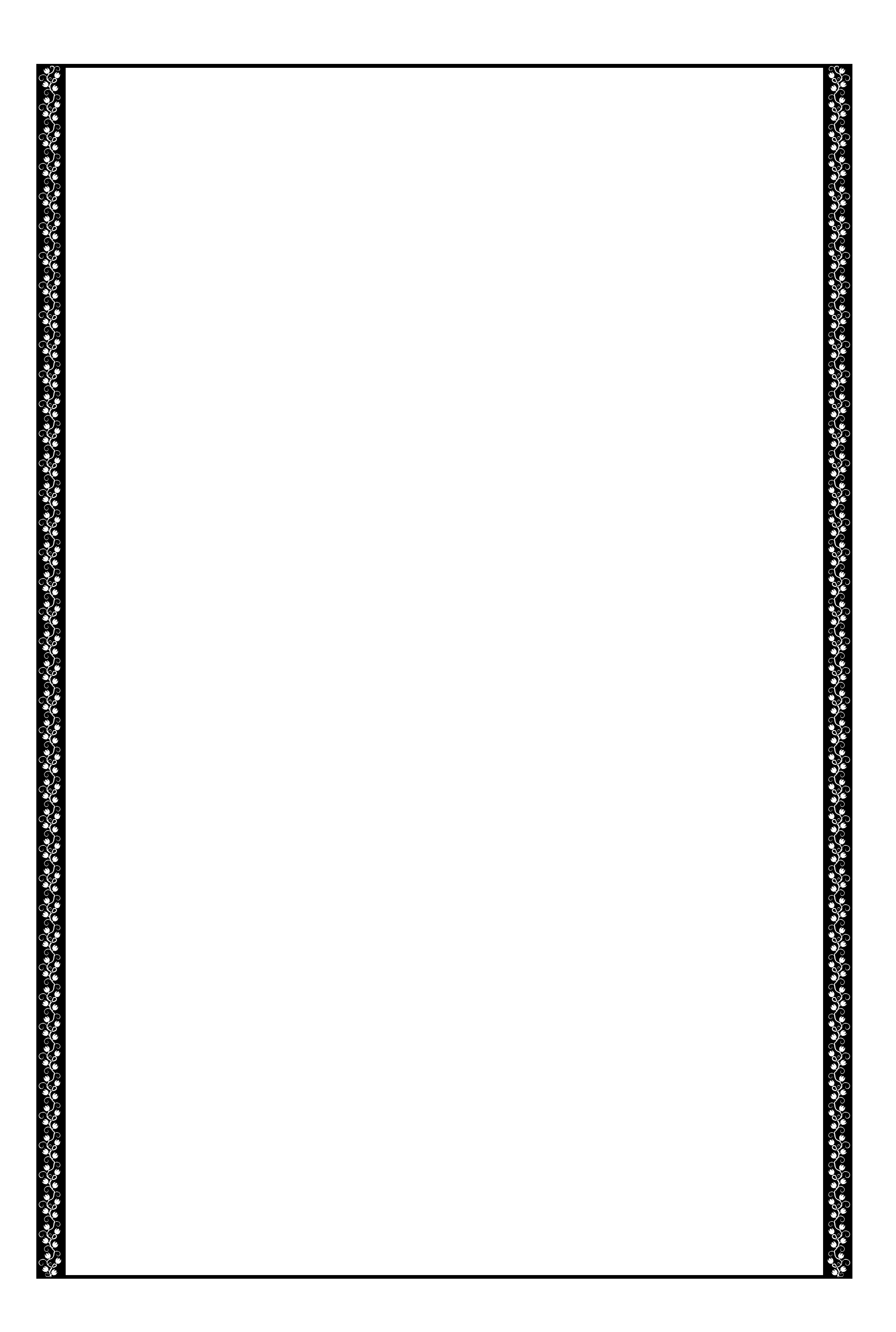
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث

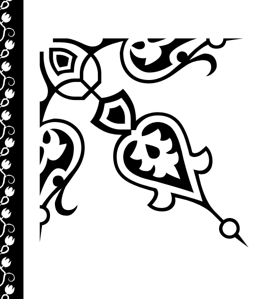
بإشراف

الاستاذ الدكتور

صالح محمد العابد

ربيع الاول ١٤٢٦هـ   نيسان ٢٠٠٥م






بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلَوْ أنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

صدق الله العظيم

سورة لقمان :الآية ٢٧




اقرار المشرف

اشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ(العلاقات الخارجية لدولة اليعاربة في عمان ١٦٢٤-١٧٤٧م) والتي قدمتها الطالبة (نغم طالب عبد الله النعيمي) قد تم تحت اشرافي في كلية الاداب / جامعة بغداد، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث .

التوقيع

الاستاذ الدكتور: صالح محمد العابد

المشرف

بناءً على التوصيات المتوفرة ، ارشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع

الاستاذ الدكتور: مرتضى حسن النقيب

رئيس قسم التاريخ

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن اعضاء لجنة المناقشة ، بأننا اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ(العلاقات الخارجية لدولة اليعاربة في عمان ١٦٢٤-١٧٤٧م) . وقد ناقشنا الطالبة (نغم طالب عبد الله النعيمي) في محتوياتها وفيما له علاقة بها، ونعتقد بأنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث بدرجة (   ).

رئيس اللجنة	عضواً ومشرفاً
الاسم : إبراهيم خلف العبيدي	**الاسم : صالح محمد العابد**
التوقيع :	**التوقيع:**

عضواً	عضواً
الاسم : غانم محمد رميض العجيلي	**الاسم : نذير جبار الهنداوي**
التوقيع :	**التوقيع:**

صُدقت من قبل مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد .

عميد كلية الآداب

التوقيع :

الإهـــــداء

الى من علم الانسان ما لم يعلم

الى من أوصاني ربي بهما خيرا
امي الحبيبة و ابي الغالــي
احســـاناً واجلالاً ووفـــاء

شكر وتقدير

بعد ان منّ الله تعالى عليّ باتمام الرسالة على هذا النحو ، ارى ان من الواجب ان اتوجه بخالص الامتنان والعرفان لاستاذي الكبير والفاضل الدكتور صالح محمد العابد الذي رشح لي هذا الموضوع للرسالة منذ البداية وتفضل بقبول الاشراف عليها وكان بحق اباً سموحاً احتضنني برحابة صدره وتواضعه الكبير وقدم لي عوناً وارشاداً ونصحاً كبيراً استطعت به انجاز رسالتي، اطال الله عمره وانعمه بوافر الصحة والعافية لك مني استاذي وابي العزيز فائق الامتنان والتقدير .

كما اتقدم بجزيل الشكر والتقدير والامتنان للدكتور المرحوم عصام شريف التكريتي للجهود القيمة التي بذلها خلال الاشراف على الرسالة وهي في طور الاعداد والبحث فقد عملت معه لسنةٍ من الزمن فكان خير معين ومرشد قدم لي الدعم والعون الكبيرين ، تغمده الله برحمته الواسعة .

اتوجه بجزيل الشكر الى رئيس واساتذة قسم التاريخ المحترمين في كلية الاداب جامعة بغداد ، والذين تتلمذت على يدهم وكان لهم الفضل الكبير في تبلور فلسفة التاريخ والبحث العلمي بالنسبة لدي سواءً في مرحلة البكلوريوس او في السنة التحضيرية وهم : الدكتور مرتضى النقيب والدكتور نافع العبود والدكتور صادق السوداني والدكتور هاشم التكريتي والدكتور نذير الهنداوي والدكتورة رجاء الخطاب والدكتورة صباح الشيخلي .

كما اتقدم بفائق الامتنان والشكر للدكتور غانم رميض العجيلي المحترم ، الذي احاطني بكرم اخلاقه وتعاونه وقدم لي عدداً كبيراً ومهماً من المصادر التي لولاها ما انجزت رسالتي واهمها Bathurst , The Ya’rubi Dynasty in Oman لك مني ومن والدي دكتور غانم جزيل الشكر والتقدير .

واسجل شكري الى الدكتور قيس الاوسي لجهوده في تقويم الرسالة لغوياً والى الدكتور محمود عبد الواحد القيسي الذي ساندني ومدّ ليّ يد العون خلال طبع الرسالة .

وشكري الجزيل للاستاذ الدكتور محمود علي الداود ، الذي قدم لي النصح والعون الكبيرين ، والى الدكتور جواد مطر الموسوي الذي زودني بمصادر عدة عن تأريخ اليمن الحديث .

كما اتوجه فائق التقدير والامتنان الى الاستاذ الدكتور علي ابا حسين المحترم مدير مركز الوثائق التأريخية في المنامة – مملكة البحرين ، والذي تواصل معي خلال كتابة الرسالة وزودني بعدد كبير ومهم من المصادر والدوريات التي افادتني كثيراً .

كما واشكر موظفي مكتبة Bodleian Library في Oxford University في المملكة المتحدة ، لما زودوني به من مصادر انكليزية .

واسجل شكري وامتناني الى موظفات وموظفي المكتبات الاتية : مكتبة قسم التاريخ وعلى الاخص الست أم حيدر ، ومكتبة كلية الاداب – جامعة بغداد ، ومكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب وبالاخص الست أم علي والست مائدة . والمكتبة المركزية الثانية – جامعة بغداد ، وايضاً مكتبة معهد القائد المؤسس (سابقاً) وبالاخص الست منال ومكتبة بيت الحكمة ومكتبة المتحف العراقي والمكتبة الوطنية ومكتبة الموسوعة العربية وبالاخص الست أم مصطفى كما واشكر موظفات مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي التابعة لوزارة الاعلام (سابقاً) ، وايضاً مكتبة معهد الخدمة الخارجية في وزارة الخارجية .

شكري الجزيل الى الصديقة العزيزة انيسة محمد المشهداني التي وفرت لي مصادر عدة اهمها كتاب (عمان في التاريخ) والذي افاد البحث كثيراً .

كما اشكر مكتب النور للترجمة وايضاً الاخوات زمن ولمى وولاء لقيامهم بترجمة النصوص الانكليزية والفرنسية وجزيل الشكر للدكتور حسين علوان حسين في قسم اللغة الانكليزية على جهوده في ترجمة خلاصة الرسالة .

كما اتقدم بخالص الشكر والتقدير الى مكتب السيد احمد الدباغ والسيد كرم فاخر البطاط والسيد نزار عبدالرحمن على جهودهم في انجاز هذه الرسالة .

كما اتوجه بكل الامتنان والتقدير الى خالي العزيز السيد ابراهيم احمد السلطاني الذي دعمني وساعدني كثيراً .

شكراً الى كل من قدم لي يد العون والمساندة ولو بكلمة

المحتويـــات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ–هـ
الفصل الاول : نشوء دولة اليعاربة	١ـ٢٦
موقع عمان واهميته	١
الامامة الاباضية اهم محرك لتأريخ عمان	١–٢
التفكك الداخلي والصراع بين الامامة والنبهانيين	٢–٤
الغزو البرتغالي لموانئ ساحل عمان	٤–٦
عمليات الغزو البرتغالي لموانئ الساحل	٦–٨
المقاومة العربية للغزو البرتغالي في الخليج العربي	٨–١٤
تدهور النفوذ البرتغالي في الخليج العربي	١٤–١٦
انتعاش الامامة وانتخاب ناصر بن مرشد اماماً وجهوده لتوحيد البلاد وتحرير الموانئ العمانية	١٦–٢٥
الامام سلطان بن سيف وانهاء الوجود البرتغالي في سواحل عمان	٢٥–٢٦
الفصل الثاني: العلاقات العمانية - البرتغالية واهم ميادين الصراع(١٦٥٠ـ١٧٣٠)	٢٧ـ٥٠
البحرية اليعربية واثرها في العلاقات الخارجية	٢٧–٣١
الصراع اليعربي – البرتغالي المسلح على الساحل الغربي للهند	٣١–٤٢
الصراع اليعربي – البرتغالي في شرق افريقيا	٤٣–٥٠
الفصل الثالث : العلاقات اليعربية مع القوى المحلية والاقليمية	٥١ـ٧٨
اولاً – العلاقة مع القوى المحلية (قبائل ساحل عمان)	
– العلاقة مع الجبور	٥١–٥٨
– العلاقة مع القواسم	٥٨–٦٢
– العلاقة مع بني ياس	٦٣–٦٧
ثانياً – العلاقة مع القوى الاقليمية	
– العلاقات اليعربية – الفارسية	٦٧–٧٣

– العلاقات اليعربية – اليمنية	٧٣-٧٨
الفصل الرابع العلاقات اليعربية مع القوى الاوربية الاخرى	٧٩-١١٦
العلاقات مع شركة الهند الشرقية الانكليزية	
– الانكليز في مياه الخليج العربي	٧٩-٨٠
– العلاقات اليعربية – الانكليزية	٨٠-٨٨
– موقف الانكليز من الحملات الفارسية على عمان	٨٨-٩٠
العلاقات مع شركة الهند الشرقية الهولندية	
–التغلغل الهولندي في الشرق وتطلعهم نحو الخليج العربي	٩٠-٩٢
–العلاقات الهولندية – اليعربية	٩٢-١٠٤
–موقف الهولنديين من الغزو الفارسي لعمان	١٠٤-١٠٦
–العلاقات مع شركة الهند الشرقية الفرنسية	
–شركة الهند الشرقية الفرنسية والخليج العربي	١٠٦-١٠٨
–العلاقات اليعربية – الفرنسية	١٠٨-١١٦
الخاتمة	١١٧-١١٨
الملاحق	١١٩-١٢٥
قائمة المصادر والمراجع	١٢٦-١٣٥
الخلاصة باللغة الانكليزية Abstract	1

المقدمـة

يكتسب موضوع العلاقات الخارجية لأية دولة أهمية خاصة ، فهو مؤشر مهم لمدى ما وصلت اليه تلك الدولة من تطور وازدهار ورقي سياسي واقتصادي واجتماعي . ولهذا فان موضوع "العلاقات الخارجية لدولة اليعاربة في عمان للمدة بين عامي ١٦٢٤ و ١٧٤٧" يُعدّ من الموضوعات البالغة الاهمية في تاريخ الخليج العربي عامة، وفي تاريخ عمان الحديث خاصة .

كثيرة هي الدراسات والبحوث التي تناولت دولة اليعاربة في عمان ، بدءا من قيام سلالتهم مطلع الربع الأول من القرن السابع عشر ، ومرورا بسلسلة الحروب التي خاضوها ضد البرتغاليين في عمان والخليج العربي والهند وشرق افريقيا ووصولا الى بوادر انحلالها منذ منذ قيام الحرب الأهلية في اواخر العقد الثاني من القرن الثامن عشر .

وعلى الرغم من تمييز عدد كبير من هذه الدراسات بالموضوعية في عرض أحداثها التاريخية الا انها لم تفصّل القول في عرض خصوصية كل علاقة اقامتها الدولة اليعربية مع غيرها من القوى المتواجدة في المنطقة والوافدة اليها ، فلم تعرضها عرضا واضحا ومتسلسلا، ولذا نجد التداخل يهيمن على عرضها طبيعة تلك العلاقات .

وقد حاولنا ان نسلط الضوء على كل علاقة من تلك العلاقات على حدة ، مستعرضين اهم احداثها وملامحها . ومن المعلوم ان دولة اليعاربة هي التي استطاعت توحيد عمان ، بعد فترة تقارب قرنين ونصف من الزمن عاشتها في ظل صراع داخلي ، اوهن كيانها مما سهل على الغزاة البرتغاليين من فرض سيطرتهم على أهم موانئها.

كما ان الفضل الكبير يعود الى ائمة اليعاربة الاوائل في طرد البرتغاليين من سواحل عمان والخليج العربي ، لا بل من قواعدهم في شرق افريقيا ، واصبحت دولتهم بهذا ، اقوى دولة بحرية محلية ، تفرض وجودها وهيمنتها على المنطقة ، في وقت شهد تنامي دور القوى الاوربية الاخرى الساعية الى احلال نفوذها محل النفوذ البرتغالي المنهار .

وهذا يدخل ضمن العلاقات الخارجية التي اقامها اليعاربة مع تلك القوى وتتباين خصوصية كل علاقة عن الاخرى، بدءا من العلاقات مع القوى المحلية، التي كانت بين مد وجزر، مرورا بالعلاقة مع القوى الاقليمية ، ولاسيما الفارسية ، التي سارت على وتيرة واحدة، وصولا الى العلاقات مع القوى الاوربية التي وفدت الى الخليج العربي طامعة في ثرواته وخيراته .

تميزت علاقات الدولة اليعربية الخارجية بالحيوية ، منذ قيامها سنة ١٦٢٤، بمبادرات اول ائمتها ناصر بن مرشد ، لكنها تبلورت ونضجت بعد ان تحولت مسقط من معقل برتغالي الى موقع

عماني خالص وفي عهد الامام سلطان بن سيف الاول الذي أرسى اسسا قوية لدولة ستظل تحكم البلاد لقرن وربع من الزمن ، شهدت خلالها العلاقات اليعربية تطورات مهمة وتحديات كبيرة .

قسمت الدراسة على مقدمة واربعة فصول ، وخاتمة تناول الفصل الاول ، اوضاع عمان عشية قيام دولة اليعاربة ، مستعرضا التمزق الداخلي ، والصراع بين الامامة والملوك النباهنة ، والغزو البرتغالي لموانئ البلاد الرئيسة ، الذي يعد مرحلة مخاض صعبة ، تلتها ولادة دولة ستحرر البلاد من الاحتلال البغيض ، كما بين جهود الامام ناصر بن مرشد في توحيد البلاد المقسمة جغرافيا وعشائريا ، وحروبه الاولى ضد البرتغاليين ،ثم جهود خليفته الامام سلطان بن سيف الاول في تحرير ما تبقى من موانئ الساحل ، ولاسيما مسقط ومطرح .

وكرس الفصل الثاني لبحث العلاقات العمانية البرتغالية ، وما شهدته من صراع مسلح تواصل منذ تحرير مسقط ، حتى اواخر عهد الدولة اليعربية ، في جبهات غرب الهند وشرق افريقيا ، كما بين التفوق الكبير الذي شهدته البحرية العمانية واثرها في العلاقات الخارجية .

وتناول الفصل الثالث سلسلة العلاقات التي اقامتها دولة اليعاربة مع القوى المحلية البارزة في المنطقة ، كالجبور والقواسم وبني ياس ، واثر كل منها في تعزيز او اضعاف كيان الدولة ، فضلا عن العلاقة مع ابرز قوة اقليمية اثرت في تاريخ عمان والخليج العربي ، وهي الدولة الصفوية ، وجهودها المتواصلة للتوسع في المنطقة وسعيها الى الاستعانة باية قوة اوربية لمساعدتها على حساب سكان الخليج العربي، كما تناول الفصل العلاقة بين ائمة اليعاربة وائمة اليمن الزيديين، وهي وان كانت غير ودية ، الا انها اشرت امتداد نفوذ اليعاربة الى اجزاء واسعة ومهمة في البحر الاحمر ، كما اشرت سطوة اسطولها الذي أصبح مهابا عند الجميع .

واستعرض الفصل الرابع طبيعة العلاقات التي اقامتها دولة اليعاربة مع القوى الاوربية الكبرى في منطقة الشرق ، بدءا من اقدم علاقة سُجلّت بين شركة الهند الشرقية الانكليزية وائمة عمان ، مرورا بشركة الهند الشرقية الهولندية ، وصولا الى الشركة الفرنسية .

اعتمدت الرسالة على مصادر ومراجع متنوعة توزعت بين مصادر اصيلة ، ابرزها كتاب (تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان) لمؤلفه نور الدين السالمي، بجزئيه الاول والثاني ، الذي يعد واحدا من المصادر الرئيسة والمهمة لفهم تاريخ عمان واحداثها حتى سنة ١٩١٤ .

والملاحظ على اسلوب السالمي اعتماده السرد التاريخي ، الذي امتزجت فيه الوقائع بتاريخ اصحابها او بتاريخ من عاصر الحدث .

اما كتاب ابن قيصر (سيرة الامام ناصر بن مرشد) ، فيعد من اهم المصادر العمانية واقدمها ، والذي اعتمد عليه لاحقا مؤلفون كثيرون ، مثل الازكوي وابن رزيق ، في مؤلفاتهم .

إلف الكتاب في القرن الحادي عشر للهجرة – السابع عشر للميلاد ، ويتضح من عنوانه انه ترجمة تاريخية لحياة الامام ناصر بن مرشد اليعربي ، وبيان لاهم احداث عمان ووقائعها في عهده مع البرتغاليين والقوى المحيلة .

لكن يؤخذ عليه عدم تطرقه الى الاحداث الخارجية التي اثرت في عمان وفي غيرها من الاقاليم ، التي لم تخضع للأباضية، لكن على الرغم من هذا يبقى الكتاب عالي القيمة .

ومن المصادر الاساسية لدراسة التاريخ العماني كتاب الازكوي (كشف الغمة الجامع لاخبار الامة) وتمتد احداثه حتى عام ١٧٢٨ ، وهي المدة التي رافقت احداث الحرب الاهلية التي هزت كيان الدولة وادت بنهايتها خلال العقدين التاليين ، امتاز الازكوي باسلوبه القصصي الشيق ، والذي لقي قبولا لدى الكثيرين ، وقد اغنت مادته جوانب كثيرة ومهمة من الرسالة .

ومن المصادر القيمة الاخرى ، مؤلفا ابن رزيق (الفتح المبين في سيرة السادة البو سعيديين) و (الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان) وقد جاء كتابه الاول استجابة لطلب السيد حمد بن سالم بن سلطان بن الامام احمد بن سعيد البو سعيدي ، لشرح نسب الامام احمد بن سعيد، وبيان سيرته ، وتاريخ مملكته ، واولاده ، وفضلا عن كون الكتاب المصدر الاول لتاريخ الاسرة البوسعيدية ، منذ وصولها الى الامامة حتى عام ١٨٥٦ ، فقد جاء توثيقا لتاريخ الائمة الاباضيين في عمان . واحتوى كتابه الثاني ، مجموعة قصائد شعرية نظمها ابن رزيق في شرح احداث التاريخ العماني ، بدءا من اول الائمة الاباضيين (الجلندي بن مسعود) ، وصولا الى الامام سلطان بن مرشد اليعربي ، ومن ثم انتقال ملك اليعاربة الى الامام احمد بن سعيد .

عاش ابن رزيق في القرن الثامن عشر للميلاد، وتوفي سنة ١٨٧٥، ولمؤلفيه اهمية كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها لدراسة تاريخ عمان .

ومن المراجع العربية الحديثة مؤلفا الدكتور صالح العابد:

(دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧-١٨٢٠) و (موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨-١٨١٠) ، اللذان يعدان من المصادر المهمة التي تناولت ، بالموضوعية تاريخ منطقة الخليج العربي وعمان ، ودور القوى الاوربية الكبرى فيها ، وتكاد الدراسات التاريخية الحديثة المتخصصة بتاريخ هذه المنطقة ، لا تخلو من الاستناد الى هذين المؤلفين لأهميتهما .

كما يعد كتاب (عمان في التاريخ) موسوعة قيمة ، تناولت تاريخ عمان بشيء من التفصيل ، اذ سلط الضوء عن تاريخها على مدى العصور التاريخية المختلفة ، وقام على تأليفه عدد كبير

، من المؤرخين والباحثين العرب والاجانب ، وتم اصداره سنة ١٩٩٥، وقد اعتمدت الرسالة على هذا الكتاب ، والذي غطى جوانب وتفاصيل مهمة من تاريخ علاقات عمان الخارجية .

ولابد من التنويه بكتاب سلوت ، (عرب الخليج ، ١٦٠٢-١٧٥٦في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية) ، الذي اعتمد في تأليفه، على وثائق وسجلات مقيميات شركة الهند الشرقية الهولندية ، وعلى عدد كبير من المصادر الاجنبية ، وقد ترجم هذا الكتاب الى العربية ، وقام المجمع الثقافي في ابو ظبي باصداره سنة ١٩٩٣.

تناول الكتاب احداثا كثيرة في تاريخ منطقة الخليج العربي للقرنين السابع عشر والثامن عشر ، وقد غطى جوانب مهمة وعديدة من الرسالة ، ابرزها طبيعة العلاقات اليعربية – الهولندية منذ قيامها وحتى سقوط دولة اليعاربة .

ومن المراجع الاجنبية القيمة ، اطروحة الدكتوراه لباثرست Bathurst المعنونة the Ya'rubi Dynasty in Oman ، التي قدمت الى كلية Linacre من جامعة اوكسفورد ، في اذار عام ١٩٦٧ ، التي تعد بحق اهم المصادر التي عالجت قيام دولة اليعاربة وعلاقاتها الخارجية مع القوى المحلية والاقليمية والاوربية .

اذا اعتمد مؤلفها على عدد كبير من الوثائق الانكليزية والمؤلفات الاجنبية الهامة ، فضلا عن المصادر المحلية العمانية ، فجاءت النتيجة دراسة تاريخية قيمة اغنت البحث في معظم جوانبه .

ويعد كتاب Danvers, Portugues in India بجزأيه من المصادر المهمة ، اذ ضم شرحا تفصيلياً لمراحل النشاط الاستعماري البرتغالي في الشرق ، لكن فيه تحيزا واضحا نتبينه من خلال الارقام التي يقدمها عن الخسائر التي لحقت بالبرتغاليين طوال المدة التي خاضوا فيها معارك قاسية ضد عرب عمان .

وعلى الرغم من هذا يبقى ، مؤلفا مهما لتتبع النشاط البرتغالي ، ليس من الناحية العسكرية فحسب، وانما من النواحي السياسية والاقتصادية ، وسلسلة العلاقات التي قامت بينهم وبين القوى الاستعمارية الاخرى ، التي نجحت في احلال نفوذها محل نفوذهم في الشرق .

كما واعتمدت الرسالة على سفر جون بروس John Bruce , The Annals of the Honorable East – India Company باجزائه الثلاثة، الذي احتوى سلسلة رسائل وتقارير، سلطت الضوء على نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية التجاري والسياسي في الهند وفارس وعلاقاتها مع القوى الاوربية الاخرى ، كالهولنديين ، والفرنسيين والبرتغاليين ، وكانت تلك الرسائل

قد تبودلت بين وكلاء الشركة ومقيميها في سورات ومخا وبندر عباس ومسؤولي الشركة في الهند ولندن . وقد وضحت كيف تعامل الانكليز مع القوة العمانية المتزايدة .

وافادت A chronicle of Carmelites in Persia الرسالة كثيراً ، وهي جزءان من حوليات ومدونات سجلها الاباء الكرمليون ، وهي بعثة دينية كاثوليكية في بلاد فارس ، وقد افادنا الجزء الاول في معرفة كيف تمكن العمانيون من تحرير مسقط وبقية الموانئ العمانية من السيطرة البرتغالية، وردود الفعل البرتغالية على خسارتهم مسقط ، فضلا عما عاناه البرتغاليون من ضربات على يد الانكليز والهولنديين .

كما يعد كتاب CL. Huart, Histoire des Arabes , tome II

باللغة الفرنسية ، من المصادر التي تناولت تاريخ عمان ، وجهود كل من الامام ناصر بن مرشد اليعربي ، وسلطان بن سيف ، لطرد البرتغاليين من الموانئ العمانية المهمة ، وتتبع الاحداث السياسية والاجتماعية للحرب الاهلية التي اندلعت فيها ، في القرن الثامن عشر ، وانقسام البلاد على كتلتين : هناوية وغافرية ، فضلا عن احداث الغزو الفارسي لعمان سنة ١٧٣٧.

ومن الكتب المهمة التي تناولت نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية في الهند والخليج العربي والبحر الاحمر ، كتاب Alexander Hamilton , Anew account of East Indies .

وقد اعتمدنا على جزئه الاول في توضيح العلاقة الانكليزية العمانية ، وما لازمها من حذر وسوء فهم في بعض الاحيان ، فضلا عما وردت فيه من اشارات عن حجم القوة البحرية العمانية ، التي اخذت تنمو وتتصاعد منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر .

واخيراً بعد ان بذلت قصارى جهدي لأقدم دراسة ترتقي الى المستوى اللائق ، آمل ان أكون قد وفقت في تحقيق اضافة جديدة لما سبق من دراسات جادة عنيت بتاريخ دولة اليعاربة ، والله من وراء القصد .

الفصل الاول
نشوء دولة اليعاربة

- موقع عمان وأهميته .
- الإمامة الاباضية اهم محرك لتاريخ عمان .
- التفكك الداخلي والصراع بين الإمامة والنبهانيين .
- الغزو البرتغالي لموانئ ساحل عمان .
- عمليات الغزو البرتغالي لموانئ الساحل.
- المقاومة العربية للغزو البرتغالي في الخليج العربي.
- تدهور النفوذ البرتغالي في الخليج العربي.
- انتعاش الإمامة وانتخاب ناصر بن مرشد إماما وجهوده لتوحيد البلاد وتحرير الموانئ العمانية.
- الإمام سلطان بن سيف وإنهاء الوجود البرتغالي في سواحل عمان.

موقع عمان وأهميته :

تقع عمان في اقصى جنوب شرقي الجزيرة العربية ، تحيطها البحار من جهات ثلاث : الجنوبية والشرقية والشمالية ، وتطوقها صحراء الربع الخالي من جهتها الغربية، وتمتد سلاسل جبال الحجاز موازية للساحل ، فتقسمها على قسمين : (الباطنة) وهي منطقة الساحل ، و(الظاهرة) وهي المنطقة الداخلية [١]. ولموقع عمان اهمية بالغة ، اثر بقوة في سير احداثها التاريخية وتحديد موقعها السياسي [٢]. فقد ادت موانئ الساحل العماني دورا كبيرا في تجارة المحيط الهندي (الهند- شرق افريقيا –البحر الاحمر) ، فموقعها على مدخل الخليج العربي جعلها الوسيط المفضل للتجارة بين الشرق والغرب ، فضلا عن تجارة الخليج نفسه [٣].

الامامة الاباضية اهم محرك لتاريخ عمان :

والى جانب الموقع ، كان انتشار الاباضية [٤]. في عمان محركا مهما لتاريخها و(الاباضية) فرقة معتدلة من فرق الخوارج تختلف عن الفرق الخارجية المتطرفة الاخرى في نواح عدة منها : انهم لا يعدون المسلم غير الخارجي (مشركا) لذا فهم يرفضون القتل لاسباب دينية ، فعرفوا بالتسامح [٥].

ومن الناحية السياسية فهم لا يعدون وجود الامامة امرا اساسيا لا مفر منه ، اذ يمكن الاستغناء عنها في حال قيام ظروف غير ملائمة ، وهو ما يسميه الاباضيون(الكتمان)[٦]. وفي هذه المرحلة ، عندما لا يقوى الاباضيون على اعلان الامامة او الافصاح عن ارائهم ومبادئهم ،

---

[١] لوريمر ، ج.ج. دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ج١ ، ترجمة : مكتب الترجمة بديوان امير قطر ، الدوحة، ص ٨٠-٨١ .

[٢] من تاريخ الخليج العربي ، سلسلة ثقافية عسكرية تشرف على اصدراها الكلية العسكرية ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص٧٦-٧٧ .

[٣] شوقي عبد القوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية ، الكويت ، ١٩٩٠ ، ص١٧٦-١٧٧ .

[٤] ترجع الاباضية باصولها الاولى للعراق زمن عبد الله بن اباض (١٢٧-١٣٢هـ) والذي اشتهر بخروجه على عبد الملك بن مروان الاموي، لكن الخروج الفعلي على شكل ثورة حدث زمن مروان الثاني، ينظر : عائشة السيار، دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقيا، ط١، دار القدس، بيروت، ١٩٧٥، ص١٠٦-١٢٧.

[٥] صالح العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ، ١٧٤٧-١٨٢٠ ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٧٦ ، ص٣٨؛ غانم رميض العجيلي ، قيام حكم سلالة اليعاربة وانهياره في عمان ١٦٢٤-١٧٤٩، رسالة ماجستير ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٧، ص٢٧ .

[٦] صالح العابد ، المصدر السابق ، ص٣٨ .

يقومون بالدعوة الى مذهبهم سرا ، لذا فان هذه المرحلة تمثل ادنى مراحل الضعف وبسببه تلجأ الدعوة الى (الكتمان) لبناء نفسها والاستعداد لمرحلة(الظهور)[٧]. ويعود تقرير امر الانتقال من مرحلة الكتمان الى مرحلة الظهور الى مشايخ القطر[٨].

ازدهرت الدعوة الاباضية في عُمان منذ منتصف القرن الثامن الميلادي ، وانتخب الجندي بن مسعود اول امام فيها حوالي عام(٧٤٩)أو (٧٥٠) ، وبدأ الاباضيون يحكمون وفق ما يسمونها (امامة الظهور) [٩]. وساد المذهب الاباضي لدى الازد اكبر قبائل عمان[١٠].

وطبقا للعقيدة الاباضية ، يتم اختيار الامام عن طريق اجتماع اهل الحل والعقد من العلماء والفقهاء وكبار الشيوخ ، حيث يجتمعون في جلسة تحاط بالسرية ، وبعد المداولة والتمحيص يعلنون اختيار من اجتمعت الاراء على اختياره [١١].

التفكك الداخلي والصراع بين الامامة والنبهانيين :

ظلت ممارسة انتخاب الامام تسير ، بلا انقطاع مدة اربعة قرون ، لتتوقف قرابة القرنين من الزمان ، سيطر أثناءها النبهانيون [١٢]. على السلطة ، ليواجهوا سلسلة من الثورات الاباضية التي اسفرت عن بعث الامامة من جديد بداية النصف الاول من القرن التاسع الهجري – النصف الاول

---

[٧] غانم العجيلي ، المصدر السابق ، ص٢٨ .

[٨]صالح العابد ، المصدر السابق ، ص٣٨ .

[٩]عندما يكون الاباضيون قادرون على قهر عدوهم، يصبح اعلان الامامة فرضاً واجباً ، وينتخب واحد منهم يعرف بـ(امام الظهور) او (امام البيعة) ، ينظر : غانم العجيلي ، قيام سلالة اليعاربة ، ص٢٨-٢٩، ويجب ان يكون المرشح للامامة فقيهاً تقياً ، يعرف بعد الانتخاب بـ(الامام العالم) ، ولكن في حالات طارئة ، حين تكون البلاد معرضة للخطر الجسيم ، يرجع الى الذين يتمتعون بمؤهلات عسكرية ومقدرة قيادية واضحة ، ويسمى في هذه الحالة (امام الشراة) ، أي : التضحية ، يفسره قولهم "شرينانفسنا لدين الله، فنحن الشراة" أي: بيع الدنيا لقاء اجر الاخرة ، او شراء الاخرة بالدنيا ، ولهذا فان المنتخب ملزم بالمثابرة والجهاد الديني والسياسي حتى الموت . ينظر : دينا محمد الادهمي ، الاوضاع السياسية في الخليج العربي في ظل التسلط البرتغالي ١٥١٥-١٦٥٠، رسالة ماجستير ، كلية الاداب – بغداد ، ٢٠٠٢، ص١٠١ .

[١٠] غانم العجيلي ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

[١١]مصطفى عقيل الخطيب ، التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢-١٧٦٣، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص١١٠

[١٢]ينتمي بنو نبهان الى قبيلة العتيك العربية الازدية العمانية العريقة ، التي ينتمي لفروعها المهلب بن ابي صفرة القائد العماني الذي قضى على غلو ابن الازرق ، ينظر : وزارة الاعلام – سلطنة عمان ، عمان في التاريخ ، لندن ، دار اميل للنشر ، ١٩٩٥، ص١٦٦.

من القرن الخامس عشر الميلادي [١٣]. لذا فان عهد بني نبهان يمثل مرحلة في تاريخ عمان احتجبت فيها الامامة ، ويميل المؤرخون الى استخدام كلمة (ملوك) لوصف حكام الدولة النبهانية ، ليثبتوا انفصال نظامها عن الزعامة الروحية التي تمثلها الامامة لدى الاباضيين الذين هم غالبية سكان عمان[١٤]، تعاقب حكم النبهانيين على البلاد لمدة تقارب خمسة قرون ، ومر بمرحلتين ، عرفت الاولى بعهد النباهنة الاوائل واستمرت اربعمائة سنة ، وعرفت الثانية بعهد النباهنة المتأخرين وعانت عمان خلالها مصاعب مختلفة ، اوهنت البلاد ، وادخلتها في حالة من الانقسام والفوضى العارمة[١٥]، واستنادا الى وصف المؤرخين العمانيين فانها مرحلة مظلمة من تاريخ بلدهم ، عانى العلماء فيها من اضطهاد مخيف ، فاحرقت الكتب ، وضيق على النشاطات الدينية والتربوية ، وتعرض العمانيون لانواع مختلفة من القمع ، وصودرت الممتلكات والاراضي ، مما أرغم بعض القبائل على الانتقال الى داخل البلاد ، او الهرب منها [١٦]، وانغمس ملوك بني نبهان المتأخرين في حياة الترف والبذخ والملذات ، وتركوا امور البلاد تغرق في فوضى داخلية ادت الى تدهور خطير .

مثل النبهانيون نظاما سياسيا دنيويا ، وهو اسلوب يتناقضُ مع التقاليد الاباضية القائمة على اختيار الائمة الذين اتصفوا بالزهد والتقشف [١٧]، وعدم احتكار أي قبيلة او اسرة الحكم لنفسها بالوراثة [١٨]، اذ اتخذ النبهانيون اسلوب الوراثة الملكي الذي واجه معارضة العُمانيين[١٩]، وابرز تحدٍ واجهته عمان في عهدهم ، هو افتقارها الى حكومة مركزية قوية تستطيعُ فرض وجودها على البلاد[٢٠]، وفي اوائل القرن الخامس عشر الميلادي اشتدت المعارضة لسلطة النبهانيين ، وحققت نجاحا واضحا ، تمثل بانتخاب الحواري بن مالك (١٤٠٦–١٤٣٥) اماما في

---

[١٣] جمال زكريا قاسم ، الاصول التاريخية لقضية عمان ، المجلة التاريخية المصرية ، م١٢ ، ١٩٦٤–١٩٦٥، ص١٦٨–١٦٩.

[١٤] عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص٤٥ .

[١٥] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص١٦٥ .

[١٦] حسين عبيد غباش ، عمان الديمقراطية الاسلامية ، ترجمة : انطوان حمصي ، ط١ ، بيروت ، دار الجديد ، ١٩٩٧ ، ص٨٩ .

[١٧] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص١٧٧ .

[١٨] غانم العجيلي ،المصدر السابق ، ص٢٩ .

[١٩] مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ، ص٤٠ .

[٢٠] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص١٧٧ .

نزوى [٢١] وعلى الرغم من عجز الامام الجديد عن بسط سيطرته على ارجاء عمان ، والاطاحة بحكم النبهانيين ، الذين تركز وجودهم في عاصمتهم بهلا [٢٢]، كان عهده استهلالا بشر بقرب عودة الشرعية ، اذ تحقق بعض الاستقرار لاجزاء مهمة من مناطق الظاهرة ، وفي عهد الامام محمد بن اسماعيل (١٥٠٠-١٥٣٥) ، انكمشت سلطة النبهانيين ، لتقتصر على بهلا والرستاق [٢٣]، بعد ان تمكن ملك هرمز[٢٤] من بسط هيمنته على ساحل الباطنة، التي مارسها عن طريق تابعين له ، اتخذوا مراكز لهم في قلهات [٢٥]، ومسقط [٢٦]،[٢٧] .

الغزو البرتغالي لموانئ ساحل عمان :

كان نجاح البرتغاليين في غزو بحار الشرق ، تتويجاً لمحاولات عدة قام بها المستكشفون للبحث عن طريق بحري مباشر الى الهند والشرق الاقصى ، وذلك بالدوران حول افريقيا ، ثم الابحار شرقاً عبر المحيط الهندي ، ليكون بديلا للطرق التجارية التقليدية القديمة ، التي تربط اسيا باوربا عن طريق البحر المتوسط ، الذي بات مهددا بالخطر نتيجة تعاظم النفوذ

---

[٢١](نزوى) : مدينة مهمة من مدن عمان ، يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر نحو (١٩٠٠) قدم ، انظر : ابو سليمان المعولي ، قصص واخبار جرت في عمان ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، ط٢ ، سلطنة عمان ، ١٩٨٣، ص٥٠ .

[٢٢](بهلا) : احدى مدن المنطقة الداخلية ، تقع غرب نزوى ، وهي مشهورة بصناعة الفخار ، انظر : المعولي ، المصدر السابق ، ص٥١ .

[٢٣] (الرستاق) : مدينة قديمة ، يعود تاريخها الى ما قبل الاسلام ، وبها قلعة مشهورة تقع في منطقة الحجر الغربي . المعولي ، المصدر السابق ، ص٩١ .

[٢٤] برزت دولة هرمز كأهم منطقة لتجميع السلع التجارية أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، وظلت خاضعة لعدة سنوات للاسر التي كانت تحكم في كرمان الفارسية ، الا انها استغلت الاضطرابات التي اعقبت الغزو المغولي الفارسي ، واخذت باتباع سياسة اكثر استقلالية ، وسرعان ما مدّ حكامها سيطرتهم على قلهات وغيرها من مدن ساحل عمان ، ويمكن تحديد المدة ما بين عامي ، ١٢٧٠ و١٥٠٧ ، مرحلة خضوع ساحل عمان لهرمز للتفاصيل ينظر: روبرت جيران لاندن ، عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا ، تر : محمد امين عبد الله، ١٩٧٠ ، ص٢٢-٤٩ .

[٢٥] قلهات مدينة تقع عن الساحل الشرقي بين صور وسيوى او طيوى .

[٢٦]مسقط ويطلق عليها اسم الكوت المعولي ،المصدر السابق ، ص٢٢ و ١٤٤ .

[٢٧]حسين غباش ، المصدر السابق ، ص٨٩-٩٠ .

العثماني [٢٨]، ففي اعقاب رحلة فاسكودي كاما، الشهيرة ما بين عامي (١٤٩٧-١٤٩٨) تركزت المحاولات الاولى للغزو البرتغالي في اخضاع موانئ شرق افريقيا ، وايجاد قاعدة قوية على الساحل الغربي للهند [٢٩]، لقد حمل البرتغاليون ، عندما جاؤوا الى المنطقة ، الروح الصليبية ضد المسلمين ، ومع النزعة الدينية حملوا اطماعهم الاقتصادية والاستعمارية التوسعية ، وكان ذلك واضحا من خلال حروبهم مع المسلمين في الهند والخليج العربي وشرق افريقيا ، وكان اسلوبهم المتبع هو اسلوب الارهاب والتدمير لمن لا يخضع لسيطرتهم [٣٠].

لقد شهد العقد الاول من القرن السادس عشر، اقامة البرتغاليين رؤوس جسور لهم في سواحل الهند الغربية ، وانشاء ادارة يرأسها نائب الملك [٣١] في كوا (Goa) ، التي اصبحت منذ ١٥٠٩ قاعدتهم الرئيسة، واندفعوا منها اكثر نحو الشرق ، ليؤسسوا ، للمائة سنة القادمة ، احتكاراً لتجارة التوابل مع اوربا ، قائما على اكبر محطة تجارية أسسوها في ملقا [٣٢]، وبعدها وضع البرتغاليون حلمهم بتدمير دور العرب التجاري موضع التنفيذ ، فكانت الحملة البرتغالية الكبرى عام ١٥٠٧ لاحتلال موانئ الخليج العربي ، واخضاعها المباشر لسيطرتهم ، ترجمة لذلك الهدف .

وقد مهدت الظروف الداخلية في عمان الطريق للغزو البرتغالي مطلع القرن السادس عشر ، بسب حالة الانقسام والفوضى التي عجز معها الحكام عن صد الغزو الذي تعرضت له سواحلهم . وكان لغياب الامامة الاباضية ، في هذه المرحلة ، دور اسهم في بدء حقبة انطواء وانحدار

---

[٢٨]مديحة درويش ، سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر ، والتاسع عشر ،ط١ جدة ، ١٩٨٢، ص٢٥. والمزيد من التفاصيل عن الجهود الاوربية والبرتغالية في هذا المضمار ينظر:

Serjeant . R.B., The Portuguese of the south Arabian coast Hadrami chronicles with Yamani and Europeanes accounts of Dutch pirates of Mocha in the seventeenth century, Oxford , 1963, p.4-7; Marlowe , J. The ……. Gulf in the twentieth century, London , 1962, p.3; Garrat .G. T. Indo British civilization the legacy of India , Oxford, 3rd ed, 1957 , p.395.

[٢٩]صالح العابد ، تحرير ساحل عمان من الهيمنة البرتغالية ، مجلة آفاق ، بغداد ، اذار ، ١٩٨٥ ، ص٣٩ .

[٣٠]محمد حسن العيدروس ، دولة الامارات العربية المتحدة من الاستعمار الاستقلال ، ط١ ، الكويت ، ١٩٨٩، ص٢١ .

[٣١] اصبح فرانسسكودالميدا اول من شغل منصب نائب الملك في الهند للمدة ما بين عامي ١٥٠٥-١٥٠٩ ، وقد اتخذ من كوشين مقراً له ، وبهذا غدت البرتغال اول حكومة استعمارية اوربية انشئت في الشرق ، لمزيد من التفاصيل ينظر : نايف الاحبابي ، الموقف العربي والاقليمي من الهيمنة البرتغالية في الخليج العربي ١٥٠٧-١٦٥٠، رسالة ماجستير بغداد ، ١٩٨٨ ، ص٣٨ .

[٣٢]صالح العابد ، دور القواسم ، ص٢١ .

سياسي واقتصادي ، طويلة عاشتها البلاد [٣٣]، فعند وصول البرتغاليين كانت خريطة عمان السياسية مقسمة على عدة مناطق متميزة ، ففي الظاهرة حكم فلاح بن محسن واولاده ، الذين تمكن احدهم ، وهو مخزوم ، من الاستيلاء على ينقل، واستطاع الاخر ، وهو نبهان ، من الاستيلاء على مقنيات . اما سمايل فكانت تحت ادارة عمير بن حمير النبهاني فضلا عن مدينة بهلا ، وحكم محمد بن مهنا الهديفي على صحار ، ومدّ محمد بن بركات سيطرته على بعض اجزاء المنطقة الداخلية [٣٤] .

عمليات الغزو البرتغالي لموانئ الساحل :-

أسندت قيادة الحملة البرتغالية الى القائد الفونسو البوكيرك Albuquerque [٣٥]، الذي قرر اخضاع اهم موانئ الساحل ، صور ومسقط وقلهات وصحار ، تمهيدا لاحتلال هرمز ، فتحرك اسطوله لاحتلال سوقطرة [٣٦]، بهدف اغلاق البحر الاحمر ، وقد نجح البرتغاليون بعد قتال شديد مع اهالي الجزيرة ، من احتلالها وكان هذا بداية لدخول البرتغاليين منطقة الخليج العربي[٣٧]، اذ سرعان ما اكتشف البوكيرك ان سوقطرة لا تمثل مفتاح البحر الاحمر ، وان اغلاق البحر الاحمر لا يكون منها ، وانما من عدن ، لكنه ادرك ايضا ان قوة اسطوله لا تسمح له بالاستيلاء على قلعة عدن الحصينة[٣٨]، لذا قرر ان يبحر من سوقطرة الى شرقي شبه الجزيرة العربية ، باسطوله المكون من سبع سفن ، ماراً بجزر كوريا موريا ، ورساعند جزيرة مصيرة [٣٩]، ودخل في المياه العمانية ، واستهل عملياته الحربية بمهاجمة راس الحد ، فدمرت مدافعه اكثر من ثلاثين سفينة كانت راسية في الميناء تحرك بعدها الى ميناء قلهات ، وكانت هذه اول مرة تظهر فيها سفن

---

[٣٣] حسين غباش ، المصدر السابق ، ص٨٧ .

[٣٤] للتفاصيل انظر : عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص١٧٦-٢٠١ .

[٣٥] ولد بالهندرة ، قرب لشبونة ، وتربى في بلاط الملك الفونس الخامس ، وفي سنة ١٥٠٣ كانت اولى غزواته للهند بثلاث بوارج حربية–فاستولى على كوا ، واجتاح ساحل المليبار ، واحتل مدينة ملقا مفتاح الهند الصينية – ودمر عدن بالمدافع مرتين للتفاصيل ينظر : ستيوارد لوثرب ، حاضر العالم الاسلامي ، ج٢ ، نقلة للعربية ، عجاج نويهص ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ ، ص٣٥٧ .

[٣٦] سوقطرة : جزيرة جبلية وعرة ، تقع بالقرب من الساحل الجنوبي للجزيرة العربية ، الى الشرق من عدن وهي قليلة السكان .

[٣٧] نايف الاحبابي ، المصدر السابق ، ص٣٩ .

[٣٨] المصدر نفسه ، ص٤٠ .

[٣٩] مصيره : جزيرة تقع على مسافة عشرة اميال من الساحل العماني ، وهي اكبر جزر عمان ، يبلغ طولها اربعين ميلاً ، ينظر : نايف الاحبابي ، المصدر السابق ، ص٤١ .

حربية اوربية في خليج عمان ، منذ ايام الاسكندر ، قبل ثمانية عشر قرنا تقريبا ، واستسلم سكانها بعد مقاومة يائسة [٤٠]، بعد قلهات توجه البوكيرك الى قريات، فاستولى عليها، واحرق حوالي (اربعين) من السفن والقوارب الراسية في الميناء . واتجه بعد ذلك الى مسقط ، التي صمد اهلها امام البرتغاليين ، الذين لم يلبثوا ان اقتحموا المدينة، رغم ما ابداه العمانيون من بسالة في الدفاع عنها فاستبيحت المدينة ، ومورست بحق سكانها ابشع عمليات الذبح والتقتيل والاعتداء على الحرمات ، وفرض على سكانها غرامة مالية كبيرة ، ولما عجزوا عن دفعها أمر البوكيرك باشعال النيران في المدينة بما في ذلك مسجدها وسفنها الراسية في الميناء ، كما أمر بجدع انوف الاسرى من النساء والرجال وصلم اذانهم . توجه بعدها البوكيرك نحو صحار، التي استسلمت له دون مقاومة ثم هاجم خورفكان حيث واجه البوكيرك مقاومة باسلة لم تفلح في صد الغزاة ، بسبب التفاوت الهائل في السلاح ، فانزل البرتغاليون اشد انواع العقاب باهلها [٤١] .

بعد الدمار الذي انزله البرتغاليون بالموانئ العمانية ، ابحر البوكيرك قاصداً هرمز[٤٢]، التي رفض ملكها الفتي سيف الدين ، ووصيهُ الشيخ خوجه عطار ، الاستسلام ، فبدأ البرتغاليون ، باطلاق مدافعهم ، وحدثت معركة كبرى استبسل فيها اهالي الجزيرة ، قبل ان يتمكن البوكيرك من هزيمتهم ، وفرض شروط للاستسلام ، ابرزها دفع ضريبة سنوية قدرها خمسة عشر الف دينار اشرفي ذهباً خضوعا لملك البرتغال ، وبناء قلعة على الجزيرة [٤٣]، فضلا عن التعهد باعفاء البضائع البرتغالية من الرسوم الكمركية [٤٤].

---

[٤٠] س.ب.مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله ، ترجمة : محمد امين عبد الله ، سلطنة عمان ، ١٩٨٢، ص١٥١-١٥٢.

[٤١] بدر الدين الخصوصي ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، ج١ ، ط٢ ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص١٦ .

[٤٢] كانت هرمز ذات ثراء واسع ، بما تأخذه من الضرائب والاتاوات من المناطق المجاورة ، كما كانت تفرض ضرائب على السفن والقوارب البحرية التي تعمل في صيد اللؤلؤ – ينظر : عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا دراسة وثائقية ، الرياض ، ١٩٨٢ ، ص٣٠ .

[٤٣] نوال حمزة الصيرفي ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري – السادس عشر الميلادي ، الرياض ، ١٩٨٣ ، ص١٢٥-١٢٦ .

بنى البرتغاليون قلعة صغيرة في مورنة Morna على الجزيرة ، وضعوا اساسها في تشرين الاول عام ١٥٠٧ . ينظر : عبد العزيز ابراهيم ، المصدر السابق ، ص٣٠ .

[٤٤] عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

وتشير المصادر الى ان البوكيرك ظل مقيماً في هرمز لاكثر من عام ، ثم غادرها في تشرين الثاني عام ١٥٠٨ متوجها الى الهند [٤٥]، اثر التمرد الذي قام به ضباط وبحارة اسطوله ، مطالبين بالاموال ، بدلا من القيام بمغامرات بحرية غير مجدية [٤٦] لكن البوكيرك سرعان ما عاد الى هرمز سنة ١٥١٥على راس اسطول قوي ، لاعادة السيطرة البرتغالية على الجزيرة ، كما استولى على جزيرة قشم ، وعلى جزء من الساحل الى الشمال والشمال الغربي من هرمز، وذلك من اجل تقوية مركزه في الخليج ، ولتأمين التموين لقواته في القاعدة البرتغالية ، من مياه الشرب والمواد الغذائية [٤٧]، ولم يكتف البرتغاليون بالاستيلاء على هرمز والمدن الاخرى التابعة لها ، بل وجهوا نشاطهم العسكري الى بقية مناطق الخليج العربي الاخرى، فاحتلوا البحرين سنة ١٥٢١ [٤٨] .

المقاومة العربية للغزو البرتغالي في الخليج العربي :-

جعل البرتغاليون انفسهم ، لمدة تزيد على القرن ، سادة الموانئ الرئيسة على جانبي الخليج العربي ، فكانت هرمز على الجانب الشرقي ، ومسقط والبحرين على الجانب الغربي ، قواعد ارتكازهم الاساسية ، واستخدموا مركزهم قدر الامكان لمنع اية سفينة اجنبية اخرى كانت تحاول التجارة فيه ، واصبحت سفن البرتغاليين تسيطر على مياهه ، واصبح حكامهم ينظمون تجارته باجازات يمنحونها ، لذا كان من المتعذر على أي من القوى المحلية تحدي قوة البرتغاليين البحرية خلال تلك المرحلة [٤٩]، ولكن العمانيين لم يستسلموا للاحتلال ، فقد اندلعت سلسلة من حركات المقاومة في مناطق الساحل ، ابتدأتها قلهات سنة ١٥١٩ ، بزعامة شهاب الدين، وسرعان ما اصدر القائد البرتغالي في هرمز دوم كارسيا Dom Garcia اوامره بالتحرك نحو قلهات لاخماد الانتفاضة فيها ، ونتيجة لمناعة قلهات واستبسال سكانها ، اضطر البرتغاليون الى طلب نجدات اضافية، تصدى لها السكان العرب في الميناء ، والحقوا بعدوهم خسائر عديدة ، ولمواجهة هذا التحدي الخطير ، سارع نائب الملك بالتوجه نحو ميناء مسقط ، على راس اسطول مؤلف من

---

[٤٥] بدر الدين الخصوصي ، المصدر السابق ، ص١٧ .

[٤٦] عبد العزيز محمد عوض ، الغزو البرتغالي لموانئ الجزيرة العربية ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٩ ، السنة ١٢ ، بغداد ، ص١٨ .

[٤٧] صالح العابد ، دور القواسم ، ص٢٣ .

[٤٨] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٣٧٤ .

[٤٩] صالح العابد ، دور القواسم ، ص٢٣ .

ثلاث وعشرين سفينة ، للقضاء على الانتفاضة ، وتمكن من ذلك، بعد ان وعد سكانها برفع الظلم عنهم .

وعلى الرغم من فشل انتفاضة قلهات الا انها شجعت العرب على القيام بثورات اكثر تنظيماً واتساعا [٥٠]، ففي عام ١٥٢١ اندلعت ثورة في هرمز ضد البرتغاليين ، امتدت الى الساحل الغربي والبحرين ، بسبب تعسف البرتغاليين وتعيين موظفين برتغاليين في تلك الموانئ بدل العرب [٥١]، وبخطة محكمة اعدّها حاكم هرمز ، تمكن من تشتيت القوة البرتغالية المتواجدة في هرمز ، اذ طلب من قائد الاسطول البرتغالي ارسال بعض قطعه البحرية لمواجهة اعمال القرصنة في بعض مناطق الساحل العمانية ، وبهذه الخدعة تحرك نصف الاسطول المرابط في هرمز ، وتمكن المهاجمون من الاستيلاء على سفينتين برتغاليتين كانتا على الساحل والقضاء على القوة البرتغالية المتبقية في المدينة [٥٢]، واللافت للنظر في ثورة هرمز عام ١٥٢١ وبقية موانئ الساحل العماني ، التنسيق المنظم بين العرب هناك ، وبين عرب الاحساء والقطيف، فقد امتنع الشيخ مقرن بن زامل امير الجبور[٥٣] ، عن دفع الجزية السنوية للبرتغاليين، وعندما طالب البرتغاليون امير هرمز بها ، رفض دفعها بحجة تبعية البحرين ، والقطيف لامير الاحساء ، لذلك انفصلت عنه ، ثم بدا الامير مقرن بالتعرض للسفن البرتغالية التي تبحر بين هرمز والبصرة، بواسطة عدد من المراكب غير الشراعية .

وللقضاء على تهديد امير الاحساء والبحرين والقطيف ، اعد البرتغاليون حملة بحرية ، مؤلفة من سبع سفن واربعمائة محارب ، نجحت في احتلال البحرين، بعد مقتل اميرها مقرن بن زامل ، ووضع البرتغاليون حامية في قلعتها بعد ترميم ما تهدم منها [٥٤] .

---

[٥٠] نايف الاحبابي ، المصدر السابق ، ص١٠٩-١١٠ .

[٥١]عبد العزيز ابراهيم ، المصدر السابق ، ص٣٣ .

[٥٢]س. ب. مايلز ، المصدر السابق ، ١٦٥-١٦٦ .

[٥٣]الجبور : تعود في اصولها الى قبيلة (زبيد) التي سكنت اليمن ، ثم غادرتها الى نجد ثم الى الاحساء ، حيث انشاوا لهم دولة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين وبعد جفاف المنطقة وتزايد الصراع بينهم وبين بني تميم هاجروا شمالا نحو تيماء ، بينما توجه قسم اخر منهم الى شواطئ الخليج العربي وعمان وجنوب العراق واتخذت قبيلة الجبور اسمها من جدها (جبر) وهو جدّ (العبيد) و(العزة) .

ينظر : عبد عون الروضان ، موسوعة القبائل العربية انسابها وقائعها مآثرها شعراءها ، ج١ ، ٢٠٠٠م ، عمّان ، ص١٧٤ .

[٥٤] نايف الاحبابي ، المصدر السابق ، ص١١٢-١١٣ .

ولمواجهة ثورة هرمز ، وصلت تعزيزات برتغالية جديدة الى قلهات مكونة من ثماني سفن، للانتقام من العرب الثائرين فيها ، واستطاع الاسطول هزيمة الثوار في منطقة (الوادي الكبير) وخضعت قلهات مرة اخرى للسيطرة البرتغالية [٥٥]، ثم توجه الاسطول البرتغالي الى صحار ودمرها تدميراً تاماً[٥٦]، ومنها تقدم نحو هرمز ، وبمزيد من الامدادات العسكرية من حامية مسقط تمكن البرتغاليون من فك حصار الحامية البرتغالية في هرمز ، ولما عجز حاكمها عن التصدي لهم اشعل النار في المدينة لمدة اربعة ايام ، هرب بعدها الى جزيرة قشم ، حيث اغتيل هناك ، وحل محله في السلطة محمود الشاه ، البالغ ثلاثة عشر عاما ، ومعه وقع البرتغاليون معاهدة في ميناء على نهر ميناب عام ١٥٢٣ ، مهدت لتشديد قبضة البرتغاليين على هرمز [٥٧] .

ولم يقف رفض العمانيين للهيمنة البرتغالية عند هذا الحد بل شهد عام ١٥٢٦ثورة جديدة، اعلنها سكان الساحل العماني في (مسقط وقلهات) نتيجة عمليات الابتزاز في تحصيل الضرائب، التي كان يقوم بها قائد الحامية البرتغالية في مسقط دييغو دي ميلو Diago de Mello ، وباسطول قاده لوبوفاز Lopo Vas مؤلف من خمس سفن وثلثمائة رجل، وصل الى مسقط في حزيران عام ١٥٢٧ ، تمكن من اخماد الثورة وفرض السيطرة البرتغالية عليها [٥٨].

وفي سنة ١٥٢٩ اشتعلت ثورة اخرى ، نتيجة لعزل الرئيس شرف (المستشار الاول لشيخ هرمز) من قبل حاكم المستعمرات البرتغالية في الهند ، فقد اثار عزلهُ احتجاج الجميع ، ولاسيما حاكم البحرين بدر الدين ابن عم شرف ، ورفض دفع الجزية السنوية للبرتغاليين ، فارسلت حملة برتغالية لقمع ثورة البحرين، الا انها فشلت بسبب نقص الامدادت وانتشار الوباء بين البرتغاليين[٥٩]، فكانت هذه الحملة كارثة عليهم ، ولكنهم ، بفضل الامدادات من كوا ، تمكنوا من خلع حاكم البحرين ، وتعيين حاكم اخر [٦٠].

ان الثورات العربية المتلاحقة على امتداد الساحل العماني ، على الرغم من فشلها في زحزحت الوجود البرتغالي من الخليج العربي ، اثبتت فشل اسلوب الحكم الاستعماري المباشر ، لما

---

[٥٥] المصدر نفسه ، ص١١٤.

[٥٦] عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

[٥٧] ارنولد ويلسون، تاريخ الخليج، ترجمة: محمد أمين عبد الله ، ط٣ ، سلطنة عمان ، ١٩٨٨ ، ص٨٠-٨١.

[٥٨] نايف الاحبابي ، المصدر السابق ، ص١١٧ .

[٥٩] عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص٢٧-٢٨ .

[٦٠] نايف الاحبابي ، المصدر السابق ، ص١١٩-١٢٠ .

يتطلبه من نفقات وجنود ، فعمد البرتغاليون الى وضع سلطة اكبر بايدي الامراء المحليين ، وانتهاج اسلوب عدم التدخل في شؤون البلاد الداخلية ، طالما لاتهدد السلطة البرتغالية [٦١] .

كانت الدولة العثمانية القوة الاسلامية الكبرى التي يمكن ان تتصدى للبرتغاليين ، غير ان وضعها وظروفها الخاصة لم تجعل منها دولة خليجية ، باستثناء مدة قصيرة ، فعند وصول البرتغاليين الى الخليج العربي كانت الدولة العثمانية منشغلة بحروبها في اوربا – ولم تستقر السلطة العثمانية في بغداد قبل ١٥٣٤م ، في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) ، وحتى بعد دخول بغداد ، تركت البصرة لحكامها المحليين وهم شيوخ قبائل عربية [٦٢]، وفي عام ١٥٤٣م ارسل شيوخ البحرين والقطيف والاحساء والبصرة ، مبعوثين منهم الى بغداد ، للترحيب بالسلطان العثماني سليمان ، مما اذّن بصراع طويل بين العثمانيين والبرتغاليين في البحر الاحمر والخليج العربي والمحيط الهندي ، خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر[٦٣]، وشهد عام ١٥٤٦ اخضاع العثمانيين للبصرة وجعلها متسلمية ، يحكمها وال عثماني، وطردوا حاكمها الشيخ راشد بن مغامس[٦٤]، وجرت اولى العمليات الحربية العثمانية في المياه الخليجية في العام نفسه ، عندما توجهت قوة بحرية عثمانية من ميناء السويس ، لمهاجمة ظفار ومسقط ، الا انها لم تستطع تحقيق أي نصر[٦٥].

وفي عام ١٥٥٠ اعلن اهالي القطيف تبعيتهم للدولة العثمانية ، وسلموا قلعة المدينة للعثمانيين ، الذين دخلوها وفرضوا حمايتهم عليها وسرعان ما استنجد حاكم هرمز الفارسي بالبرتغاليين ، فأرسل نائب الملك في الهند الفونسو دي نورونها Alfonso de Noronha ابن اخيه انطوينو دي نورونها ، بحملة مؤلفة من تسع عشرة سفينة ، عليها (الف ومائتا) رجل ، توجهت الى القطيف ، وفي هرمز تجمع جنود شيخ هرمز وامير البصرة المخلوع راشد بن مغامس

---

[٦١] المصدر نفسه ، ص١٢٠ .

[٦٢] صلاح العقاد ، دور العرب والفرس في مكافحة الاستعمار البرتغالي في الخليج ، ندوة الدراسات العمانية، م٤ ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠ ، ص٦٣-٦٤ .

[٦٣] قدري قلعجي ، الخليج العربي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص٣٧٢-٣٧٣ .

[٦٤] عبد العزيز محمد عوض ، المصدر السابق ، ص٢١ ؛ قدري قلعجي ، المصدر السابق ، ص٣٧٢ .

[٦٥] صادق عبد واني ، الدولة العمانية : نشأتها وازدهارها ، ندوة الدراسات العمانية ، م٢ ، سلطنة عمان ، ١٩٨١ ، ص٢٧ .

مع جنود نورونها ، ونزلوا امام قلعة القطيف ، فقصفوها ودمروها مع تحصيناتها ، رغم استبسال العرب والعثمانيين في الدفاع عنها، وهكذا عادت القطيف لتخضع للسيطرة البرتغالية [٦٦] .

وفي عام ١٥٥٢ هاجمت حملة عثمانية بقيادة بيري ريس مسقط ، حيث نجحت في احتلال قلعتها واسر حاميتها ، ورفع العلم العثماني عليها ، وتوجهت بعدها نحو هرمز ، لكن الحامية البرتغالية في قلعتها قاومت الحصار المفروض عليها مدة عشرين يوما ، اضطر بعدها بيري ريس الى ان يرفع الحصار ويغادر الى جزيرة قشم ، التي هاجمها ، وعاد بعدها الى البصرة [٦٧].

ومنيت حملة عام ١٥٥٣، التي قادها والي القطيف مراد باشا بالفشل الذريع بعد ان تصدى الاسطول البرتغالي للاسطول العثماني القادم من البصرة ، مما دفع السلطان العثماني سليمان القانوني الى ان يعهد بمهمة اعادة الاسطول العثماني ، من البصرة الى السويس الى سيدي علي الريس افضل قباطنة البحر العثمانيين ، فجهز الريس اسطولا من خمس عشرة سفينة ، انطلق به من البصرة ، قاصدا موانئ الساحل الشرقي في الخليج العربي ، ومنها توجه الى القطيف فالبحرين ، بعدها تحرك نحو هرمز ، وهناك التقى بالاسطول البرتغالي ، المؤلف من خمس وعشرين سفينة ، بالقرب من خورفكان ، وجرت معركة عنيفة بينهما عام ١٥٥٤ ، انسحب عن اثرها الاسطول البرتغالي الى هرمز ، بينما تابع الاسطول العثماني سيره نحو مسقط وقلهات ، ومرة اخرى التقى بالاسطول البرتغالي ، الذي اعاد تجهيز قطعاته وزاد عددها، ووقعت بينهما معركة قصيرة ، انتهت باستسلام ستٍ من سفن الاسطول العثماني ، عندها قرر سيدي على الريس الانسحاب ، لينجو بما تبقى من اسطوله ، فجرفته عاصفة قوية الى ساحل كرمان، وبعد ان تزود اسطوله بالماء العذب قصد موانئ اليمن لكن الرياح الشديدة قذفت به مرة اخرى الى ساحل الهند الغربي ، فوصل كجرات ، وهناك تفرق عنه رجاله واضطر الى بيع السفن (الست) المتبقية ، بمدافعها وذخائرها الى حاكم سورات المسلم وعاد برا الى اسطنبول عن طريق بغداد ، فوصلها عام ١٥٥٧ ، أي بعد ثلاث سنوات من بداية ، رحلة العودة الى السويس [٦٨]، وكانت اخر محاولة عثمانية للسيطرة على الموانئ العربية في الخليج العربي سنة ١٥٨١، حين قام علي بك بغارة بحرية مؤلفة من (اربع) سفن ، هاجم بها مسقط براً وبحراً ، ونجح في مفاجأة الحامية البرتغالية في مسقط ، وارغامها على

---

[٦٦] نوال الصيرفي ، المصدر السابق ، ص١٣١ .

[٦٧] عبد العزيز محمد عوض ، المصدر السابق ، ص٢٢.

[٦٨] المصدر نفسه ، ص٢٢-٢٣ ؛ صادق عبد واني ، المصدر السابق ، ص٢٩ .

الانسحاب نحو الداخل ، ولكن علي بك سرعان ما انسحب بقواته دون تحقيق نصر حاسم [٦٩]، لكنه استمر بشن غارات جريئة ضد المستوطنات البرتغالية في شرق افريقيا الى ان وقع اسيراً بيد قائد الحامية البرتغالية في ممباسا دوم داسوزا كوتينهو عام ١٥٨٩ ، ونقل الى لشبونة [٧٠]، وعلى الرغم من فشل العثمانين في تحقيق نصر حاسم على البرتغاليين في الخليج العربي ، الا ان محاولاتهم شجعت القوى المحلية على مواصلة تحدي الغزاة [٧١] .

استوجبت التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت البرتغاليين ، سعيهم الى ترصين مواقعهم ، وكانت مسقط اهمها ، لذا قاموا ببناء قلعتين قويتين [٧٢]، تتحكمان بميناء مسقط ، احداهما : قلعة (القديس غوا) ، التي اعاد العمانيون تسميتها (الجلالي) و(الاخرى) : قلعة (فورت كابتن) المعروفة باسم (الميراني) [٧٣] .

كان النظام الذي اتبعه البرتغاليون من اجل ضمان تحكمهم السياسي والتجاري في الموانئ العمانية ، يتمثل بتعيين قائد برتغالي ، تسانده قوة عسكرية مسلحة جيدا ، تمكنه من الدفاع عنها [٧٤]، وكون البرتغال دولة بحرية اساسا ، منعها هذا عن محاولات التوغل الى الداخل ، حيث مجموعات القبائل المعادية . وكانت قلهات تتزعم مسؤولية جمع الضرائب من باقي المدن العمانية وتقوم بارسالها الى ملك هرمز ، ليسلمها للبرتغاليين ، وكانت مسقط[٧٥]، وحدها تدفع اكبر مبلغ من الضرائب ، مما يوضح مركز مسقط التجاري انذاك [٧٦] .

---

[٦٩]صادق عبد واني ، المصدر السابق ، ص٢٩ -٣٠ .

[٧٠] المصدر نفسه ، ص٣٠ .

[٧١] نايف الاحبابي ، المصدر السابق ، ص١٢١ .

[٧٢] وفي اشارة اخرى الى انشاء البرتغاليين قلعة الجلالي عام ١٥٨٧ ، وقلعة الميراني عام ١٥٨٨ في مسقط . للتفاصيل ينظر : عمان وتاريخها البحري ، وزارة الاعلام ، سلطنة مسقط ، ١٩٧٩ ، ص٥٩ .

[٧٣] حسين غباش ، المصدر السابق ، ص٩٦-٩٧ .

[٧٤] صادق عبد واني ، المصدر السابق ، ص٢١-٢٤ .

[٧٥]تقع مسقط على بعد ٣٠ ميلا من مضيق هرمز ، الذي يشكل مدخل الخليج العربي ، وعلى بعد ٩٢ ميلا من رأس الحد ، في اقصى الزاوية الشرقية من الجزيرة العربية ، ينظر :
محمود علي الدواد ، محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠-١٩١٤ ، القاهرة ، ١٩٦٠-١٩٦١، ص٨٥ .

[٧٦]صادق عبد واني ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

ادى احتلال البرتغاليين لسواحل عمان ، ومرابطة حامياتهم في خورفكان ودبا [٧٧]، ومسقط وجلفار [٧٨]، الى اثار سلبية في اوضاع العرب الاقتصادية في المناطق الداخلية ، مما اجج الصراع بين قبائلها ، وتنافسها على النفوذ ، ولم يتورع بعض زعمائها من الاستعانة بالبرتغاليين[٧٩] ، كما حصل حين استنجد حاكم صحار محمد بن مهنا الهديفي بالبرتغاليين لمواجهة خصمه امير سمايل عمير بن حمير ، وبالفعل تمكن البرتغاليون من الاستيلاء على صحار وقلعتها سنة ١٦١٦[٨٠].

تدهور النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى :

تعرضت الامبراطورية البرتغالية للضعف ، منذ اوائل القرن السابع عشر، نتيجة لعوامل متشابكة ، ياتي في مقدمتها خضوع البرتغال للعرش الاسباني ما بين (١٥٨٠-١٦٤٠) [٨١]، وتسخير مواردها لخدمة الامبراطورية الأسبانية في العالم الجديد الامر الذي اضعف الامبراطورية البرتغالية في الشرق [٨٢] ، وقد ولد عجزهم ، وسوء معاملتهم للشعوب الشرقية التي احتكوا بها ، كراهية تلك الشعوب لهم ، كما لم يحسنوا ممارسة نشاطهم التجاري ، مما جعلهم غير قادرين على مواجهة المنافسين الجدد الذين دخلوا مياه المحيط الهندي ، ولا سيما الانكليز والهولنديين [٨٣] .

وفي سنة ١٦٠٢ واجه البرتغاليون اول ضربة قوية ، تمثلت بخسارتهم البحرين ، اذ دفع الارهاب المتواصل ، الذي مارسه البرتغاليون بحق السكان العرب في البحرين ، الى الثورة فيها،

---

[٧٧] دبا : مدينة تقع على الساحل العماني عند نهاية وادي التلدي .

[٧٨]جلفار : امارة رأس الخيمة التي تقع في اقصى المنطقة الشمالية لامارة الشارقة .

انظر : المعولي ، المصدر السابق ، ص٤٥ .

[٧٩] فالح حنظل ، الشحوح وتأريخ منطقة رؤوس الجبال في الخليج العربي ، ط١ ، رأس الخيمة ، ١٩٨٧ ، ص١٠٩ .

[٨٠]مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ، ص٤١ .

[٨١]سقط الملك البرتغالي (سباستيان) قتيلا في معركة (القصر الكبير) في مراكش سنة ١٥٧٨ ، فخلفه الامير (هنري الابلة) الذي توفي بعد ثمانية عشر شهراً ، وبموت هنري هذا انتهت سلالة (افيس) البرتغالية التي أسسها (جون الاول)، واصبحت البرتغال تحت حكم (فيليب الثاني) ملك اسبانيا . للتفاصيل ، ينظر : صالح العابد، دور القواسم ، ص٢٠ .

[٨٢]طارق نافع الحمداني ، القوى الرئيسة في الخليج العربي مطلع القرن السابع عشر ، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية – العدد ١٣ ، ١٩٨٤ ، ص٢٧٠-٢٧١ .

[٨٣]ارنولديسون ، تاريخ الخليج ، ص١٢٤ .

وسيطر الثوار العرب على الحامية والقلعة ، وكان امير شيراز قد ارسل قوة لمساندتهم الا انه استغل الظرف ، فسيطر على الجزيرة باسم الشاه عباس الاول ، وعين حاكما عليها ،وكانت تحت تصرفه حامية مكونة من ثماني مائة رجل [٨٤]، ولم تفلح المحاولات البرتغالية في استردادها ، وكان اخرها عام ١٦١١[٨٥]، كما بلغت التحديات ، التي واجهها البرتغاليون ، ذروتها عندما تحالف الانكليز والفرس ضدهم في كانون الثاني عام ١٦٢٢ ، وقاموا بهجوم مشترك على هرمز[٨٦]، ففي ١٩ كانون الثاني عام ١٦٢٢ توجهت القوة الانكليزية من جاسك ،وعبرت الى جزيرة قشم ، واحتلتها مدة وجيزة ، واسرت قائد الحامية روي فرير ، وارسلته الى سورات ، وبتاريخ العاشر من شباط بدأت الحملة على هرمز ، وتمت محاصرة الحامية . وبحلول الثالث والعشرين من نيسان كانت الحامية البرتغالية قد ضعفت كثيرا ، واستسلمت بعدها ، بشرط ارسالها الى مسقط وبالفعل تم نقل حوالي الفي شخص الى مسقط وصحار [٨٧]، كانت خسارة البرتغاليين لهرمز ضربة قاصمة لوجودهم في منطقة الخليج العربي ، اذ انهم فقدوا قاعدة ارتكازهم الرئيسة فيه ووضعت خاتمة لعظمة هذه الجزيرة وازدهارها ، ذلك ان الشاه عباس امر بتدمير تحصينات هرمز ، وحول التجارة الى (جمبرون) ، او بندر عباس على الساحل المقابل [٨٨] .

وفي اجواء حالة الفوضى والصراعات التي سادت عمان ، عشية قيام دولة اليعاربة ، توزعت خارطتها السياسية على دويلات مستقلة ، على رأس كل منها حاكم مستقل ، ففي الرستاق مالك بن ابي العرب ، ونخل يحكمها سلطان بن ابي العرب ، وفي سمايل مانع بن سنان العميري، وفي سمد الشان علي بن قطن الهلالي ، وعبرى يحكمها محمد بن جيفر ، وبهلا وبلاد سيت كانتا خاضعتين لسيف بن محمد الهنائي ، ومناطق غبى وضنك يتحكم فيها زعماء بن هلال ، ومقنيات لسيف بن محمد بن جيفر ، وجلفار خاضعة للسيطرة البرتغالية – الفارسية المشتركة اما مدن الشريط الساحلي (صحار ومسقط وصور وقريات ومطرح) ، فكانت تابعة للسيطرة البرتغالية [٨٩]،

---

[٨٤] نايف الاحبابي ، المصدر السابق ، ص١٢٢ .

[٨٥] ب.ج. سلوت ، عرب الخليج ، ١٦٠٢-١٧٨٤، ترجمة : عايدة خوري ، ط١ ، ابو ظبي ١٩٩٣ ، ص١٠٨ .

[٨٦] صالح العابد ، دور القواسم ، ص٢٦ .

[٨٧] للتفاصيل ، ينظر :

Bathurst , the Yarabi dynasty in Oman , ph. thesis , Oxford University , 1967, p.49.

[٨٨] ويعود سبب ذلك الى افتقار فارس للقوة البحرية ، انظر : صالح العابد ، دور القواسم ، ص٢٦-٢٧ .

[٨٩] غانم رميض العجيلي ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

وفي ظل حالة الضعف التي دبت في اوصال الإمبراطورية البرتغالية ، كان العمانيون يجمعون شتات قواهم المتفرقة ، ليوحدوا بلادهم ويحرروها من المحتلين [٩٠].

انتعاش الامامة وانتخاب ناصر بن مرشد اماما وجهوده لتوحيد البلاد :

لم يستكن العمانيون لحالة الوهن والفرقة التي عاشتها بلادهم ، خلال القرن السادس عشر ، والعقدين الاولين من القرن السابع عشر لذا قرروا المبادرة للخروج من هذه الحالة ، بالانتقال الى مرحلة الظهور [٩١]. و انتخاب امام يقود البلاد الى الوحدة والتحرر من الهيمنة الاجنبية .

وتجسيدا لهذه الحالة ، اجتمع اربعون عالما [٩٢]. من كبار علماء الاباضية في الرستاق [٩٣]. نهاية عام ١٦٢٤ ، واجمعوا على انتخاب ناصر بن مرشد اليعربي اماماً للبلاد ، وكان للقاضي الشيخ سعيد بن خميس الشقصي[٩٤]. دور مهم في الوصول الى ذلك الاختيار [٩٥].

كان انبعاث الامامة الاباضية في عمان من جديد ، سبباً ونتيجة في الوقت نفسه ، فلم يكن بوسع أي زعيم او قوة محلية ان تحقق الوحدة العمانية الا على اساس دعوة دينية توحد العمانيين ، وتدعوهم للجهاد ضد المحتل الاجنبي كما ادى العامل الاقتصادي دورا في حركة توحيد عمان ، تمثل بالاضرار البالغة التي لحقت بالتجارة والملاحة العمانية من جراء التحكم البرتغالي بالموانئ الهامة ، واعاقتهم حرية الملاحة [٩٦].

كان الامام ناصر يتمتع بصفات اهلته للدور العظيم الذي قدر له ان يؤديه ، فهو رجل ذو باع طويل في الحرب وهو جندي شجاع وسياسي بارع ، كرس حياته لتحقيق غايتين هما : توحيد القبائل العمانية ، وتحرير سواحل البلاد من الاحتلال الاجنبي [٩٧].

---

[٩٠] محمد علي الزرقا ، عمان قديما وحديثا ، ج١ ، دمشق ، ١٩٥٩ ، ص٨٧ .

[٩١] غانم العجيلي ، المصدر السابق ، ص٢٨-٢٩ .

[٩٢] وفي اشارة اخرى "انعقاد مجلس ضم سبعين رجلا من نخبة العلماء والوجهاء" .
ينظر : حسين غباش ، المصدر السابق ، ص١٠٧ .

[٩٣] غانم العجيلي ، المصدر السابق ، ص٣١ .

[٩٤] وهذا القاضي هو زوج ام ناصر بن مرشد ، وكان يتمتع بالعلم واحترام الشعب . للتفاصيل ، ينظر : عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص٤٦ .

[٩٥] غانم العجيلي ، المصدر السابق ، ص٣١ .

[٩٦] صلاح العقاد ، المصدر السابق ، ص٩٠ .

[1] John Townsend , Oman the Making of Modern State , London , 1977, p.35; Nabil M. Kaylani , Politics and Religion in Oman, Middle East Studies , London , 1929 , P.

افتتح الامام ناصر عهده بالسيطرة على الرستاق ، فقاد قواته متجها الى قلعتها التي كانت تحت سيطرة ابن عمه مالك بن ابي العرب اليعربي ، وبعد حصار لم يدم طويلا ، تمكن من فتحها [٩٨]. واصبحت الرستاق بعد هذا النصر قاعدة الامام لتحقيق وحدة البلاد ، توجه بعدها الامام الى نخل [٩٩]. التي كان يحكمها عمه ، سلطان بن ابي العرب ، فحاصره اياما ، ولم يتمكن من دخولها الا بعد وصول مساعدة من قبيلة اليحمد ، فعّين واليا عليها هو عبد الله بن سعيد الشقصي ، وتوجه نحو مدينة ازكى التي استسلمت له [١٠٠]. وتتابعت انتصارات الامام فضم اهم المدن والقلاع الداخلية ، بعد سلسلة من الجهود المضنية ، فاخضع نزوى وسمائل التي اجمع اهلها اعلى مبايعته [١٠١]. ثم تحرك بقواته نحو بلدة منح ففتحها من غير قتال . وكذا خضعت له سمد الشان وعبرى[١٠٢].

وباحكام سيطرته على سمايل ونزوى وعبري، تمكن من مد سلطته على مناطق الداخل، بجهود استغرقت حوالي ثماني سنوات من مبايعته ، وبذلك امن الطريق الى منطقة الباطنة ، حيث الموانئ التي يحتلها البرتغاليون[١٠٣]. التزم الامام ناصر ، في عملياته العسكرية ، الوسائل التي تتيح له ، توحيد البلاد باقل ما يمكن من سفك الدماء – سالكا اسلوبا من الاقناع والحجة ، قبل ان يلجأ الى الحرب ، على الرغم مما اعترى مسيرة التوحيد من حركات تمرد في بعض انحاء الظاهرة ، اذ تطلب ارسال جيش ، قاده خميس بن رويشد استطاع اخماد تلك الحركات ، وثبت سيطرة

---

568 .

والمزيد من التفاصيل عن صفات الامام ناصر بن مرشد يراجع : عبد الله بن خلفان بن قيصر ، سيرة الامام ناصر بن مرشد ، تحقيق : عبد المجيد القيسي ، عمان ١٩٧٧ ، ص٩-١٢ ؛ سلوت ، عرب الخليج ، ص١٩٢-١٩٤ .

[٩٨] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٣٧٧ .

[٩٩] (نخل) : بلدة في وادي المعاول ، وهي في الجانب المقابل للبحر من الحجر الغربي .
ينظر : المعولي ، المصدر السابق ، ص١٠٧ .

[١٠٠] غانم العجيلي ، المصدر السابق ، ٣٢-٣٣ ؛ Bathurst , op. cit. p.56 .

[١٠١] وحول ظروف السيطرة على نزوى ينظر : حميد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، تحقيق : عبد المنعم عامر و محمد مرسي عبد الله ، سلطنة عمان ، ١٩٧٧ ، ص٢٦٤؛ عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٣٧٧ ؛ ابن قيصر ، المصدر السابق ، ص١٧-١٨ .

[١٠٢] المصدر نفسه ، ص١٧-٢٠ .

[1] Bathurst, Maritim trade of Imamate of Oman , London , 1972. p.95.

الامام على عبرى والغبى ، فكافأه الامام بتعينه والياً عليها [١٠٤]. وفي ضنك ، احدى مدن الظاهرة ، لقي المتمرد ناصر بن قطن هزيمة كبيرة علي يد قوات الامام ناصر ، الذي حاصره في قلعته ، فاستسلمت له [١٠٥].

كما سارت قوات الامام لفتح مقنيات ، التي كانت خاضعة للجبور. الذين تحالفوا مع بني هلال ، فهزمهم ، اتبع ذلك بالسير نحو مدينة بهلا، المهمة التابعة لسيف بن محمد الهنائي، الذي ابدى مقاومة ، فحاصره الامام لمدة شهرين ، اقبل خلالها الجبور لنصرة الهنائي، الا ان قوات الامام استطاعت هزيمتهم واجبارهم على الاستسلام [١٠٦].

توج الامام انتصاراته بالاستيلاء على ليوا ، التي اصبحت موقعا تجمع فيه اعداء الامام من وسط عمان ، وبعد قتال طويل قتل حاكمها محمد بن جيفر ، واحاطت قوات الامام بقلعتها التي تولاها ابن محمد "سيف" ، الذي لجأ الى البرتغاليين في صحار ،طالبا العون منهم ، وعلى الرغم من امداداتهم له ، اضطر سيف الى الاستسلام واخلاء القلعة ، ليدخلها الامام على راس قواته التي كانت قد حاصرتها ستة اشهر [١٠٧].

تحرير الموانئ العمانية:

ادى توحيد الامام ناصر بن مرشد معظم اجزاء عمان الداخلية ، الى تهيئة الظروف لبدء عملية تحرير السواحل من السيطرة البرتغالية ، تسنده جموع القبائل التي اندفعت معلنة ولاءها له [١٠٨]. وقد ساعد الامام ، على تنفيذ مهمته ، الضعف الذي اصاب الوجود البرتغالي في الخليج العربي، بعد سقوط (هرمز) اقوى قواعدهم عام ١٦٢٢ ، واتخاذهم (مسقط) قاعدة بديلة ، وقد واتت الامام ناصر الفرصة لبدء عملياته ضد البرتغاليين ، عندما لجأ مانع بن سنان العميري حاكم سمايل الى البرتغاليين في مسقط بعد فشل تمرده [١٠٩]. لذا وجه الامام القائد مسعود بن رمضان على راس جيش كبير في نهاية عام ١٦٣٢ ، الى قاعدة الوجود البرتغالي في مسقط

---

[١٠٤] لمزيد من التفاصيل عن حملات الامام على تلك المدن يراجع : ابن قيصر ، المصدر السابق ، ص٢٤-٢٦؛ سرحان بن سعيد الازكوي ، كشف الغمة الجامع لاخبار الامة ، تحقيق : عبد المجيد القيسي ، ط٢ ، سلطنة عمان ، ١٩٨٦ ، ص٩٨-٩٩ .

[١٠٥] مايلز ، المصدر السابق ، ص١٩٩ .

[١٠٦] عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص٥٠-٥٢ .

[5] Bathurst , the Ya’rubi, p.79.

[١٠٨] صادق عبد واني ، المصدر السابق ، ص٣٦ .

[١٠٩] عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

والتقى الجيش العماني القوات البرتغالية في الدويج ، قرب مطرح ، وفي القتال الذي تلا ذلك ، تم تدمير حصون المراقبة المشرفة على مسقط ، وقتل عدد كبير من البرتغاليين ، وانسحب الباقون الى الحصون الداخلية ، ولم يكن بمقدور القائد العماني ان يحقق نتيجة حاسمة ، بسبب الضعف الذي اصاب قواته ، وقوة تحصينات مسقط ، لهذا وافق على طلب الهدنة الذي تقدم به القائد البرتغالي [١١٠]. ومما جاء في شروطها :

١- يتنازل البرتغاليون عن الاراضي والمباني العائدة لهم في صحار .

٢- يدفع البرتغاليون جزية سنوية للامام[١١١].

٣- يعامل البرتغاليون المسلمين معاملة حسنة في مسقط ومطرح [١١٢].

ان عدم تحقيق نتيجة حاسمة في معركة مطرح ، دفع الامام ناصر لوضع خطة بعيدة المدى ، تستند الى تجريد البرتغاليين من قواعدهم على طول الساحل ، قبل شن الهجوم الكبير على قاعدة ارتكازهم الرئيسة في مسقط [١١٣]. بعدها اخذ الامام وقواته بالاستعداد للحملة الثانية ، لتحرير بقية الموانئ العمانية ، فوجه اهتمامه نحو تحرير جلفار (راس الخيمة) من السيطرة الفارسية – البرتغالية المشتركة ، فوجه الامام حملة قوية اوكل قيادتها الى على بن احمد ، فسار الجيش الى جلفار ، وكان فيها قلعتان ، يسيطر البرتغاليون على واحدة منهما ، فضلا عن مرابطة سفينتين لهما في الميناء ، وكان الفرس يسيطرون على القلعة الاخرى وهي حصن يدعى "حصن الصير" [١١٤]. يقيم فيه ناصر الدين العجمي ، فتقدمت القوات العمانية الى

---

[١١٠] صالح العابد ، تحرير سواحل عمان من الهيمنة البرتغالية ١٦٣٢-١٦٥٠ ، محاضرات الدورة التاسعة في سلطنة عمان ، المعهد الدبلوماسي ، ١٩٩٤، ص٢٧ .

[١١١] فالح حنظل ، المفصل في تاريخ الامارات العربية المتحدة ، ج١ ، ابو ظبي ، ١٩٨٣، ص٦٩ .

[١١٢] عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

[١١٣] صالح العابد ، تحرير سواحل عمان ، ص٢٧ .

[١١٤] اضطر الفرس ، نتيجة لاستمرار القائد البرتغالي روي فرير في ازعاجهم ، الى طلب الصلح سنة ١٦٣٠، وجاء في بنوده : السماح للبرتغاليين بممارسة التجارة في ميناء كونك الفارسي ، بالشروط نفسها التي يتاجر بها الانكليز في بندر عباس ، كما سمح للبرتغاليين بتاسيس معسكر لهم في جلفار ، وكان مجاورا لمعسكر الفرس فيها ، لكن انجازات روي فرير لم تدم طويلا ، فبعد موته في كانون الاول عام ١٦٣٢ ، نجح الامام في انتزاع المدينة وطرد حاميتها الفارسية والبرتغالية . ينظر : بروفسور . بوكسر ، ملاحظات جديدة عن الصلات بين العمانين والبرتغالين ١٦١٣-١٦٣٣ ندوة الدراسات العمانية ، المجلد ، سلطنة عمان ، ١٩٨١، ص٢١١-

الحصن [١١٥]. وحاصرته ، وكانت الحامية الفارسية تتلقى الدعم من السفينتين الحربيتين البرتغاليتين ولهذا كان من المتعذر شن هجوم مباشر ، مما دفع القائد العماني الى ان يامر بالهجوم ليلا على برج مرتبط بالقعة ، وتمكنت القوة المهاجمة من الاستيلاء على البرج ، واندفعت مقتحمة القلعة ، وبعد قتال لم يستمر طويلا استسلمت الحامية الفارسية وخلال ذلك وصلت الى قوات الامام تعزيزات عسكرية جديدة ، يقودها خميس بن رمضان ، فاحكموا حصار القلعة البرتغالية، التي أضطر قائدها الى طلب الصلح مقابل اخلاء القلعة [١١٦]. وقام الامام بتعيين قائد الجيش علي بن احمد والياً على جلفار [١١٧].

وبذلك تمّ تحرير ساحل السر [١١٨] كلّه في تموز عام ١٦٣٣[١١٩]. وحاول الفرس اثر هذه الهزيمة الاستعانة بالانكليز ، والحصول على مساعدتهم في الاستيلاء على مسقط ، لكن المشروع فشل ، ولاسيما بعد ان اعدم الشاه صفي (١٦٣٠-١٦٤٢) حاكم شيراز في اذار عام ١٦٣٣ [١٢٠]. ان انتصار الامام في جلفار شجعه على مواصلة فتوحاته وتحرير صحار، فاعد لها حملة كبيرة ، بقيادة والي ليوا ، حافظ بن سيف عام ١٦٣٣ . تقدمت القوات نحو صحار ، فدخلت ضواحيها في ٦ اب ، وتجمعت في موضع (البدعة) ، حيث واجهت مقاومة ضارية من البرتغاليين ، الذين تحصنوا في قلعتها القوية ، ومن اجل احكام الحصار على المدافعين ، بنى القائد العماني قلعة قريبة من القلعة البرتغالية [١٢١]. ويذكر ابن قيصر ، ان القتال كان شديدا على العمانيين ، واستشهد عدد كبير منهم ، كان من بينهم القائد راشد بن عباد[١٢٢].

وفي هذا الوقت ، حاول الامام ناصر تشتيت قوة البرتغاليين المدافعين عن صحار ، وتخفيف الضغط عن قواته هناك ، فقام بالهجوم على مسقط ، بجيش قادهُ الشيخ خميس بن سعيد

---

٢١٢ ؛ Bathurst , Maritim Trade p.96 .

[١١٥] محمد حسن العيدروس ، المصدر السابق ، ص٣١ .

[١١٦] صالح العابد ، تحرير سواحل عمان ، ص٢٧ .

[١١٧] سرحان بن سعيد الازكوي ، المصدر السابق ، ص١٠٣ .

[١١٨] يطلق مصطلح (السر) على الساحل الشمالي لعمان ، الممتد من مضيق هرمز الى حدود امارة ابو ظبي الحالية .

[١١٩] صالح العابد ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

[7] Bathurst , Maritim trade, p.98 .

[١٢١] صالح العابد ، المصدر السابق ، ص٢٧-٢٨ .

[١٢٢] ابن قيصر ، المصدر السابق ، ص٥١ .

الشقصي[١٢٣]. الذي رابط في موقع قريب من مسقط لغرض اكمال التعبئة . وما ان سمع قائد الحامية البرتغالية بانباء هذا التحشيد حتى سارع بارسال مبعوثه الى القائد العماني ، يطلب الصلح وتم التوصل الى هدنة وافق البرتغاليون بموجبها على وقف القتال ، والسماح للعمانيين بالتجارة في مسقط [١٢٤]. وبعد عقد الاتفاق ، سارع القائد الشقصي بارسال من يستطلع احوال البرتغاليين في مسقط وسار بقواته نحو مطرح [١٢٥]. حيث عقد اتفاق بين الجانبين ، تضمن .

١- تدمير البرتغاليين تحصيناتهم خارج مدينة مطرح .

٢- تعهد البرتغاليين بدفع الجزية السنوية للامام .

٣- السماح للعمانيين بحرية التجارة في المناطق التي يسيطر عليها البرتغاليون [١٢٦].

وفي السنة التالية ١٦٣٤ ، عاود الامام نشاطاته الحربية ضد البرتغاليين ، فوجه جيشاً قوياً الى كل من صور وقريات ، بقيادة مسعود بن رمضان ، الذي فرض حصاراً شديداً على صور ، شل حركة البرتغاليين ، فاستسلموا وسلموا المدينة للعمانيين ، ثم توجه مسعود بعد ذلك الى قريات ، وحدث للبرتغاليين هناك ما حدث لهم في صور ، وبهذا استطاع الامام تحرير هاتين المدينتين الساحليتين من يد البرتغاليين ، الذين لم يبق لهم الان في عمان سوى مسقط ومطرح وقلعه صحار [١٢٧].

ويبدو ان تحرير صور وقريات لم يكن بالمهمة السهلة ، فقد كان التباين واضحا بين حجم وكفاءة القوتين المتحاربتين (العمانية والبرتغالية) ، فضلاً عن ان الوحدة الوطنية لم تكتمل بعد بما يتناسب واعباء المواجهة التي كانت تقتضي قدراً كبيراً من الانسجام والتلاحم ، في وقت اتيح للبرتغاليين استعادة انفاسهم منذ ان طردوا من هرمز سنة ١٦٢٢ ، بسبب صراع القبائل فيما بينها ، والتحسن الملموس طرأ على العلاقات البرتغالية – الانكليزية منذ عام ١٦٣٤[١٢٨]. التي تحولت

---

[١٢٣] فالح حنظل ، المصدر الساق ، ص٧٣ .

[4] Bathurst , the Ya'rubi , p.94.95.

تذكر عائشة السيار ان سبب هذه الحملة هو تذرع الامام تاديب المسيحيين الذين رفضوا دفع الجزية المفروضة عليهم منذ سنتين سابقتين ، فضلاً عن سوء معاملتهم للمسلمين ، ينظر : عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص٥٦-٥٧ .

[١٢٥] نور الدين السالمي ، تحفه الاعيان بسيرة اهل عمان ، ج٢ ، ط٥ ، ١٩٧٤ ، الكويت ، ص١٢.

[١٢٦] عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص٥٧ .

[١٢٧] طارق نافع الحمداني ، المصدر السابق ، ص٢٧٧ .

[١٢٨] ان تحسن العلاقات الاسبانية – الانكليزية سنة ١٦٣٤ ، ادى الى تحسن العلاقات في الخليج العربي والمحيط الهندي ، فقد وقع نائب الملك البرتغالي مع المعتمد الانكليزي في ميناء سورات على هدنة عسكرية

الى صداقة وتعاون بين الجانبين، ولاسّيما بعد حصول البرتغال على استقلالها من اسبانيا عام ١٦٤٠[١٢٩] وهذا ما يفسر الهدوء النسبي الذي امتازت به العلاقات العمانية – البرتغالية ، فقد برز صراع جديد بين الهولنديين والبرتغاليين ، الامر الذي منعهم من التعرض للمناطق التي حررها الامام ناصر ، مما اتاح للامام ان يكرس جهوده ، في هذه المدة لاخماد حركات التمرد التي واجهها[١٣٠].

راقب البرتغاليون تطورات الاوضاع الداخلية في البلاد ، واستغلوها في اعادة سيطرتهم على مدن صور وقريات كما بذلوا جهودا كبيرة لتشجيع الانشقاقات الداخلية ، فدعموا ، سنة ١٦٤٣ ، حركة التمرد التي قام بها حاكم ليوا سيف بن محمد ، وساعدوه بقوة عسكرية ، لكن الامام سارع فاخمد هذا التمرد ، واوقع هزيمة منكرة بالقوة البرتغالية ، واسر افرداها ، واتبع هذا النصر بتطويق الحامية البرتغالية في صحار ، وبعد مقاومة غير مجدية استسلمت له [١٣١]. في السابع من تشرين الثاني عام ١٦٤٣ ، وكان هذا الانجاز الكبير فاتحة لطرد البرتغاليين من بقية السواحل العمانية [١٣٢].

ان تحرير صحار المركز التجاري المهم ، من يد البرتغاليين كانت له نتائج سلبية على التجارة البرتغالية ، مما اربك تجارتهم في مسقط ، التي باتت من دون شك ستتعرض لهجمات العمانيين لاستردادها [١٣٣]. وهذا ما حدث بالفعل ، فقد بدأت سيطرة البرتغاليين على عمان بالانكماش ، وبدأ الامام ناصر بشنّ هجمات لانتزاع مسقط من ايديهم منذ عام ١٦٤٠ ، وان تلك الهجمات على الرغم من فشلها ادت في النهاية الى تحرير صحار في تشرين الثاني عام ١٦٤٣ [١٣٤].

في مايس عام ١٦٣٤ ، لوقف المصادمات المسلحة بينهما في تلك البقاع ، وفي السنة التالية اصدرت شركة الهند الشرقية تعليما الى وكلائها في الخليج العربي ولاسيما في بندر عباس بوجوب اتخاذ موقف الحياد في أي نزاع يحدث بين الفرس والبرتغاليين ، وقد تحولت هذه الهدنة العسكرية الى معاهدة صداقة وقعت بين الطرفين في ٢٠ كانون الثاني ، عام ١٦٣٦ في غوا ، للتفاصيل ينظر : محمود علي الداود ، العلاقات البرتغالية في الخليج العربي ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ٢ ، ١٩٦٠ ، ص٢٥٢ .

[١٢٩]عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٣٨٠ .

[١٣٠]طارق نافع الحمداني ، المصدر السابق ، ص٢٧٧ .

[١٣١]صالح العابد ، تحرير سواحل عمان ، ص٢٨ .

[١٣٢] المصدر نفسه ، ص٢٨ .

[1]Bathurst , the Ya'rubi, p.101 .

[2]Bathurst , Maritim trade, p.99.

وفي عام ١٦٤٨ ، أعدّ الامام ناصر حملة كبيرة ، اوكل قيادتها للشيخ مسعود بن رمضان، الذي فرض حصاراً على مسقط دام من السادس عشر من آب عام ١٦٤٨ والى الحادي عشر من ايلول من العام نفسه ، وتمكنت قواته خلال هذا الحصار ، من هدم برج المراقبة الساحلي في مسقط ، فسارع البرتغاليون الى الدعوة لعقد اتفاقية سلام ، فكانت شروط العمانيين :

١- تسليم الحصون البرتغالية وتدميرها في صور قريات

٢- الغاء الكمارك التي كان العمانيون يدفعونها على منتجاتهم القادمة من الداخل الى مسقط وتدمير سور المدينة .

٣- ان يدفع البرتغاليون جزية سنوية مقدارها ٢٠٠ الف بارادوس .

ولما راى البرتغاليون تلك الشروط ثقيلة عليهم ، حاولوا الاستمرار في المقاومة لمدة ستة اسابيع اخرى[١٣٥]. اضطر بعدها القائد البرتغالي دوم جوليا دا نورونها Dom Juliao da Noronha) الى التوقيع على الاتفاقية في ٣١ تشرين الاول عام ١٦٤٨ [١٣٦]. وبموجب تلك الاتفاقية وافق البرتغاليون على شروط الوفد العماني ، فضلا عن هدم حصن مطرح وتسليم الممتلكات البرتغالية في صحار ، ودفع جزية سنوية للعمانيين ، إلاّ ان قلعتي : الجلالي والميراني ، بقيتا بيد البرتغاليين [١٣٧].

إنّ اهم نصر حققه العمانيون في هذه الاتفاقية ، هو اعتراف البرتغاليين بحرية الملاحة العمانية في مسقط وبحر العرب ، ومرور السفن العمانية دون تفتيش ، وان كان عليها ان تتزود بتصاريح من المراكز البرتغالية عند عودتها ، فهي بمثابة جوازات للمرور تسمح لها بالابحار بحرية تامة مع أي نوع من البضائع ، والى أيٍّ من الموانئ [١٣٨].

اثارت انباء الحصار العربي للحامية البرتغالية ، قلقا كبيرا لدى السلطات البرتغالية في لشبونة ، ومستعمراتها في الهند ، فرفض ملك البرتغال جون الرابع John IV الشروط المذكورة انفا وعدها اهانة لبلاده ، فامر باستئناف الحرب ، وسارع نائب الملك في الهند فيليب ماسكارينهاسMascarenhas) الى ارسال جزء من الاسطول لنجدة الحامية البرتغالية ، منتصف

---

[١٣٥]صادق عبد واني ، المصدر السابق ، ص٣٨-٣٩ .

[١٣٦]وقع المعاهدة في ريام سلطان بن سيف اليعربي قائد قوات الامام وكلٍّ من الولاة راشد بن سالم وعلي بن عبد الله وسيف بن علي النزوي ممثلين للامام ودوم جولياو دا نورونها وفالنتين كوريا valentin Correa ومانويل فاريلا Manule Varella والراهب لويزدي ميك دي ديوس Luiz de Mach Deus ممثلين للبرتغاليين ، وقد اتفقوا على ان هذه الاتفاقية عقدت لتبقى قوية ولتمنح العلاقات بينهما استقرار كبيرا ، ينظر :
Bathurst , the yarubi, p.102-103 .

[١٣٧]صادق عبد واني ، المصدر الساق ، ص٣٨-٣٩ .

[١٣٨]صالح العابد ، تحرير سواحل عمان ، ص٢٨ .

كانون الثاني عام ١٦٤٩ ، لكن بعد فوات الاوان ، اذ وصل بعد ان عقدت الاتفاقية ، فوجه اللوم الى دوم جولياو ، متهماً اياه بالتقصير في مواجهة الحصار العربي ، وامر باعتقاله مع مراقب المالية ، وارسالهما الى كوا للتحقيق [١٣٩].

اصدر الملك البرتغالي جون الرابع اوامره ببذل كل جهد ممكن من اجل التمسك بمسقط ، وزيادة عدد السفن الحربية في الميناء ، ومنع العرب من البقاء في المدينة ، وتقوية حصن خصب ، لكن في الوقت الذي وصلت فيه تلك الاوامر الى غوا كان الامر قد خرج عن ارادة القادة البرتغاليين ، وكان العلم العماني يرتفع بشموخ على طول الساحل المحرّر [١٤٠].

وقبل ان يشهد الامام ناصر حرب التحرير الاخيرة ، وافته المنية في الرابع والعشرين من نيسان عام ١٦٤٩ ، بعد ان إستمر حكمه حوالي ستة وعشرين عاما ، كرسها لتوحيد البلاد، وتحرير موانئها ، وقد دفن في مدينة نزوى [١٤١].

وما ان اعلنت وفاته حتى اجتمع الفقهاء والقضاة والقادة لاختيار امام جديد ، وفي تلك الظروف الدقيقة التي كانت تمر بها البلاد ، ولاسيما ان معركة تحرير مسقط لم تحسم بعد ، كان من المتوقع ان يقع الاختيار على ابن عم الامام الراحل ، وقائد جيوشه سلطان بن سيف اليعربي (١٦٤٩-١٦٧٩) لما كان يتمتع به من صفات سديدة منها الحزم والشجاعة والجرأة والكفاءة العسكرية [١٤٢]. ويصفه السالمي بقوله : "انه كان للامام ناصر بن مرشد سيفاً وكفاً يبيد بها الاعداء" [١٤٣].

وتدون المؤرخة الفرنسية لوكور غرانميزون (Le Cour Grandmaison) عن الامام سلطان بن سيف التالي :

"ان سلطان بن سيف الاول ، الذي خلف ابن عمه ناصر ، هو الذي يعود اليه مجد اعادة الفتح هذا ، وقد بذل هذا الاستراتيجي الفذ نشاطاً كثيفاً على امتداد البلاد ، التي كانت تعيش حالة سلام مؤقت ، وزّود البلاد ببحرية قوية كفيلة بتأمين انتصاره على البرتغاليين" [١٤٤].

الامام سلطان بن سيف وانهاء الوجود البرتغالي في سواحل عمان :

---

[١٣٩] المصدر نفسه ، ص٢٩ .

[١٤٠] المصدر نفسه ، ص٢٩ .

[١٤١] مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ، ص١٢١ .

[١٤٢] غانم محمد رميض العجيلي، معركة تحرير مسقط، مجلة الوثيقة، العدد ١٢، السنة ٦، البحرين، ١٩٨٨، ص١٠٨.

[١٤٣] نور الدين السالمي ، تحفة الاعيان ، ص٦٥ .

[١٤٤] مقتبس في ، حسين غباش ، المصدر السابق ، ص١١١ .

بدأ حصار مسقط الاخير بعد بضعة اشهر من انتخاب سلطان بن سيف خلفا لناصر بن مرشد ، وقد كتب راهب دومنيكي يقول : "انهم يتهيأون الان مرة اخرى للحرب والحصار ، وقد اتخذ رجالنا مساء امس مواقعهم في الحراسة ... انني ارى انه مهما بذل العرب من جهد شاق ، فانه من غير جدوى ، لان مسقط محصنة تماما" (١٤٥).

وكان الامام سلطان قد بدأ يعدّ العدة لهذا الحدث الكبير ، بتحشيد جيشه ، بعد ان استجابت لندائه معظم القبائل العمانية التي تحشدت في منطقة "طوى الرولة" ومنها تقدم بقواته الى منطقة الوثوب في "سيح الحرمل" ، وما ان تم الاستعداد ، حتى اصدر اوامره بالهجوم ، فتم الاستيلاء على مجموعة تلال "بيرالراوية" لكن قواته واجهت مقاومة شديدة من البرتغاليين ، الذين اطلقوا نيران مدافعهم وبنادقهم ، مما حصد اعدادا كبيرة منها (١٤٦).

ولمواجهة هذا الموقف ، اكتفى الامام بفرض حصار على المواضع البرتغالية ، واعتمد الجيشان على القنص كلما اتيحت الفرصة لذلك ، وهكذا طالت الحرب حتى كاد الامام سلطان يتراجع عن حصاره ، بعد ان علم ان بعض القبائل بدات تفكر في الانسحاب (١٤٧).

ويدّون القس فرانسسكو دومنيك ما ياتي عن احوال مسقط ، في رسالة بتاريخ الخامس والعشرين من تشرين الاول عام ١٦٤٩ : "حاصر العرب مسقط ، بقوات متفوقة ، في خرق واضح لشروط الاتفاقية ، كلا الجانبين اصبح متهّيأ للحرب ، ومساء امس وأمام انظار رجالنا تقدم كشافتهم ، كلّ من البرتغاليين والعرب كانوا يعملون بجد ، الا ان جهود العرب تبدو غير مجدية..." (١٤٨).

وفي ظل هذه الظروف تمكنت قوة فدائية عمانية مطلع عام ١٦٥٠ ، من القيام بهجوم ليلي مباغت ، فعبرت السور ، واندفعت الى شوارع مسقط مجندلة كل من وقف امامها من الغزاة ، فاصيب البرتغاليون بانهيار معنوي تام ، فتدافعوا الى السفن الراسية في الميناء ، والى المركز (مخزن السلاح والذخيرة) طلبا للنجاة ، واندفع العرب نحو اعدائهم ونجحوا في الاستيلاء على سفينتين لهم (١٤٩).

---

(2)ő Quoted in Bathurst , the Ya'rubi , p.106.

(١٤٦) مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ، ص٨٢ .

(١٤٧) عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٣٨٣ .

(5) Achrouicle of Carmelites in Persia and the papal Mission of the XVII th and XVIII centuries , vol. 1 , London 1939, p.358.

(١٤٩) صالح العابد ، تحرير سواحل عمان ، ص٢٩ .

وعندما دخل جنود الامام المدينة ، لجأ البرتغاليون واعوانهم الى قلعة الجلالي ، ونتيجة الفزع الشديد ، فاتهم ان ينقلوا المؤن الغذائية ، التي كانت مخزونة في الوكالة الى الحامية فكان خطا كبيرا ارتكبه البرتغاليون ، وقد تم اخلاء اكثر من ستمائة رجل عن طريق البحر ، ولجأ كثيرون الى القلعة ، التي اعلن قائدها فرانسسكو دي تافورا Francisco de Tavora استسلامها في الثالث والعشرين من كانون الثاني عام ١٦٥٠ ، وبعد ثلاثة ايام استسلم المركز ايضا [١٥٠]. وتراجع الاسطول الذي كان يقوده براز كلدارا داماتوس الى ديو بعد ان فقد اثنين من سفنه . وفي الوقت نفسه الذي تم فيه تحرير مسقط ، نجحت قوة عمانية اخرى في الاستيلاء على حصن خصب [١٥١].

وبتحرير مسقط اصبح الساحل ، بموانئه كافة ، متحررا من السيطرة البرتغالية ، وبرزت عمان لاول مرة في التاريخ الحديث دولة موحدة مستقلة ، تحت قيادة سلسلة من الائمة العظام ، قدر لها ان تستمر قرابة ثلاثة ارباع القرن ، مما هيأ لها ان تؤدي دورا مركزيا ، ليس في تاريخ الخليج العربي فحسب ، بل في تاريخ غرب المحيط الهندي ، من خلال علاقاتها الحربية والسياسية مع القوى الاوربية والمحلية في الشرق .

---

[١٥٠] صالح العابد ، المصدر السابق ، ص٣٠

[3] Bathurst op. cit, p.107.

الفصل الثاني
العلاقات العمانية – البرتغالية وأهم ميادين الصراع
(١٦٥٠-١٧٣٠)

أ- البحرية اليعربية وآثرها في العلاقات الخارجية .

ب- الصراع اليعربي – البرتغالي المسلح على الساحل الغربي للهند .

ج- الصراع اليعربي - البرتغالي في شرق أفريقيا .

البحرية اليعربية واثرها في العلاقات الخارجية :

كان اتجاه اليعاربة ناحية البحر ضرورة إستراتيجية فرضتها الثوابت التاريخية والجغرافية ، بحكم موقعها المهم [١٥٢] ومنذ البداية ادرك ائمة اليعاربة ان قوة عمان تستلزم اسطولاً بحرياً قوياً يتصدى للأسطول البرتغالي .

ان المعارك التي خاضها العمانيون في عهد مؤسس دولتهم ، ناصر بن مرشد ضد البرتغاليين ، اقتصرت على البرّ لاستعادة الموانئ والسواحل العمانية. ولا شك في انه فكر في بناء اسطول من غنائم الحرب ، ليستأصل الوجود البرتغالي من بقية سواحل عمان والخليج العربي ، ويسيطر على تجارة عمان الخارجية الا ان المنية وافته قبل تحقيق هدفه[١٥٣] .

الا ان نقطة الانطلاق في التطور الكبير الذي شهدته البحرية العمانية ، كانت في عهد الامام سلطان بن سيف الاول الذي ادرك ان معركة مسقط ستكون فاتحة لصراع مصيري مع البرتغاليين .

بادر العمانيون الى بناء سفنهم ، وتبنوا طرازا جديدا من السفن الحربية ، يكون بمقدره مواجهة القلاع الطافية للعدو ، وقد افادتهم السفينتان البرتغاليتان ، اللتان تم الاستيلاء عليهما خلال معركة مسقط ، خبرة في وسائل بناء الطراز الجديد من السفن ، بتثبيت الواح ابدانها بالمسامير ، بدلا من الاسلوب التقليدي بخياطتها بالحبال وجعلوا لها فتحات للمدافع ، ورفعوا على اسطحها الصواري ذات الأشرعة المربعة ، الى جانب تحوير السفن المحلية بما يلائم الغرض الجديد [١٥٤].

ويبدو ان القوة التي وصل اليها الاسطول العماني ، الذي بناه الامام سلطان ، قد استغرقت حوالي عقدين من الزمن ، وجديد هذه المرحلة الاستعانة بعدد من السفن الاوربية الحديثة ، سواء عن طريق شرائها ، ام الاستيلاء عليها ، ام تأجيرها [١٥٥].

وتشير بعض المصادر الى ان تطور البحرية العمانية ، بهذه الصورة المذهلة ، لا يمكن ان يكون مصدرها السفن ، المصنوعة في عمان فقط ، ولا السفن المشتراة من الانكليز والهولنديين ، وانما كانت هناك سبل اخرى ، منها سورات التي كانت مركزا لصناعة السفن التي استخدمها العمانيون ، ومنطقة حوض السند ، فضلا عن اماكن اخرى لم تكن معروفة للاوربيين [١٥٦].

---

[١٥٢] انظر : صفحة (١)من الرسالة .

[١٥٣] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٣٩٨ .

[١٥٤] صالح العابد ، الصراع البحري العماني –البرتغالي في الخليج العربي وغرب المحيط الهندي في النصف الثاني من القرن السابع عشر مجلة كلية الاداب – جامعة بغداد ، العدد ٥٢ ، ٢٠٠١ ، ص٤١-٤٢ .

[4]Bathurst , Maritime Trade, p. 99-100.

[١٥٦] انظر :مايلز ،المصدر السابق،ص٢١١؛ Fa Clemeuts,Oman the Reborn land,London,1980,p.38.

وقد عزا بعض المؤرخين التفوق الذي وصلت اليه البحرية العمانية ، ولا سيما زمن الامام سلطان وابنه سيف ، الى علاقتهم الوثيقة ببعض امراء الهند ، اذ ضمن ائمة اليعاربة جلب الاخشاب اللازمة لبناء السفن ، فضلا عن عقد اتفاقيات بين اليعاربة وحاكم مقاطعة بجو الهندية ، ولعل ذلك ما دفع جون مالكولم John Malcolm الى الاعتقاد بان احسن الوسائل للقضاء على القوة البحرية العمانية ، هي قطع الصلة بين عمان وامراء الهند[١٥٧].

بدأ الاختبار الفعلي لقوة الاسطول العماني منذ عام ١٦٥١ ، وضمن المحاولات البرتغالية لاستعادة مسقط ، اذ كتب نائب الملك ، في رسالة بعثها الى ملك البرتغال جوان الرابع، في الاسبوع الاخير في شهر كانون الاول ، عام ١٦٥١ ، يقول : "لقد اصبح العرب مكتفين ذاتيا ، وواثقين من انفسهم ، بحيث يتطلب الامر ارسال اسطول ضخم جدا لتحقيق غايتين : سحقهم ، وتأمين مياه المنطقة ، والحيلولة بينهم وبين الوصول الى ممباسا ، التي اصبح من اليسير عليهم الوصول اليها ، وثانياً عدم اتاحة الفرصة للحكام الاخرين في الجوار للسير على منوالهم" [١٥٨].

وبعد سلسلة ضربات متوالية سددتها على المواقع البرتغالية غرب الهند وشرق افريقيا ، اصبحت قوة الاسطول العماني ذات تاثير مهم في منطقة الخليج العربي ، حيث غدا العمانيون يوصفون بانهم اسياد الملاحة والتجارة [١٥٩].

مثلت سنوات حكم الامام سلطان الاول ، مرحلة تطور ونهضة لعمان اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ، وبفضل الاسطول العماني البحري نشطت التجارة ، وعادت مسقط ، التي حلت محل هرمز ، اهم موقع تجاري وميناء توزيع لموانئ الخليج العربي الاخرى[١٦٠].

وكان الامام قد وظّف ، بعد تحرير مسقط من البرتغاليين نهائيا عام ١٦٥٠ ، عددا من السفن البرتغالية ، المستولى عليها ، للتجارة مع الهند وشرق افريقيا ، لجلب الذهب والعاج والشب والكبريت والعبيد [١٦١].

ويذكر باثرست، ان الاسطول العماني مارس نشاطاً متميزاً في التجارة زمن الامام سيف سلطان (١٦٩٢-١٧١١) اذ سيطر الاسطول التجاري العماني على الطرق المؤدية الى الخليج

---

[١٥٧] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤٠٣ ؛ عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص٦٩ .

[١٥٨] مقتبس في : صالح العابد ، الصراع البحري العماني –البرتغالي ، ص٤٣ .

[3] Bathurst , the Ya’rubi, p.124.

[١٦٠] حسين غباش ، المصدر السابق ، ص١١٣ .

[5]Bathurst , Maritim Trade , p.101-103.

العربي ، ومارس حقوق جباية الرسوم الكمركية ، مما انعش اقتصاد البلاد ، التي اصبحت تعيش في رفاهية، واصبحت مسقط المدينة التجارية الاساسية [١٦٢].

وبالعودة الى ما حققه الاسطول العماني ، في عهد خليفة الامام سلطان بن سيف بلعرب بن سلطان (١٦٧٩-١٦٩٢)، فان تقدماً واضحاً قد حصل ، وقد كتب احد المعاصرين في عام ١٦٨٩ يقول : "ان اهل مسقط يزيدون يومياً قواتهم البحرية... بتجهيز سفن قوية وكبيرة الحمولة . قبل سنتين فقط ، قاموا ببناء سفينة قوية وجيدة في سورات ، وهي ذات حمولة اكثر من الف طن ، وتحمل مالا يقل عن مئة مدفع" [١٦٣].

وفي عهد شقيقه سيف بن سلطان تعددت شهادات المراقبين في وصف البحرية العمانية ، اذ استطاع سيف حسم الصراع بها ضد البرتغاليين في الخليج وشرق افريقيا. واصبحت قوة الاسطول البحري اليعربي ، قوةً يشار اليها بالبنان ، إذ ضمت بحارة مهرة من العرب والهنود ومن الاوربيين ايضاً [١٦٤] ، ووصلت قوة الاسطول الى درجة ان بروس Bruce كتب عنها يقول: "كانت قوة العرب في مسقط في هذا الوقت ، من ناحيتي الشحن والقوى البشرية ، قوية جدا ، لدرجة تثيرُ الرعب من انهم سيضعون يدهم على الخليج كله" [١٦٥].

كما ذكر لوكير Lockyer سنة ١٧٠٥ : "لقد طور العرب مسقط منذُ ان انتزعوها من ايدي البرتغاليين ... لقد كانوا في حرب مع البرتغاليين – وكانت سفنهم تزداد يوميا ، فقد بنوا عدة سفن كبيرة في سورات ، وبعض السفن في نهر السند ، الذي كانت معلومات الاوربين عنه قليلة جدا . وكانت هناك اربعة عشر سفينة لنقل المقاتلين ، وعشرين سفينة تجارية، ... وكانت احدها تحمل سبعين مدفعاً ، ولم تكن بينها ما تحمل اقل من عشرين مدفعا ، وان موانئهم قريبة من بعضها البعض . وان هناك خمس عشرة ، او ست عشرة سفينة، ... في الخارج ، ويتوقع ان تعود الى البلاد في غضون اسبوعين ... وسفنهم عامة مجهزة برجال ذوي خبرة" [١٦٦].

---

[1] Ibid. p. 103; Fa Clements , op. cit. p. 39.

[2] Qouted in : Bathurst , the Ya'rubi, p.188

[3] Calvin H. Allen , Oman the Modernization of the sultanate , London , 1987 , P. 37 .

[4] John Bruce, the Annals of the Honorable East–India company Vol. 3, London , 1810 p. 169 .

[5] Qouted in Bathurst , the Ya'rubi, p.203 .

كما ذكر الدكتور روي فرير Ruy fryer ، الذي زار الخليج العربي في عهد سيف بن سلطان ، ان العمانيين اكتسبوا امكانات بحرية كبيرة ، وان نشاطهم البحري قد هدد بندر عباس، لدرجة ان الفرس طلبوا من الانكليز الابقاء على اسطولهم لحماية المدينة واجيب طلبهم [١٦٧].

ادت هذه الغارات العمانية ، بالوكيل الانكليزي ، في بوشهر برنجوين Brangwin الى ان يتنبأ "بان العمانيين قد يصبحون طاعونا في الهند ، كما كان المغاربة طاعونا في اوربا" [١٦٨].

ان الضربات الشجاعة التي وجهها ائمة اليعاربة ادت الى اضعاف الوجود البرتغالي في الشرق ، الامر الذي دفع بهم ، للتغطية على عجزهم ، بالتشكيك في القدرات الذاتية للعمانيين، ومن ثم تصوير انتصاراتهم ، على انها نتيجة المساعدات التي كانوا يتلقونها من الانكليز والهولنديين[١٦٩] يؤكد ذلك ما ورد في رد الملك البرتغالي على رسالة نائبه في الهند دوم بيدرو انتوينودي فيلا Dom Antonio de villa في الاول من اذار عام ١٦٩٧ وجاء فيه : "... إطّلعتُ على ما جاء في رسالتك بشأن الانكليز وكيف انهم يساعدون عرب مسقط ، ويرسلون اليهم المقذوفات والبارود، وجميع المواد اللازمة لتجهيز سفنهم، وسماحهم لهم ، برفع الراية الانكليزية ، وتوظيف البحارة الانكليز" [١٧٠].

وفي الواقع ان اليعاربة ، في صراعهم مع البرتغاليين، حاولوا تجنب اثارة الانكليز والهولنديين قدر الامكان، الذين ابتعدوا بدورهم عن التورط في الاشتباك مع هذه القوى المحلية، وهم يواجهون البرتغاليين عدوهم المشترك ، ولكن ذلك الامر لم يمنع، في حالات نادرة، تعرض سفن انكليزية وهندية، لهجمات السفن العمانية [١٧١].

وبتولي سلطان بن سيف الثاني الامامة ، ما بين عامي (١٧١١و ١٧١٨) ، شهد عهده قمة التفوق الملاحي العماني ، فزاد من قوة الاسطول البحري ، الذي شنّ المزيد من الغارات على المواقع البرتغالية ، ويذكر هاملتون ان قوة الاسطول العماني تمثلت : "بسفينة ذات اربع وسبعين مدفعاً واثنتين ذواتي ستين مدفعا ، وواحدة ذات خمسين مدفعاً و ثماني عشرة تحمل كل واحدة منها

---

[١٦٧] مقتبس في: عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤٠١ .

[2] Bruce , op. cit. Vol. 3 , p.198 .

[١٦٩] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤٠٢ .

[4] Qouted in : Frederick Danvers , Portugues in India being a history of the rise and decline of their Eastern Empire, Vol. 2, London , 1894. p.362; Bathurst , op. cit, p.186.

[١٧١] انظر : عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤٠٢-٤٠٣ .

ثلاثة عشر مدفعا ، ومجموعة من السفن الصغيرة التي تحمل كل منها ما لا يقل عن اربعة مدافع" [١٧٢].

ويذكر السالمي ان قوة الاسطول العماني ، في الحقبة ذاتها ، تقدر بما بين اربع وعشرين، الى ثمان وعشرين سفينة حربية تحمل اكبرها، وتدعى الملك ، ثمانين مدفعاً ضخماً [١٧٣].

وبفضل خبرتهم البحرية ، فرض العرب نفوذهم على السواحل البحرية الممتدة من راس قمران حتى البحر الاحمر[١٧٤]، واصبحت عمان اعظم قوة بحرية ، غير اوربية ، غرب المحيط الهندي ، وبلغ اسطولها اوج عظمته خلال العقدين الاولين من القرن الثامن عشر [١٧٥].

الصراع اليعربي – البرتغالي المسلح على الساحل الغربي للهند :

بعد الانتصارات التي حققها الامام سلطان في مسقط ، عين سيف بن بلعرب والياً عليها[١٧٦]. ومنها اسرع الى مطرح لمنازلة البرتغاليين هناك ، ويبدو ان قائد حامية مطرح ، قد وصلته انباء الكارثة التي حلت بالحامية البرتغالية في مسقط ، فخرج على راس معاونيه رافعا راية الاستسلام [١٧٧].

توجه بعدها الامام الى نزوى ليستقبل المهنئين ، وقد علم أن سفينة عربية كبيرة ، جاءت من البصرة ، تحمل عربا مهنئين من البصرة وقرين وكاظمة والبحرين ، ومن القبائل العربية في الساحل الشرقي ، ومن قطر ودبى وخور فكان وجلفار ، وقد كُتب على شراعها : (واعتصموا بحبل الله جميعاً) وكتب ادنى من ذلك : (عرب البحر العربي يهنئون عمان بانتصارها على البرتغال) ، فعاد الامام سلطان الى مسقط ليستقبل المهنئين العرب [١٧٨].

---

[1]Alexander Hamilton , Anew . Account of East Indies , London , 1827, Vol. 1 , p.74; Bathurst , op, cit. , p.208.

[١٧٣] نور الدين السالمي ، تحف الاعيان ، ج٢ ، ص١٠٠-١٠١ .

[١٧٤] غانم رميض العجيلي ، قيام حكم سلالة اليعاربة ، ص٦١ .

[١٧٥] طارق نافع الحمداني ، المصدر السابق ، ص١١٣ .

[١٧٦] المصدر نفسه ، ص١١١ .

[١٧٧] فالح حنظل ، المفصل ، ص٨٣ .

[١٧٨] علي ابا حسين ، تعليق على بحث "فترة التنافس الاوربي بين عامي ١٦٥٠-١٨٠٠"، مجلة الوثيقة ، العدد ٣٤ ، السنة ١٧ ، البحرين ، ١٩٩٨ ، ص١٢٣؛ عبد الرزاق البصير ، الخليج العربي والحضارة المعاصرة ، جامعة الكويت ١٩٨٦ ، ص٤٢ .

كانت عملية طرد البرتغاليين من مسقط ، مأثرة صاحبت نمو القوة العمانية الذاتية ، وهي قوةٌ استطاعت ان تحقق ، بالمقاييس الاقليمية مركزاً تجارياً وملاحياً وسياسياً بارزاً ، وبتحريرها لم تنته الحرب بين العمانيين والبرتغاليين ، انما امتدت الى بقية الاجزاء الغربية للمحيط الهندي [١٧٩].

تواصل الصراع اليعربي – البرتغالي ، بعد تحرير مسقط ، مدةً تزيد على ثلاثة ارباع القرن ، واولى بوادر هذا الصراع المحاولات البرتغالية السريعة لاستعادة مسقط ، فحال ورود انباء الاندحار البرتغالي ، سارع نائب الملك دوم فيليب Dom Philip بارسال اسطول من سبع سفن الى الخليج العربي ، واصدر تعليماته الى قائده ببذل اقصى الجهود للحصول على مساعدة الفرس في عملياته ضد العمانيين [١٨٠].

وبعد ان توقف الاسطول في ميناء كونك ، اتجه نحو القطيف، وهناك اصطدم بالاسطول العماني ، فنشبت معركة بحرية اسفرت عن دحر الغزاة وتراجعهم . وحاول نائب الملك في اذار عام ١٦٥٠ ان يجرب حظهُ مرة اخرى ، فارسل اسطولاً أخراً الى الخليج العربي كان اكثر قوة من سابقة ، ولاستعادة أي من الموانئ العمانية المحررة ، الا ان محاولته باءت بالفشل [١٨١].

لقد وضح الاب فيليكس في رسالة بعثها من البصرة بتاريخ ١٦٥٠/٦/٤ ، الانطباع الذي ساد البرتغاليين بعد فقدانهم مسقط، فكتب يقول : "استولى العرب على مسقط فكان ذلك عارا كبيرا علينا وذلك بخطأ من الجنرال (البرتغالي) الذي توفي هناك بسبب الشعور بالعار على ضياعها" [١٨٢].

وفي اذار عام١٦٥٢ وصل اسطول برتغالي قوي ، لم يلبث ان شنّ هجوماً على مسقط لكنه فشل ، واشار الهولنديون الى تسرب شائعات تفيد بان البرتغاليين قد تكبدوا خسائر فادحة [١٨٣].

وفي الاول من ايار عام ١٦٥٢ ، دخل خليج عمان اسطول يقوده انطونيو سوسا كوتنهو، Antonio De Souse Continho ، ورسا خارج خصب ، وحاول البرتغاليون بناء قاعدة هناك،

---

[١٧٩] روبرت جيران لاندن ، المصدر السابق ، ص٥٠ .

[١٨٠] غانم العجيلي ، المصدر السابق ، ص٥٦ .

[١٨١] نايف الاحبابي ، المصدر السابق ، ص١٥٤ .

[4]Achronicle of Carmelites , p. 358.

[١٨٣]سلوت ، المصدر السابق ، ص١٧٤ .

إلا أن تهديد الاسطول العماني منعهم من ذلك ، وابحرت القوات البرتغالية الى كونك ، حيث عقد القائد البرتغالي اتفاقية مع الفرس (١٨٤).

وهكذا لم يبق للبرتغاليين في المنطقة سوى منفذ صغير ، هو (كونك) جنوب بلاد فارس، الذي اصبح مقرهم الذي مارسوا منه نشاطهم التجاري (١٨٥).

ادت هجمات الامام هذه ، الى تشجيع الامراء الهنود على الانتفاضة ، فقاموا بتحريض من امام عمان ، بالاستيلاء على قلعة كانارا Canara وتخليصها من البرتغاليين في ١٤ تموز ١٦٥٣ (١٨٦).

تواصلت الهجمات التي شنها الامام سلطان بن سيف ضد المواقع البرتغالية ، ففي الساحل الشرقي للخليج العربي هاجم كونك، ومد نطاق تعرضه نحو مستعمراتهم في الهند وشرق افريقيا ، فتعرضت بومباي الى غارتين ناجحتين في عام ١٦٦١ ، وعام ١٦٦٢ ، دمر خلالهما الاسطول العماني المواقع البرتغالية في الجزيرة ، وغنم منها غنائم ثمينة (١٨٧).

ورداً على تلك الهجمات ، جهزّ البرتغاليون في عام ١٦٦٧ اسطولاً من ثماني سفن ، وحوالي ستين مركبا لمهاجمة مسقط ، الاّ أن الحملة لم تحقق أيّا من اهدافها ، اذ لم تصل سوى سفينة واحدة الى كونك ، واضطرت السفن الباقية الى العودة الى قواعدها . ويعزو باثرست اسباب الفشل الى سوء قيادة الحملة وافتقارها الى التموين والادامة (١٨٨).

وكرر البرتغاليون المحاولة في السنة التالية ، عندما جهز الادميرال جوزيف دي ميلو كاسترو Joseph De Mello Castro كاسترو حملة ، استولى بها على سفينتين عربيتين محملتين بالرز والخيول . هيأ بعدها اسطول من ثمان سفن ، بهدف مهاجمة مسقط ، ولكن تدهور معنوية رجاله وترددهم اجبره على المرابطة بالقرب من جاسك ، لممارسة القرصنة ، بمحاولات قطع الطريق امام السفن العمانية (١٨٩).

وسارع العمانيون الى الرد ، فتحرك اسطول من اربع وعشرين سفينة ، يحمل على متنه اكثر من الف مقاتل ، وتوجه الى اهم الحصون البرتغالية في غرب الهند ، وهو حصن ديو Deu،

---

(١٨٤) غانم محمد رميض العجيلي ، الصراع البحري العماني – البرتغالي في البحار الشرقية ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٣ ، السنة ٧ ، ١٩٨٨ ، البحرين ، ص٨٤ .

(2) Donald Hawley , the Trucial States , London , 1969 , p.75.

(3) Achronicle of carmelites , p.360 .

(4) Bathurst , the Ya'rubi , p. 121.

(5) Ibid. p.122.

(6) Ibid, p.123.

فوصله في كانون الاول عام ١٦٦٨ ، ونجح العمانيون في احتلال المدينة، وبعد ان مكثوا فيها ثلاثة ايام عادوا منها بغنائم كبيرة (١٩٠).

وقد مكنت هذه الغنائم الامام من بناء (قلعة نزوى الشهيرة) التي استغرق بناؤها اكثر من اثنتي عشرة سنة ، وتعد القلعة احدى معالم تاريخ عمان الوطني (١٩١). ومن الواضح ان رجال الحامية البرتغالية هناك لم يستطيعوا صد الهجوم العماني ، بل اكتفوا بارسال ثماني سفن حربية لتعزيز قواتهم البحرية المرابطة في كونك ، ولكن هذه القوة لم تلبث ان عادت الى قواعدها في اذار عام ١٦٦٩(١٩٢).

باتت التحركات العمانية تقلق نائب الملك البرتغالي ، مما دفعه الى ارسال اسطول في صيف العام نفسه ، مكون من اربع سفن حربية ضخمة ، وست فرقاطات بقيادة ، جيرونيمو مانويل Dom Geronimo Manoell ، عبر هذا الاسطول بندر عباس نهاية حزيران ، وفي نهاية اب واوائل ايلول التقى اسطولاً عمانياً مكونا من ست سفن وتسع عشرة بغلة ، في الممر المائي المؤدي الى كونك . فنشبت معركة بحرية ضارية بين الطرفين ، وصفها الوكيل الانكليزي في بندر عباس ، بقوله "كان التحاما دموياً مريعاً ... قُتل خمسمائة من العرب، وخسر البرتغاليون ، معظم مقاتليهم ... واقتحم البحارة العرب سفينة القيادة البرتغالية ... ثم انسحب العرب استعدادا لالتحام جديد ، بينما تراجع الادميرال البرتغالي باسطوله الى غوا للحصول على مزيد من السفن بهدف مهاجمة مسقط"(١٩٣).

ويشير باثرست الى هذه المعركة بقوله :"وقد هوجم الادميرال ، لكن العرب انسحبوا في النهاية ، مهددين بمعركة اخرى، وعاد القائد البرتغالي الى كوا ، من اجل اعداد اسطول اكبر لمهاجمة مسقط"(١٩٤).

عاد الاسطول البرتغالي في العام التالي ١٦٧٠ ، بقوة اكبر ، وحاول الاقتراب من مسقط ، لكن تقارير الوكالة الانكليزية في بندر عباس تذكر انه : "لم يستطع تحقيق أي نجاح، على الرغم من وصول التعزيزات اليه ، في شهر كانون الاول، ... ان البرتغاليين يحدثون ضجة كبيرة ، ولكنها لا تؤثر في اعدائهم العرب والهولنديين، وعلى اية حال لم يحدث اشتباك كبير بين

---

(1)Ibid. p.123.

(١٩١) حسين غباش ، المصدر السابق ، ص١١٢-١١٣.

(١٩٢) صالح العابد ، الصراع البحري العماني ، ص٤٧ .

(١٩٣) المصدر نفسه ، ص٤٧ .

(5)Bathurst , the Ya'rubi , p.125.

الاسطولين، واكتفى البرتغاليون بعمليات قرصنة مارسوها ضد السفن التجارية العمانية، وكان اكبر نجاح حققوه في شتاء عام ١٦٧٠ هو اسرهم قافلة تجارية عمانية كبيرة قادمة من البصرة" (١٩٥).

وفي العام نفسه ، رد العمانيون بمهاجمتهم ديو (١٩٦). وبعد ان اصاب الانهاك الطرفين ، حاولا التوصل الى تسوية مؤقتة ، فشعور الادميرال البرتغالي انطوينو دي ميلو Antonio De Mello بالحرج نتيجة تدهور حالة بحارته المعنوية ، وعجزه عن تحقيق نتيجة حاسمة ، دفعه لاتخاذ مبادرة شخصية تعارضت مع تعليمات نائب الملك .

ففي الرابع والعشرين من ايلول عام ١٦٧٠ توجه دي ميلو الى صحار للتفاوض مع الامام سلطان ، واسفر اللقاء عن هدنة ، تعهد فيها الطرفان بعدم التعرض للاخر مدة ستة اشهر (١٩٧).

تلقى بعدها دي ميلو اوامر من نائب الملك بالعودة الى كوا حيث صدرت الاوامر بنقض الاتفاقية ، التي توصل اليها مع الامام سلطان ، قبل تنفيذ بنودها ، كما قبض على دي ميلو وأُرسل الى لشبونة لمحاكمته بتهمة توقيع هدنة مع امام مسقط خلافا لتوجيهات الحاكم (١٩٨).

توهم البرتغاليون، فظنوا ان الدولة العمانية قد ضعفت حين تساهل العمانيون وقبلوا الهدنة ، وهي في حقيقتها ، لم تكن الا محاولة لاستعادة القوة ، التي تاثرت بعض الشيء بسبب، الاشتباكات المتواصلة ، لذا بادر الحاكم البرتغالي ، مدفوعا بهذا الوهم الى ارسال اسطول لمهاجمة مسقط والموانئ العمانية الاخرى (١٩٩).

وصل الاسطول البرتغالي ، المؤلف من اربع عشرة سفينة ، الى الخليج العربي في اذار عام ١٦٧١ ، وظل مرابطاً في ميناء كونك حتى تشرين الثاني من عام ١٦٧٢ ، وكان بصدد اجبار الفرس على دفع الضرائب المترتبة عليهم للبرتغاليين في كونك ، والتي لم تسدد منذ ثلاث سنوات(٢٠٠).

وظلّ الاسطول البرتغالي في مياه الخليج العربي حتى اب عام ١٦٧٣ ، بانتظار حصول مواجهة بحرية مع العمانيين ، الا ان عمليات حربية لم تقع ، فلم يجد قائد الاسطول البرتغالي

---

(١٩٥)صالح العابد ، الصراع البحري العماني ، ص٤٧ .

(١٩٦)حسين غباش ، المصدر السابق ، ص١١٢ .

(١٩٧)صالح العابد ، المصدر السابق ، ص٤٧-٤٨ .

(4)Bathurst , op. cit,. p.130.

(١٩٩)صالح العابد ، المصدر السابق ، ص٤٨ .

(6)Achronicle of Carmelites , p. 426.

الشجاعة الكافية للاقتراب من قلعة مسقط ومهاجمتها [٢٠١]. واكتفى خلال الشتاء ، بالقيام بعمليات تخريبية للمناطق المحيطة بمسقط [٢٠٢].

وجاء الرد العماني سريعا ، ففي شباط عام ١٦٧٤ ، وبتنسيق مع الهولنديين ، ارسل الامام سلطان اسطولا ، من عشر سفن ، لمهاجمة باسين Bassien ، ونجح الاسطول في انزال خمسمائة رجل ، استطاعوا الحاق الهزيمة بقوة الدفاع البرتغالي ، وحملوا معهم غنائم كثيرة ، ونتيجة الانهيار المعنوي البرتغالي لم يجرؤ احد منهم على مهاجمة العمانيين طيلة وجودهم في المدينة لخمسة ايام ، عادوا بعدها الى مسقط . وقد ادت هذه الغارة الى دفع عدد كبير من سكان باسين الى تركها لاجئين الى بومباي [٢٠٣].

وشهد كانون الثاني من عام ١٦٧٦ ، هجوما عمانيا على ديو ، واسفر القتال بين الطرفين عن تدمير عدة سفن برتغالية ، واسر اخرى ، والعودة بغنائم وافرة منها [٢٠٤].

ومرت سنتان من غير حدوث اشتباك مسلح بين الطرفين ، وفي بداية نيسان عام ١٦٧٨ ارسلت قوة برتغالية ، من خمس عشرة سفينة ، وبعض الزوارق ، نحو الخليج العربي ، لاشغال العمانيين ، لكنها سرعان ما غّيرت وجهتها نحو حملة مهمة الى شرق افريقيا ، لتعزيز الوجود البرتغالي فيها ، والحيلولة دون وقوعها بيد العمانيين [٢٠٥].

تابع خليفة الامام سلطان ، ابنه بلعرب ، الحرب ضد البرتغاليين ، بالهمة التي كانت لدى والده ، فحقق في شرق افريقيا انتصارات كبيرة ، فانتزع ماليندي وفازا ولامو وباتا ، بينما بقيت ممباسا بيد البرتغاليين [٢٠٦].

اما على الصعيد العماني الداخلي فان استمرار عمليات القرصنة البرتغالية في الخليج العربي، وما عانته التجارة العمانية بسببها ، وشعور البرتغاليين في المقابل بالعجز ازاء الاسطول العماني ، دفع الطرفين الى فتح باب المفاوضات عام ١٦٨٨ [٢٠٧].

مثّل البرتغاليين في هذه المفاوضات جونسالو سيمويس Goncales Simoes [٢٠٨]. بينما مثّل الامام الشيخ عبد الله سليمان ، وابرمت بين الطرفين اتفاقية ، سمحت للبرتغاليين بفتح وكالة

---

[1] Ibid, p.426.

[2] Bathurst , op. cit,. p.131.

[٢٠٣] صالح العابد ، المصدر السابق ، ٤٨ .

[4] Bathurst , op. cit. p.132.

[205] Ibid, p.132-133.

[٢٠٦] صالح العابد ، المصدر السابق ، ص٥١ .

[7] Ibid, p.138 .

[٢٠٨] هو مدير الشؤون البرتغالية في كونك ، وقد اعتمدت مسودة الاتفاقية بينهما على شرط الهدنة ، التي سبق ان

لهم في مسقط ، واستخدام ميناء خصب اذا رغبوا بذلك ، وسمح البرتغاليون ، في المقابل ، للسفن العمانية بالتردد على الموانئ البرتغالية في الهند كما يؤدي البرتغاليون الرسوم الكمركية المحددة في مسقط [٢٠٩].

لم يسفر ذلك الاتفاق ، عن هدنة حقيقة ودائمة ، اذ اراد كلا الجانبين كسب المزيد من الوقت ، ولم يمض سوى وقت قصير حتى باغت اسطول برتغالي ، يقوده الكابتن دييغو دي ميلو، سفنا تجارية عمانية في ميناء سورات ، ودمرها [٢١٠].

وبعد مرور ثلاث سنوات ، قام الكابتن دي ميلو سامبايو بالحاق خسائر كبيرة بالاسطول العماني قرب سورات[٢١١].

ادت السياسة المرنة التي سلكها بلعرب تجاه البرتغاليين ، الى استياء شقيقه سيف ، الذي قاد جبهة المعارضة ، التي تحولت الى انتفاضة واستطاع خلال عام ١٦٨٩ الاستيلاء على مسقط ، وفرض سيطرته على معظم انحاء البلاد ، وادى الصراع بين الاخوين ، الذي انتهى بوفاة بلعرب عام ١٦٩٢ ، الى توقف عمليات التصدي للبرتغاليين [٢١٢].

استأنف سيف سياسة الجهاد البحري ضد المواقع البرتغالية في الهند وشرق افريقيا ، فارسل عام ١٦٩٤ حملة بحرية كبيرة لمهاجمة جزيرة سالست Salsette البرتغالية قرب بومباي [٢١٣]. وتمكن مقاتلو الحملة من تدمير المواقع البرتغالية فيها وعادوا منها ب(١٤٠٠) اسير، واتبع هذا الهجوم ، بالهجوم على بارسلور ومنغالور ، اذ كانت الاولى مركزا للرز الذي يجهز كوا ، وكانت الثانية ، اكبر سوق في مستعمرات كنارا ، وفيها وكالة للرز ، خاصة بالبرتغاليين [٢١٤].

وفي العام التالي عاود العمانيون الهجوم على المدينتين ، فاحرقوهما وعادوا بالكثير من الغنائم [٢١٥]. كما قام اسطول عماني من خمس سفن تحمل (١٥٠٠) رجل ، بمهاجمة ميناء كونك، فدمر المقاتلون العمانيون القاعدة تماما ، واسروا سفينة كبيرة ، وغنموا ما قيمته (٦٠,٠٠٠) تومان ، أي ما يعادل ١٩٨,٠٠٠ باون [٢١٦].

عقدت بين سلطان بن سيف ودي ميلو عام ١٦٧٢ ، ورفضها نائب الملك وقتها .

[٢٠٩]ينظر : سلوت ، عرب الخليج ، ص٢١٦ ؛ Bathurst , the Ya'rubi , p.140.

[٢١٠]صالح العابد ، الصراع البحري العماني ، ص٥١ .

[3]Danvers . op. cit. p.370.

[٢١٢]عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤٠١ .

[5] CL. Huart , Histoire des Arabes , Tome II , Paris , 1913 , p. 264.

[6]Bathurst , op. cit., p.141-2 ; Bruce , Annals , vol.3 , p.216 ; Alexander Hamilton , op, cit. p. 75.

[7]Bathurst , op. cit., p.142 .

[٢١٦]صالح العابد ، المصدر السابق ، ص٥٢ ؛

S. B. Miles, The countries and Tribes of the Persian Gulf , Vol. 2 , London , 1919, P. 219 .

وفـي سـنة ١٦٩٦، خطـط البرتغـاليون لحملـة كبيـرة ضـد مسقط الا انهـا لـم تنفذ بسـبب احتياجـات البرتغـاليين للامــدادت لمواجهــة العمــانيين فــي جبهــة شــرق افريقيــا اثنــاء حصــار ممباسا (٢١٧).

وفـي تشـرين الاول مـن العـام نفسـه وصـل دوم كريغـور فيـد الغـو Dom Gregorio Fedalgo مبعوثاً خاصاً من لشبونة الى اصفهان ، يطلب مساعدة الفرس في الحرب على عمان، الا ان هذه المهمة لم تحقق النجاح المطلوب ، لعدم امتلاك الفرس اسطولا بحريا (٢١٨).

وفي اذار عام ١٦٩٨ ، اصطدم الاسطول العماني والبرتغالي في معركة بحرية بالقرب من راس الحد ، انتهت بخسارة قاسية للعمانيين، اذ قُتل حوالي مائتي رجل ، بضمنهم والي مطرح ، اما خسائر البرتغاليين فقدرها ، دانفرز بـ(٥) قتلى و (١١) جريحاً ، وتم اخر الامر انسحاب الاسطول العماني (٢١٩).

وتمكـن الامـام سيف بـن سلطان مـن الحـاق هزائم كبـرى بالبرتغـاليين فـي شـرق افريقيـا ، فاستولى علـى ممباسـا اقوى حصـونهم سنة ١٦٩٨ ، ثـم اخضـع علـى التوالي بمبا وزنجبـار وباتـا وكلوة (٢٢٠).

ادت هجمـات الامـام سـيف الـى شـلّ حركـة التجـارة البرتغاليـة فـي كونـك ، التـي هـاجر عدد كبير من تجارها (٢٢١). بينما تواصلت هجمات العمانيين على المواقع البرتغالية .

وبحلـول اواخـر سـنة ١٧٠٣ ، ارسـل الامـام سيف خمـس سفن حربيـة لمهاجمـة دامـان ، Deman حيث نجح العمانيون في تدمير ، المواقع البرتغالية في المدينة ، والبقاء مدة سبعة ايام، والعودة بغنائم وافرة ، منها خمس عشرة سفينة ، ولم يستطع الاسطول الذي ارسله نائب الملك ، المؤلف من سبع سفن كبيرة ، من تحقيق نصر حاسم على العمانيين (٢٢٢).

وبجرأة كبيرة عـاد العمـانيون فـي اذار عـام ١٧٠٥ ، الـى مهاجمـة دامـان بحملـة اخرى من ست عشرة سفينة ، نجحت اربع منها في انزال جنودها على البر ، اذ تمكن المهاجمون من احداث فوضى في المدينة ، وتشتيت قوة المدافعين عنها (٢٢٣).

---

[1] Bathurst , op. cit,. p.195.
[2] Ibid, p.195.
[3] Danvers. Op. cit. p.374.
(٢٢٠) عبد المنعم عامر ، عمان في امجادها البحرية ، سلسلة تراثنا ، العدد ٨ ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠ ، ص٤٨ .
(٢٢١) عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص٧٨ .
[6] Bathurst , op.cit,. p. 203-204.
[7] Ibid, p.204.

وشهد عصر سيف بن سلطان الهجوم الاخير على المواقع البرتغالية في الهند ففي سنة ١٧٠٨ ابحرت حملة من اربع عشرة سفينة، على متنها سبعة الاف رجل، نحو ساحل ملبار، حيث نزلوا في مدن منغالور وبارسلور . ويذكر باثرست ان البرتغاليين كانوا مستعدين لمواجهة هذا الهجوم،وانهم اوقعوا خسائر في صفوف العمانيين تقدر بما بين اربعمائة الى خمسمائة رجل[٢٢٤].

وبعد وفاة سيف بن سلطان ، تولى ابنه سلطان الثاني الامامة ما بين عامي (١٧١١-١٧١٨) ، فواصل سياسة التصدي للبرتغاليين في البحار الشرقية ، ويذكر سلوت ان عام ١٧١٤ شهد تجدد الهجمات العمانية ضد البرتغاليين في ميناء كونك ، فاستولوا على السفن الراسية في الميناء ، ودمروا اجزاء من المدينة [٢٢٥].

وتجددت الاشتباكات بين الطرفين بداية عام ١٧١٤ قرب سورات ، وعلى الرغم من جهود الاسطول البرتغالي في صد الهجوم العماني ، نجح الاخير في الاستيلاء على سفينة ، تعود الى احد رعايا الملك قرب مكاو ، فسارع نائب الملك بابلاغ امبراطور المغول ومحافظ سورات بالاستعداد لمواجهة العرب وتقديم الدعم للقوات البرتغالية [٢٢٦].

سارع نائب الملك بارسال اسطول لمهاجمة العمانيين في شباط عام ١٧١٤ ، وطبقا لما ذكره البرتغاليون ، فان معركة عنيفة جدا وقعت بين الطرفين ، استمرت من الصباح الباكر حتى وقت متأخر من الليل ، اضطر العمانيون فيها الى الانسحاب بعد غرق سفينة القيادة في الخليج [٢٢٧].

ولما وصلت انباء هزيمة الاسطول العماني الى الامام سلطان بن سيف الثاني ، اصدر تعليماته الى الاسطول بالتوجه الى كونك حيث طلبوا تسليم الوكيل البرتغالي ، ولما رفض البرتغاليون طلبهم ، نزل المقاتلون العمانيون الى المدينة ، وهاجموا من فيها ، قبل ان تظهر قوة الدعم البرتغالي ، وبمساندة الفرس تمكنت من صد العمانيين واجبارهم على الانسحاب [٢٢٨].

---

[1]Ibid, p.204.

[٢٢٥]سلوت ، عرب الخليج ، ص٢٣٦ .

[3]Danvers , op. cit,. p. 379.
[4]Ibid, p.379.
[5]Bathurst , Op. cit., p. 208.

ولمواجهة هذه التهديد العماني ، قرر الشاه ، بمساعدة قائد الاسطول البرتغالي فرانسيسكو بيريرا Fransisco Pereira ، ارسال اربع سفن الى مضيق هرمز، للتصدي للعرب في موانئ الساحل الشرقي(٢٢٩).

الا ان العرب نجحوا في قطع خطوط المواصلات بين الهند ، والموانئ الفارسية ، وبحلول سنة ١٧١٧ تمكن الامام سلطان من احتلال جزر قشم ولارك والبحرين ، وجرت محاولة للاستيلاء على هرمز ، لكنها فشلت في تموز عام ١٧١٨ (٢٣٠).

ويبدو ان تعدّد جبهات القتال العمانية لم يمنع الامام سلطان الثاني من توجيه اسطول قوي ، في تشرين الاول عام ١٧١٧ ، الى ديو ودامان ، ومهاجمتهما ، مما دفع الحاكم الجديد دوم لويس مينزس Dom Luis de Menezes الى ارسال اسطول برتغالي ، من خمس سفن لمواجهته (٢٣١).

شهد عام ١٧١٧ تقارباً برتغالياً – فارسياً واضحاً ، لتشكيل حلف هجومي ضد مسقط ، فارسل شاه فارس مبعوثا الى كوا ، لتنسيق العمليات ضد العدو المشترك . وبالفعل تم ارسال اسطول برتغالي الى كونك في شباط عام ١٧١٩ ، وظل متواجداً فيه حتى نيسان من العام نفسه(٢٣٢).

وما ان التقى بالاسطول العماني ، حتى دارت بينهما معركة بحرية عنيفة ، استمرت قرابة يوم كامل ، اضطر فيها الاسطول العماني الى الانسحاب ، تلتها عدة اشتباكات غير فاصلة بين الطرفين حتى الثامن من اب ، وتذكر المصادر أن خسائر العرب كانت كبيرة (٢٣٣).

تراجع العمانيون بعد ذلك الى جلفار (راس الخيمة) بانتظار وصول تعزيزات من مسقط، وبعد مرور ثلاثة اسابيع حدث اشتباك اخر بين الطرفين استمر عدة ايام ، اضطرت السفن العمانية في ايلول الى اللجوء الى موانئها . ولم تجر اية محاولات برتغالية لمواجهتها هناك (٢٣٤).

ظل الاسطول البرتغالي مرابطاً في منطقة الخليج العربي طوال فصل الشتاء، ثم انسحب الى كوا، وتُعزى، النكسات التي لحقت بالاسطول العماني الى الحرب الاهلية(٢٣٥). التي عاشتها

---

(1)Ibid , p 208.
(2)Ibid, p.210.
(3)Ibid , p. 210.
(4)Danvers, Op. cit., p.384.
(5)Ibid, p.384.
(6)Bathurst op, cit,. p. 212.
(٢٣٥)حول تفاصيل الحرب الاهلية انظر ايضاً : صالح العابد ، دور القواسم ، ص٤٣-٥٠ .

البلاد بعد وفاة الامام سلطان الثاني عام ١٧١٨ ، وانقسام العامة والخاصة بين الولاء لسيف والولاء لابن عمه مهنا [٢٣٦].

اذ أيد العامة امامة سيف، وأيد الخاصة والعلماء امامة مهنا ، وانتهت هذه الازمة بانتخاب سيف اماماً وجعلوا مهنا اماماً ايضاً لكن سراً [٢٣٧] .

لم تهدأ الاوضاع بحل كهذا ، اذ ثار يعرب بن بلعرب وقتل مهنا ، وطالب بالوصاية على سيف بن سلطان لكن يعرب هذا استحوذ على السلطة ، مما دفع يعرب بن ناصر الى ان يخلعه ، ويعقد الامامة لسيف مرة اخرى سنة ١٧٢٣ ، وتولى هو الوصاية عليه [٢٣٨].

ردّ الوصي المخلوع يعرب بن بلعرب بالاتفاق مع محمد بن ناصر الغافري على اثارة القبائل الرافضة لهذا الوضع ، مما ادخل البلاد في حرب عنيفة استنزفت امكانات الدولة العسكرية والاقتصادية التي حققها الائمة الاوائل [٢٣٩] .

والملاحظ على النشاط البحري العماني انه اخذ بالتراجع منذ عام ١٧١٩ ، فكانت هذه فرصة مناسبة للبرتغاليين للتغلغل في جبهات الغرب وشرق افريقيا ، اما في مياه الخليج العربي فقد واصل الاسطول البرتغالي هجماته على السفن العمانية طوال عام ١٧٢٠ [٢٤٠] ولكن النفوذ البرتغالي في الخليج العربي اخذ يتضاءل بفعل عدة عوامل ياتي في مقدمتها الصراع الحاد الذي نشب بين البرتغاليين ، والقوى الاوربية الاخرى الراغبة في توطيد نفوذها في منطقة الشرق ،

---

[1]Danvers , op.cit,. p. 385.

[٢٣٧]يعد وجود امامين في وقت واحد امراً مخالفاً للمذهب الاباضي ، وقد فكر الشيخ القاضي عدي بن سليمان بخدعة لحل الازمة حين قدم الى عامة الناس ، سيف بن سلطان من على شرفة القصر ، ليس بصفته إمام بل اعطاه صفة الأمام أي المقدمة ، فقال : "هذا سيف امامكم" فاقتنع الناس وقام بعدها بادخال مهنا للقصر سراً حيث اعلن الخاصة انه الامام الفعلي ، لكن الوضع تأزم فأغتيل مهنا وهو في سجنه وعين يعرب بن بلعرب وصياً على سيف في نزوى وقتل القاضي عدي بن سليمان ، وسحبت جثته في مدينة الرستاق وهرب بعدها الوصي يعرب الى جبرين . للتفاصيل ينظر :

C.L. Huart , op.cit., p.265; Badger , History of Imams and Syydies in Oman , London, 1871 , P. xxx .

[٢٣٨] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤٢٢ .

[4] Wendell , Phillips , Oman A History , London , 1967 , p. 52-53 .

[٢٤٠]فالح حنظل ، المصدر السابق ، ص١٣١ .

كـالانكليز والهولنـديين والفرنسـيين ، الـذين خاضـوا ضـدهم معـارك ضـارية ، اخـذت بعـدها مواقـع البرتغاليين تتساقط الواحدة تلو الاخرى[٢٤١].

وكان للضربات القوية التي وجهها ائمة اليعاربة للوجود البرتغالي في الخليج العربي والهند وشرق افريقيا، الاثر البالغ في اضعاف الوجود ، الذي استنزف ثروات طائلة من خزائن ملك البرتغال وفي تعليق المؤرخ البرتغالي فاريا سوزا على الدمار الذي اوقعه البرتغاليون في الهند والذي عجل بانهيار نفوذهم ، لم يتوان هذا المؤرخ عن تأنيب البرتغاليين على اساليبهم الوحشية والقاسية التي استخدموها ، فيذكر : كان "البرتغاليون يسعون الى جمع الثروة دون ان يؤمنوا الوسائل الكفيلة بحمايتها. ان تدهور احوالنا ينبعث من الاستهتار بالاشياء الهامة طمعا في الامور التافهة. وان تشبث البرتغاليين بالامور التافهة جعلهم ينسون بلادهم وكرامتهم"[٢٤٢].

وفي المقابل كان النشاط البحري العماني ، الذي وصفه كثير من المؤرخين الاجانب تجاوزا (القرصنة) ونشير الى ما كتبه سلوت في هذا المجال قائلا : "علينا ان ناخذ بعين الاعتبار ان الحرب بين البرتغاليين وبين عرب عمان كانت مستمرة تقريباً ، ولهذا السبب فأن استيلاء العرب على المراكب البرتغالية ، يعدّ امراً شرعياً تماماً ، ويعد وصف البرتغاليين ذلك بأنه نوع من أعمال القرصنة دعايات حربية ، فقد كان المراقبون الهولنديون يرون أن هجوم العرب على السفن البرتغالية عمل حربي طبيعي" [٢٤٣] .

ولدحض الافتراءات التي قيلت عن ((قرصنة)) عرب مسقط ، سنشير الى ما كتبه الكسندر هاملتون : "كان عرب عمان يشنون غاراتهم على المستعمرين والبرتغاليين على الساحل الهندي ، ويدمرون المدن والقرى ، ولكنهم لم يهاجموا الكنائس ، ولم يقتلوا اعزلاً ولا طفلاً ، وكانوا يعاملون اسراهم معاملة انسانية خلاف ما كان البرتغاليون يعاملون اسراهم اذ كانوا يعاملونهم بقسوة ويعرضونهم الى القصاص مستخدمين السياط ، ثم ان العمانيين كانوا يمنحون أسراهم بدل ارزاق كتلك التي يعطونها لجنودهم ، و تدفع تلك الاموال مرتين في الشهر، واذا ما وجد بين الاسرى صناع بارعون واصحاب مهن ، فإنه يسمح لهم بممارسة مهنهم بحرية حتى يتسنى لهم جمع المال اللازم لفكّ أسرهم" [٢٤٤] .

---

[٢٤١] عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص٨٠ .

[٢٤٢] مقتبس في ارنولدويلسون ، تاريخ الخليج ، ص١٢٥.

[٢٤٣] سلوت ، عرب الخليج ، ص ١٠٢-١٠٣ .

[244] Alexander Hamilton op. cit., P. 74 .

الصراع العماني – البرتغالي في شرق افريقيا .

قبل أن نخوض في تاريخ الصراع العماني – البرتغالي في شرق افريقيا ، لابد من الاشارة الى أنّ لمنطقة الخليج العربي عامة ولعمان خاصة صلات قديمة بشرق افريقيا ، ترجع الى ما قبل الاسلام بوقت طويل ، وكان العمانيون اول رواد الساحل الشرقي الافريقي ، واكثرهم تاثيراً في المنطقة ، وذلك بهدف المتاجرة مع الافارقة[٢٤٥]. وكانت الرحلة من عُمان الى شواطئ افريقيا االشرقية تستغرق حوالي شهرين [٢٤٦] .

نجح البرتغاليون ، في القرن السادس عشر ، في فرض سيطرتهم الاحتكارية على سواحل شرق افريقيا ، حيث اقاموا في سفالة وكلوة وموزنبيق حكماً مباشراً ، تسنده الحاميات والاساطيل القوية [٢٤٧] .

وخلال القرن السادس عشر ، والنصف الاول من القرن السابع عشر ، كان البرتغاليون يسيطرون على مسقط والموانئ المهمة على الساحل العماني ، وكانت قاعدتهم هرمز والجزر المحيطة بها ، وكان أسطولهم سيد البحار دمرّ التجارة ، وعرقل كلياً الاتصالات بين عُمان وشرق افريقيا [٢٤٨] .

---

[٢٤٥] عُمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص١٧٩ .

[٢٤٦] حبيب الحخاني ، دور عُمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الاسلامي الاول ، ندوة الدراسات العمانية، المجلد الثالث ، سلطنة عُمان ، ١٩٨٠ ، ص ٦١ .

ولمزيد من التفاصيل عن العلاقات العُمانية بشرق افريقيا قبل قيام دولة اليعاربة ، يراجع :

عُمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص ١٧٥–٤١٥ ؛ عبد الرزاق علي عثمان ، البرتغاليون في شرق افريقيا وطردهم منها ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٤ ، السنة ٧ ، البحرين ، ١٩٧٩ ، ص٤٦ ؛ رافت غنيمي ، دور عمان في بناء حضارة شرق افريقيا ، ندوة الدراسات العمانية ، م٣ ، ١٩٨٠ ، سلطنة عمان ص١٥٠–١٥٤ .

وعن بدايات اكتشاف القارة الافريقية وخضوعها للاحتلال البرتغالي ، ينظر :

Zoe Marsh and G. W. Kingsnorth , A history of East Africa and Introductory Surrey , Cambridge University , 1972 , London , P. 28-31 ; Coupland , East Africa and It's invaders from the Earliest Times to the Death of Seyyied Said in 1850, Oxford , 1938 , P. 40 .

احمد حمود المعمري ، عُمان وشرق افريقيا ، تر : محمد أمين عبد الله ، عُمان ، ١٩٧٩ ، ص٤٨ .

[٢٤٧] جمال زكريا قاسم ، عُمان في شرق افريقيا (الدولة العمانية في شرق أفريقية) ، ندوة الدراسات العمانية ، م٣ ، عُمان ، ١٩٨٠ ، ص٨٩–٩٠ ،

[4] Wiliam Palgrave , Narrative of A year's Journey through Central and Eastern Arabia , Vol. 2 , London , 1865 , p. 274 .

إنّ فقدان البرتغاليين هرمز عام ١٦٢٢ ، حفز شعوب ساحل شرق افريقيا على الانتفاضة ، للتخلص من الهيمنة البرتغالية ، فشهد عام ١٦٣١ قيام عدة انتفاضات في ممباسا وبمبا ، إلاّ أنّ البرتغاليين تمكنوا من قمعها بشدة ، واستطاعوا عام ١٦٣٥ اعادة فرض سيطرتهم على ساحل شرق افريقيا [٢٤٩] .

واعتباراً من عام ١٦٤٥ ، عندما كتب ملوك سيو وفازا وبمبا الى الملك البرتغالي شكوى بسبب الظلم الذي تتعرض له شعوبهم من حاكم ممباسا ، وحتى عام ١٦٥١ ، شنت القبائل المجاورة لممباسا حرباً ضد البرتغاليين . وقد ارسلت البرتغال الكابتن فرانسيسكو دي سيكاس كابريرا Fraucisco De Sexas Caberira الى شرق افريقيا عام ١٦٥١ ، لإعادة السيطرة البرتغالية هناك [٢٥٠] .

ان نجاح دولة اليعاربة في تصفية الوجود البرتغالي في عُمان في عهد الامام سلطان بن سيف ، دفع سكان ممباسا في شرق افريقيا لطلب المساعدة من العُمانيين ، للتخلص من الوجود البرتغالي هناك [٢٥١] .

وسارع الإمام الى تلبية استغاثة المسلمين في شرق افريقيا بما يستطيعه ، وكانت قوته البحرية تنمو سريعاً ، فاستطاع عام ١٦٥٢ شن غارة بأسطول صغير على المواقع البرتغالية في باتا وزنجبار وطرد البرتغاليين منها [٢٥٢] .

لكن القائد البرتغالي كابريرا سرعان ما تمكن من إعادة السيطرة البرتغالية على زنجبار وبمبا ، ولجأ الى معاقبة العرب او الانتقام منهم في هاتين المدينتين ، بسبب تعاونهم مع القوات العُمانية ، لكنه لم يتمكن من اللحاق بالاسطول العُماني العائد الى مسقط [٢٥٣] .

وبحلول عام ١٦٦٠ ، تمكن الامام سلطان بن سيف ، بدعوة من أهالي باتا ، من انزال قوة عمانية على الساحل الافريقي ، وهاجم مدينة فازا وممباسا ، لكنه لم يتمكن من الاستيلاء على قلعة يسوع [٢٥٤] .

وبحلول آب عام ١٦٦٢ كانت قوات الامام تمتلك السيطرة على الساحل الافريقي كلّه، باستثناء ممباسا ، حيث كان الحصار عليها مستمراً ، وقد تلّقت قوات الامام الاسناد من القبائل

---

[٢٤٩] احمد حمود المعمري ، المصدر السابق ، ص ٦٢-٦٣ .

[٢٥٠] غانم محمد رميض ، الصراع البحري العُماني ، ص٨٥ .

[٢٥١] عُمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤١٦-٤١٧ .

[4] Coupland , Op. Cil. , P. 65-66 .
[5] Ibid , p. 65 – 66
[6]Ibid , p. 66

المحلية التي عانت من ظلم حاكم ممباسا البرتغالي جوزيف بوتلهو داسلفا Joseph Botelho De Silva الذي طلب بدوره ارسال دعم عسكري من كوا لمواجهة الحصار العماني (٢٥٥) .

وبسبب حاجة البرتغاليين الى تلك التعزيزات في كوا نفسها ، لم يرسلوا قوات اضافية ، وفي ظل هذه الظروف إضطر القائد الى الاستسلام في عام ١٦٦٥ . قام بعدها الامام سلطان بتعيين محمد بن مبارك والياً على ممباسا (٢٥٦) .

لم يكن باستطاعة الامام سلطان البقاء طويلاً في ممباسا ، اذ كان عليه أن يعود الى عُمان ، وما أن غادرها حتى عاد البرتغاليون الى الاستيلاء على ممباسا من جديد ، وانزلوا هذه المرة اقصى درجات العقاب باهلها ، الامر الذي زاد من كراهيتهم للحكم البرتغالي ، ومن تصميمهم على انتهاز الفرصة للتخلص منه (٢٥٧) .

واصل العمانيون غاراتهم البحرية على شرق افريقيا ، فأرسلوا أسطولاًُ قوياً الى موزنبيق ، حاصر قلعتها ، إلاّ انها صمدت لحصاره (٢٥٨) .

حاول البرتغاليون في هذه المرحلة توجيه إهتمام أكبر نحو شرق افريقيا ، خشية خسارتهم له، فقد تلقى نائب الملك دوم بيدرو دي الميدا Dom Pedro de Almeida توجيهات من الملك البرتغالي بتوجيه قوة برتغالية ، قادها نائب الملك نفسه، الى شرق افريقيا في آب عام ١٦٧٨ ، وقد تمّ تعزيز حاميات موزنبيق وممباسا بقسم من هذه القوات ، بينما اخذت القوة البرتغالية طريقها الى فازا ، التي لم يتمكنوا من احتلالها إلا في ١٦ كانون الاول ، بوصول مزيد من التعزيزات من كوا(٢٥٩).

واستسلمت بعدها مدينة سيو ، وتم أسر ملك لامو وملك ماندا بعد هجمات متتالية(٢٦٠) . وفي تعليق المؤرخ كوبلاند على كيفية تعامل البرتغاليين مع سكان المدن التي أعلنت ثورتها ضدهم، يقول : "لقد عاملوهم بقسوة شديدة ، وفي هذه المرحلة التي تعبر عن الاضمحلال الكبير في قوتهم ، قام البرتغاليون في مدن سيو ولامو وماندا وباتا باعدام الحكام العرب ، ومئتين من

---

[1] Bathurst , The Ya'rubi , p. 120-121 .
[2] Ibid , p. 121 .

(٢٥٧) احمد حمود المعمري ، المصدر السابق ، ص٦٦.

(٢٥٨) عامر محمد الحجري ، ، تاريخ العلاقات العمانية – الافريقية ، البحوث المقدمة الى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ، لجنة تدوين تاريخ قطر ، ج٢ ، الدوحة ، ١٩٧٦ ، ص٧٨٥.

[5] Bathurst , The Ya'rubi , p. 133 .
[6] Ibid , P. 133 .

رجالها، كما قاموا بنهب الممتلكات، واستخدموا اقصى درجات العنف ، وحملوا تلك المنهوبات، ولاسيما الذهب والعاج الى سفنهم" (٢٦١) .

وقبل أن يتمكن الاسطول البرتغالي من توسيع فعالياته العسكرية ، قاطعه وصول اربع سفن عمانية في ١٢ كانون الثاني عام ١٦٧٩ ، وتمكن العرب من النزول الى البر ، وخلال ايام قليلة تعرض البرتغاليون لضغط شديد من العرب والسكان المحليين ، الامر الذي اضطرهم الى الانسحاب بأسطولهم الى موزنبيق ، وهناك توفي الحاكم بعد اربعة اسابيع (٢٦٢) .

وفي سنة ١٦٨٠ أعد خليفة سلطان بن سيف ، ابنه بلعرب ، اسطولاً مكوناً من ثمانٍ وعشرين سفينة، فرض به حصاراً على ممباسا ، التي استعصى على العُمانيين فتحها ، بسبب استحكاماتها القوية . اذ كانت قاعدة الارتكاز البرتغالية في شرق افريقيا . لذا تطلع بلعرب الى نقاط برتغالية اخرى ، فتوجه نحو موزنبيق ، وحاصر قلعتها ، الا أنّ الحامية البرتغالية بقيادة جسبار دي سوسا لاكيردا Gaspara De Sousa De Lacerda استطاعت الصمود في وجه الحصار العُماني .

ووفقاً لروايات محلية فأن العُمانيين أخذوا بحفر نفق أسفل القلعة ، بهدف التسلل الى داخلها ، مما جعل افراد الحامية البرتغالية يفكرون في صدّ هذا التسلل بطريقة غير تقليدية ، حيث وضعوا شحنات إنفجرت بقوة ، أجبرت العُمانيين على فك الحصار عن القلعة(٢٦٣) .

ظلت الآمال تراود البرتغاليين باستعادة ما فقدوه من موانئ ساحل شرق افريقيا ، ولاسيما باتا وتوابعها سيو وفازا ، وفي اوائل عام ١٦٨٦ ، ارسلوا فرقاطتين من كوا للمشاركة في الهجوم على سيو ، ولكن المهاجمين أحجموا عن تنفيذ المهمة ، حينما شاهدوا سفناً عمانية راسية في ميناء باتا . وبعد اربعة اسابيع ، في نيسان ، جرت محاولة فاشلة دفعت البرتغاليين الى الانسحاب الى كوا .

وما أن علم قائد حصن ممباسا جواو انطونيو برتغال Joao Antones Portugal بمغادرة السفن العمانية باتا ، حتى هاجمها واستولى عليها في ٣ آب (٢٦٤) .

لجأ نائب الملك الجديد دوم رودريغو دا كوستا Dom Rodrigo Da Costa الى تقوية الوجود البرتغالي في باتا وتعزيزه . وفي كانون الاول عام ١٦٨٧ ، وبعد أيام من وصول هذه

---

[1]Coupland , Op. Cit. , P. 67 .
[2]Bathurst , The Ya'rubi , p. 133 .

(٢٦٣) عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤١٨-٤١٩ .

(٢٦٤) صالح العابد ، الصراع البحري العُماني ، ص٥٠ .

التعزيزات ، ظهر أسطول عُماني من خمس سفن ، على متنها أربعمائة رجل ، قدم من مسقط، إستجابة لطلب النجدة من أهالي باتا ، وتمكن العرب من النزول الى البر (٢٦٥) .

"ولسبب يعرفه البرتغاليون جيداً ، لم يُبدوا أية مقاومة ، وتنازلوا عن مواقعهم دون القيام بأية ضربة لعدوهم ، ولم يكن لدى جواو انتونس برتغال أيّ خيار سوى العودة بالأسطول الى ممباسا" (٢٦٦) .

ويبدو أنّ الصراع بين بلعرب بن سلطان واخيه سيف ، إنعكس على قضية الصراع العُماني – البرتغالي في شرق افريقيا ، لدرجة أنّ البرتغاليين تمكنوا من إعادة سيطرتهم على مدن محررة ، مثل ماليندي وفازا ولامو وباتة، ومارسوا بحق سكانها اقصى درجات القسوة، كما اتخذ القائد البرتغالي من مسجد باتة مركزاً لقيادته ، وحوّل الكثير من المساجد الى قواعد عسكرية . لكن بعد حسم الصراع بين الشقيقين لصالح سيف ، أعاد العُمانيون تنظيم نشاطهم العسكري ، وحققوا أنتصارات كبيرة (٢٦٧) .

ففي بدايات عام ١٦٩٦ أرسل الإمام أسطولاً من سبع سفن حربية ضخمة وعشر فرقاطات ، وحوالي (٣٠٠٠) مقاتل ، لمهاجمة ممباسا ، وبعد سلسلة مناوشات قامت بها السفن العُمانية ، أضطرّ عدد كبير من سكان المدينة الى مغادرتها وبدأ الحصار العربي الطويل الامد لحصن يسوع في ١٣ آذار عام ١٦٩٦ (٢٦٨) .

وفي تلك الأثناء حاول العُمانيون عزل القلعة ، والحيلولة دون وصول المؤن والذخيرة اليها ، فاستبسل رجال المدفعية العُمانية ، وقطعوا طريق الامدادات عن البرتغاليين من الجهة المقابلة للبحر (٢٦٩) . وفي ٢٢ تشرين الأول عام ١٦٩٦ توفي قائد الحامية البرتغالية رودريغز سيهو Joao Rodrigues Seho وحدثت حالات هروب عديدة بين صفوف البرتغاليين. وفي ٢ تشرين الثاني وصلت تعزيزات عربية من باتا(٢٧٠). ورغم صعوبة الموقف ، رفض قائد الحامية البرتغالية الاستسلام لقائد القوات العُمانية، الذي تعهد بضمان سلامته، وحتى بوصول تعزيزات برتغالية من أربع سفن وثلاث زوارق، على متنها (٧٧٠) رجلاً من السكان المحليين، تمّ جمعهم قسراً ، فإنّ البرتغاليين لم يستطيعوا مواجهة الحصار العُماني (٢٧١) .

---

(1) Bathurst , Op. Cit., P. 139-140 .
(2) Ibid , P. 140 .
(٢٦٧) عُمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤١٩ .
(4) Coupland , Op. Cit., P. 140 .
(٢٦٩) صادق عبد واني ، المصدر السابق ، ص٥٠-٥١ .
(6) Bathurst , Op. Cit., P. 143-144 .
(7) Ibid , p. 144 .

ونتيجة لقلة الامدادات ، انتشر وباء الطاعون الذي حصد اعداداً كبيرة من المدافعين عن القلعة ، ويذكر كوبلاند : "في كلّ يوم كان يموت ثلاثة أشخاص أو أربعة ، وفي نهاية كانون الثاني عام ١٦٩٧ ، لم يبق هناك سوى عشرون رجلاً مسلحاً" [٢٧٢] .

ولتدارك هذه الاوضاع اليائسة في ممباسا ، أرسلت قوة من موزنبيق في ٢٢ آب عام ١٦٩٧ مؤلفة من (٣٤٠) رجلاً ، بقيادة الكابتن جوزيف بيريرا دي بريتو Joseph Pereira de Brito الذي وصلها في ايلول من العام نفسه ، لكنه لم يلبث طويلاً حتى توفي في تشرين الثاني [٢٧٣] .

فقد البرتغاليون فرصتهم الاخيرة لانقاذ الحامية المحاصرة ، ففي ١٩ كانون الثاني عام ١٦٩٨ ، غادرت كوا قوة امداد بقيادة الكابتن فرنسيكو بيريرا دا سيلفا Francisco Pereira De Silva ، واكتفى قائدها بتوزيع المؤن على المحاصرين وابحر بعدها الى زنجبار ، ومنها عاد الى كوا . وفي منتصف كانون الاول عام ١٦٩٨ وصلت قوة أخرى من أربع فرقاطات تحمل خمسمائة مقاتل ، لكن بعد فوات الاوان ، فقد كان العلم العماني يرتفع فوق الحامية ، لذا سارعت القوة الى المغادرة نحو زنجبار ، ومنها الى كوا [٢٧٤] .

كان لسقوط قلعة يسوع أثر كبير في نفوس العرب والمسلمين في عُمان وشرق افريقيا ، اذ عزز تفوق الاسطول اليعربي على الاسطول البرتغالي ، فبعد حصار دام عامين وتسعة اشهر، نجح العمانيون في الاستيلاء على ممباسا [٢٧٥] .

بعد بلوغ انباء النصر العربي ، الامام سيف الاول ، اصدر اوامره بتعيين ناص بن عبد الله المزروعي [٢٧٦] ، والياً عليها ، كما أوعز باستثمار هذا النصر في طرد الحاميات البرتغالية كلها من شرق افريقيا . فاندفعت الوحدات العمانية ، تدعمها قوات المتطوعين من ابناء الساحل،

---

[1]Coupland , Op. Cit., P. 68 .
[2]Bathurst , Op. Cit., P. 145 .
[3]Ibid , p. 146 .

[٢٧٥] صادق عبد واني ، المصدر السابق ، ص٥١-٥٢ .

[٢٧٦] المزروعيون : فرع من بني ياس حكموا ممباسا في شرق افريقيا ، وقد اعتبر كثير من المؤرخين أن بداية حكم هذه الاسرة لممباسا ، يمثل بداية النهاية للسيطرة اليعربية في شرق افريقيا ، اذ استفاد المزروعيون من فترة الاضطرابات والحرب الداخلية في عُمان نفسها والتي ادت الى سقوط دولة اليعاربة ، ليعلنوا انفصالهم عنها بدعوى عدم ولائهم للاسرة الجديدة التي وصلت الى حكم عمان ، ونجح المزارعة باثارة عديد من المدن الافريقية لرفض التبعية للاسرة اليو سعيدية الا انهم فشلوا وظلت على ولائها لعمان تحت حكم اليوسعيدين مثل رنجبار ربات وكلوة وبركة . ينظر : رأفت غنيمي ، المصدر السابق ، ص١٦٣ .

وتمكنت من تحرير بمبا وزنجبار وباتا وكلوة . وبذلك تم طرد البرتغاليين من مواقعهم جميعها الى الشمال من رأس ديلغادو Capa Delgado ، كما هوجمت حامية موزنبيق ، إلا أن الهجوم لم يكن ناجحاً ، كما وافقت مدينة مقاديشو على أن تخضع لحماية الامام سيف [٢٧٧] .

وشهد عام ١٦٩٩ ، محاولة برتغالية لاستعادة ممباسا ، حيث أبحر اسطول برتغالي من لشبونة ، مؤلف من خمس سفن ، ولكنه وصل موزنبيق بعد سقوط حاميتها في قلعة يسوع ، أبحر بعدها متوجها الى كوا .

وفشلت محاولة برتغالية اخرى في ٩ كانون الثاني عام ١٧٠١ . عندما تحطم الجزء الاكبر من الاسطول المعد لاحتلال ممباسا ، عندما كان راسياً خارج كوا بسبب عاصفة بحرية [٢٧٨] .

انتهز البرتغاليون الصراع الاسري في عُمان ، وبدأوا محاولات التغلغل في شرق افريقيا، وجاء توجه ملك باتا الى البرتغاليين في كوا لمساعدته ضد خصومه ، فرصة سانحة لهم، فوقعوا معه اتفاقية تسمح لقوات باتا باسناد البرتغاليين لاستعادة ممباسا ، ومنع الصلات البحرية بين العرب وشرق افريقيا [٢٧٩] .

وسرعان ما وصل اسطول برتغالي في كانون الاول عام ١٧٢٧ مؤلف من خمس سفن، على متنها (١٦٤٧) رجلاً يقوده لويس دي ميلو سامبابو Luis De Mello Sampaio الى باتا، وخاض معارك متقطعة مع سفن عُمانية ، وتمكن بعد مرور خمسين يوماً من رفع العلم البرتغالي عليها [٢٨٠] .

ونجح القائد البرتغالي بعدها من احتلال ممباسا وقلعة يسوع في آذار عام ١٧٢٨ ، وهكذا أعلن القائد سامبايو عودة الحكم البرتغالي الى مدن الساحل الافريقي [٢٨١] .

وتم تعيين سلفارو كيتانو دي كاسترو Silvaro Caetano de Mello de Castros حاكماً على ممباسا مع معسكر من (١٢٠) رجلاً ، ولتعزيز السيطرة البرتغالية فيها أرسل نائب الملك في كانون الثاني عام ١٧٣٠ أسطولاً يحمل (١٢١٥) رجلاً [٢٨٢] .

---

[٢٧٧] رجب حراز ، افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي ، القاهرة ، دار النهضة ، ١٩٦٨ ، ص٣٩ .

[٢٧٨] غانم محمد رميض ، الصراع البحري العماني – البرتغالي ، ص٩٠ .

[3] Bathurst , Op. Cit., P. 266-270 .

[4] Ibid , P. 271 .

[٢٨١] عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص١٠١-١٠٢ .

[6] Ibid , P. 272 .

لكن نشوة الانتصار البرتغالي لم تدم سوى عامين ، فقد وصلت سفن عمانية تحمل (٧٠٠) رجل ، بقيادة محمد بن سعيد المعموري ، الذي نجح في استعادة باتا ، وتحرير زنجبار، وعُين هذا القائد نائباً للامام هناك ، فأضطر قائد الاسطول البرتغالي لويس دي ميلو الى الابحار الى موزنبيق ، وعاد بنهاية شباط مع تعزيزات منها ، في محاولة لاحتلال ممباسا الا أنّ الرياح العاتية أجبرته على العودة الى موزنبيق وتم التخلي نهائياً عن أية أفكار باستعادة ممباسا ، وفي طريق عودته الى كوا تعرض أسطوله لاعصار شديد دمر سفنه بالكامل ، بما فيها سفينة القيادة التي كانت تقله [٢٨٣] .

ولتعزيز الحكم العربي الاسلامي في شرق افريقيا ، قرر الامام سيف بن سلطان الثاني تفويض افراد الاسر العربية المحلية بالحكم باسمه هناك ، فحكمت أسرة الحارث جزيرة زنجبار، وأسرة النبهاني باتا ، وأسرة المعموري ممباسا، وتلتها أسرة المزروعي [٢٨٤] .

وفي أواخر عهد اليعاربة أصبحت سيطرة عُمان على شرق افريقيا إسمية فقط ، الامر الذي دفع بوالي ممباسا ، المعين من قبل الامام سيف الثاني سنة ١٧٣٩، وهو محمد بن عثمان المزروعي ، الى إعلان إنفصاله الرسمي عن عُمان ، حال تولي الامام الجديد أحمد بن سعيد البوسعيدي [٢٨٥] .

ويعلق باثرست على ذلك ، بأن المزروعيين من الغافريين ، الذين تمسكوا بولائهم التام لليعاربة وللامام بلعرب بن حمير ورفضوا الدخول في طاعة الامام البوسعيدي ، الذي يمثل الكتلة الهناوية . ولكن في مناطق أخرى من شرق افريقيا ، مثل زنجبار التي كان معظم ساكنيها من الهناويين الذين قبلوا الوضع الجديد ، وقد خاض والي ممباسا محمد بن عثمان معارك عديدة ضدها . قتل في أحدها سنة ١٧٤٥ [٢٨٦] .

هذا وكان النبهانيون في باتا ، اقوى المنافسين لممباسا ، وظلوا في صراع مستمر معها، ليكونوا أسياد الساحل السواحيلي الشمالي ، في القرن الثامن عشر ، الا أنّ البوسعيديين ، تمكنوا في نهاية المطاف من تعزيز السلطة العمانية في شرق افريقيا [٢٨٧] .

---

[٢٨٣] عامر محمد الحجري ، المصدر السابق ، ص ٧٨٧ ؛ Bathurst , Op. Cit., P. 276 .

[٢٨٤] رأفت غنيمي ، المصدر السابق ، ص١٦٢ .

[٢٨٥] صادق عبد واني ، المصدر السابق ، ص٦٢ .

[4] Bathurst , Op. cit., P. 317 .

[5] Richard Gray , the Cambridge History of Africa, Vol. : 4 from 1600-1700 , London, 1975 , P. 535 .

الفصل الثالث
العلاقات اليعربية مع القوى المحلية والإقليمية

أولا:- العلاقة مع القوى المحلية (قبائل ساحل عمان)

أ- العلاقة مع الجبور

ب- العلاقة مع القواسم

ج- العلاقة مع بني ياس

ثانياً:- العلاقة مع القوى الإقليمية

أ- العلاقات اليعربية – الفارسية

ب- العلاقات اليعربية – اليمنية

أولا:- العلاقات مع القوى المحلية (قبائل ساحل عمان) :-

العلاقات مع الجبور :-

برز الجبور قوة قبلية مؤثرة ، منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، ولاسيما في عهد الامام الاباضي عمر بن الخطاب الخروصي[٢٨٨]. الذي استعان بشيخهم اجود بن زامل سنة ١٤٨٧، في صراعه مع النبهانيين في عمان ، وتمكن الحليفان من القضاء على اخر ملوك النبهانيين سليمان بن سليمان النبهاني ، وكانت مكافاتهم تعهد الامام الاباضي بتخصيص جزء من حاصلات عمان الزراعية لهم كل عام . فكانت هذه المساعدة العسكرية بداية فعلية لنفوذ سياسي واقتصادي واسع لعشيرة الجبور في عمان ، اخذ يزداد مع الزمن [٢٨٩].

ويوضح سعة نفوذ الجبور في عمان ، ان البرتغاليين عندما دخلوا الخليج العربي لاول مرة سنة ١٥٠٧ ، تحدثوا عن قوة الجبور ، ونفوذهم في عمان الداخل ، التي كانت خاضعة لشيخهم ، الذي هددت هجماته المتواصلة مملكة هرمز [٢٩٠].

وتجدر الاشارة الى ان من عشيرة الجبور بني هلال ، فبعد وفاة زعيم الجبور مقرن بن زامل ، ظهرت خلافات بشان ملأ فراغ القيادة ، فظهر محوران متنافسان على الزعامة ، (احدهما) : في الاحساء ، تمثل باولاد اجود بن زامل واحفاده ، والاخر في عمان الشمالي وواحة توام (البريمي) ، تمثل باولاد هلال بن زامل بن حسين الجبري واحفاده فانتقلت الزعامة الى علي بن اجود ، وبعد شهر انتقلت الزعامة الى ابن اخيه ناصر بن محمد بن اجود.

ويبدو ان ضعفهُ دفعه الى التنازل عن السلطة الى قطن بن علي بن هلال بن زامل ، وهكذا انتقلت السلطة من اجود بن زامل الى ابن اخيه هلال ، الذي تركز نفوذه في عمان الشمالي

---

[٢٨٨] قام هذا الامام بمصادرة املاك بني نبهان وردها الى اهلها ، اما تلك التي لم يتم العثور على اصحابها الشرعيين فقد اعطاها لبيت المال ، انظر :

Huart , op. cit, p. 260.

[٢٨٩] عبد اللطيف الحميدان ، التاريخ السياسي لامارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية ١٤١٧-١٥٢٥ ، مجلة كلية الاداب جامعة البصرة ، العدد ١٦ ، ١٩٨٠ ، ص٥٧-٥٨ .

[٢٩٠] علي ابا حسين ، الجبور عرب البحرين او عربان الشرق ، مجلة الوثيقة ، العدد ٣ ، ١٩٨٣ ، ص-١٠ ؛ بروفيسور س. بكنجهام ، بعض الملاحظات عن البرتغاليين في عمان ، ندوة الدراسات العمانية ، م ٦ ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠ ، ص١٩٠—١٩١ .

ولهذا اطلق المؤرخون العمانيون في بعض الاحيان اسم (بنو هلال) عليهم ، وكانت تغلب عليهم البداوة [٢٩١].

استغل الجبور الصراع والفوضى السياسية في عمان للحصول على مكاسب واسعة ، الى ان قامت سلالة اليعاربة التي انبعثت في الرستاق عام ١٦٢٤ [٢٩٢]. وبدأ أول ائمتها يسعى لتوحيد البلاد ، والقضاء على حالة الانشقاق والفرقة التي عاشتها قبائل عمان، فخاض معارك عديدة وقاسية لاخضاع الجبور [٢٩٣].

اتضحت ملامح هذا الصراع عندما بدأ الامام ناصر باخضاع مدن الظاهرة الواقعة تحت نفوذ بني جبر ، فوجه قائد جيشه مسعود بن رمضان لفتح مدينة سمد الشان ، وكانت بيد علي ابن قطن الهلالي ، وتمكن من فتحها ، ثم توجه نحو عبري ، التي كان يملكها ، محمد بن جيفر الجبري ، ففتحها ودانت له [٢٩٤].

وبعد فرار محمد بن جيفر من عبري ، توجه الى نخل واتخذها مقرا له ، واجمع على حرب الامام ناصر مع من ناصبه العداء ، فلما سمع الامام توجه اليه ، وفرض حصارا على حصن نخل ، فسارع محمد بن جيفر الى الهروب منها ، وتشتت جمعه ، فدخلها الامام ظافراً [٢٩٥].

سار جيش الامام لاخضاع حصن الغبى الذي يملكه بنو هلال وجماعات من قبائل البدو والحضر ، ودارت بين الطرفين معركة شديدة ، لكنها لم تكن حاسمة [٢٩٦]. وبعد عدة مناوشات ، تمكن جيش الامام من اخضاعها دون مقاومة ، ومنها توجه نحو قرية بات[٢٩٧] التي يملكها الجبور، فتمكن منها ، وعين محمد بن سيف الحوقاني واليا عليها[٢٩٨].

---

[٢٩١] عبد اللطيف الحميدان ، المصدر السابق ، ص٨٣-٨٤ .

[٢٩٢] جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧-١٨٤٠، القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٨٥ ، ص١٢٧-١٢٩ .

[٢٩٣] المصدر نفسه ، ص١٢٩ .

[٢٩٤] ابن رزق ، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، سلطنة عمان ، ١٩٨٤ ، ص٢٠٦-٢٠٨ .

[٢٩٥] المصدر نفسه ، ص٢٠٨ .

[٢٩٦] ابو سليمان المعولي ، المصدر السابق ، ص١٠١ .

[٢٩٧]بات احدى قرى الظاهرة .

[٢٩٨] يذكر كل من ابن رزيق في (الشعاع الشائع) ص٢٠٩ والمعولي (قصص واخبار) ص١٠١ ، والسالمي (التحفة) ج٢ ، ص٦ ، ان الامام ناصر عين والياً من اهل الرستاق على بات ، وهو محمد بن احمد ، وجعل معه محمد بن سيف الحوقاني ، وامرهما ان يتشاورا في امور الحرب لفتح ما تبقى من المدن .

ظل بنو هلال يناصبون الامام اليعربي العداء ، واستمرت غاراتهم على المدن والقرى التي صارت تحت حكم الامام ، واتخذوا ناحية الافلاج من ضنك مقرا لهم لمهاجمة منطقة الظاهرة [٢٩٩]. لذا وجه الامام اليهم جيشا يقوده خميس بن رويشد ، ومحمد بن سيف ، والتقى الطرفان في موقع (الدير) ،فكان النصر حليف قوات الامام ، التي استولت على ابل المتمرد قطن بن قطن الهلالي ، الذي طلب من الامام ناصر ان يفتدي ابله بتسليم الحصن الذي خضع لسلطة الامام [٣٠٠].

كان حصن مقنيات موقعا مهما اخر تحصن به الجبور ، فجرد الامام حملة قادها خميس بن رويشد ومحمد بن سيف ، فبدءا حصارا شديدا عليه ، حاول بنو هلال وبنو الريس فكه ، الا انهم فشلوا ، فتوجهوا نحو بات لاستدراج المحاصرين، في محاولة لفك الحصار عن مقنيات ، وعلى الرغم من نجاح هذه المحاولة التقى الطرفان في معركة ضارية ، كان النصر فيها حليف قوات الامام [٣٠١]. ويذكر السالمي : "انه كثر قتل البغاة [يقصد المتمردين] حتى قيل انهم عجزوا عن دفن موتاهم ، فكانوا يدفنون سبعة او ثمانية قتلى في حفرة واحدة" [٣٠٢].

ولضرب ما تبقى من معاقل الجبور ، جهز الامام حملة ، قادها بنفسه ، نحو بهلا التي كانت بيد سيف الهنائي ، وفرض عليها حصارا استمر شهرين ، كاد الامام ينجح في فتحها، لولا ان بارد الجبور الى ارسال قوة لنصرة الهنائي [٣٠٣]. فالتقت القوتان في معركة شديدة ، تكبد فيها الجبور خسائر فادحة ، وقتل فيها من رؤسائهم قاسم بن مذكور الدهمشي وهرب من تبقى منهم الى الظاهرة ، وبقي سيف الهنائي محاصرا داخل الحصن ، واضطر اخيرا الى الاستسلام.

ان قيام دولة موحدة ووجود جيش قوي ، حرما الجبور من امتيازات كثيرة كانوا قد حصلوا عليها ايام كانت الفوضى والاضطراب تسود عمان ، الامر الذي جعلهم يرفضون الخضوع لهذه السلطة الجديدة ، بل ويواجهونها بضراوة ، فاخذوا يتآمرون مع اعداء الامام ناصر، ومنهم سعيد

---

[٢٩٩] ابن رزيق ، الشعاع الشائع ، ص٢٠٩ .

[٣٠٠] المعولي ، المصدر السابق ، ص١٠١ .

[٣٠١] ابن رزيق ، الشعاع الشائع ، ص٢٠٩-٢١٠ ، المعولي ، المصدر السابق ، ص١٠٢ .

[٣٠٢] نور الدين السالمي ، تحف الاعيان ، ج٢ ، ص٧-٨ .

[(5)] Bathurst , Op. Cit. p.75 .

الخيالي الذي ادخلهم قرية الصخبري ، ومكنهم من قتل عدد من الموالين للامام [٣٠٤].

ولما علم الوالي محمد بن سعيد بالحادثة جهز جيشا ، ليلتقي الطرفان في عدة معارك ، اوردها السالمي ، وهي وقعة العجيفة ، ووقعة بالغابة ، ووقعة بالمطهرة ، ووقعة بالزيارة ، وكانت وقائع شديدة الوطأة على جيش الوالي في حصن الغبى ، فسارع والي مقنيات محمد بن علي لنصرته ، واستطاع تفريق شملهم ، وحقق نصرا كبيرا [٣٠٥].

وبعد اخضاع بلاد سيت ، وهزيمة سيف بن محمد الهنائي ، وتدمير حصن مانع بن سنان العميري في نزوى ، جهز الامام جيشا كبيرا قاده بنفسه ، وتوجه نحو ينقل ، التي يملكها ناصر بن قطن الهلالي ، وبعد محاصرتها تم فتحها وعين واليا عليها[٣٠٦].

ومنها عاد الامام ناصر الى الرستاق ، حيث جهز جيشا قويا يقوده الشيخ عبد الله بن محمد بن غسان النزوى ، ويصحبه خميس بن رويشد الضنكي وحافظ بن جمعة الهنوي ومحمد بن علي الرستاقي ومحمد بن سيف الحوقاني ، وامره بالتوجه الى قرية ليوا ، حيث اختلف الجبور فيما بينهم ، وقتل قائد الحصن محمد بن جيفر الهلالي ، وتفرّق اتباعه اما اخوته وكبار قادته فقد فروا الى البرتغاليين في صحار [٣٠٧].

تحصّن سيف بن محمد بن جيفر في ليوا ، ومن صحار كان المتمرد مانع بن سنان العميري والبرتغاليون يمّدون المحاصرين بالمؤن والاسلحة ، فجهز الوالي محمد بن على جيشا قاده بنفسه توجه به الى موضع يقال له (المنقل) ، جنوب حصن ليوا ، على ساحل البحر ، وبعد قتال شديد غير حاسم ، قرر الوالي احكام الحصار على القلعة ، اضطر بعدها سيف الى التفاوض مع الوالي ، ليستسلم له ويسلم الحصن [٣٠٨].

---

[٣٠٤] ابن زريق ، المصدر السابق ، ص٢١٠-٢١١ .

[٣٠٥] السالمي ، المصدر السابق ، ٧-٨ .

[٣٠٦] الازكوي ، كشف الغمة ، ص١٠٠-١٠١ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ اهل عمان ، القاهرة ، ١٩٨٠، ص١٣٢ .

[٣٠٧] سعيد عبد الفتاح عاشور ، بالمصدر السابق ، ص١٣٢-١٣٣ .

[٣٠٨] المصدر نفسه ، ص١٣٣ .

كان من جملة المتمردين الذين لجأوا الى البرتغاليين في صحار ناصر بن قطن الهلالي، الذي اخذ بالاغارة على منطقة الباطنة ، وينتقم من بعض القبائل التي تساند الامام هناك ، ومنهم بعض افخاذ بني لام (٣٠٩).

ولمنعه من مواصلة الاذى جهز الامام ، جيشا اوكل قيادته الى علي بن احمد ، يعضده محمد بن صلت الريامي ، وعلي بن محمد العبري ، واحمد بن بلحسن البو شرى ، سار الجيش الى واحة ليوا ، والتقى قوات ناصر بن قطن ، ودارت بينهما معركة حامية ، اجبر فيها ناصر الهلالي على الهرب الى قرية محيبس ، ومنها توجه نحو الشمال الى موضع (الخروص) ، تطارده قوات الامام ، حيث دارت بين الطرفين معركة اخرى واصل بعدها ناصر بن قطن هروبه الى الاحساء (٣١٠).

نجح الجبور في استقطاب حلفاء لهم في الاحساء ، فهذا زعيم بني خالد (٣١١). في الاحساء محمد بن عثمان ، المعروف (بابن حميد) ، اخذ هو الاخر يساهم في الهجمات التي كان يشنها ، الجبور ، من الاحساء على الظاهرة في عمان ، فقد غزا جمع من قوات ابن حميد بلاد السر ، وعسكر قرب الغبى ، فتقدم واليها محمد بن سيف ، يسانده ، سعيد بن خلفان ، لمفاوضة ابن حميد ، ولكن دون جدوى ، اذ رفض ، وتقابل الطرفان وخسر ابن حميد المعركة ، واسر على

---

(٣٠٩) عبد اللطيف ناصر الحميدان ، نفوذ الجبور في شرق الجزيرة العربية ، بعد زوال نفوذهم السياسي ١٥٢٥ ١٨٧١، مجلة كلية الاداب – جامعة البصرة ، العدد ١٧ ، ١٩٨١ ، ص٢١٩ .

(٣١٠) السالمي ، تحفه الاعيان ، ص١٤ ؛ عبد اللطيف الحميداني ، المصدر السابق ، ص٢٤١ .

(٣١١) اصبح بنو خالد من اقوى القبائل العربية في شرق الجزيرة العربية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وامتد نفوذها من قطر جنوبا حتى الكويت وحدود العراق شمالا . ويذكر الدكتور علي ابا حسين ان نفوذهم يرجع الى القرن السادس عشر ، اذ ان آل حميد من بني خالد حكام الاحساء والقطيف هم من بني جبر ، وان جدهم الكبير ، قاد جيش مقرن بن زامل الجبري الذي قاوم البرتغاليين سنة ١٥٢١ ، ورغم تعدد الاسماء التي اطلقت عليهم مثل (آل حميد) أو (آل عريعر) أو (بنو خالد) فهم من الجبور ، وقد تمكن زعيمهم براك بن غرير آل حميد الخالدي ان يفرض سيطرته على الاحساء سنة ١٦٧٠ منتزعاً اياها من العثمانين وظل بنو خالد يحكمون الاحساء والقطيف والعقير حتى ١٧٩٥ ، عندما سقطت الاحساء بيد محمد بن عبد الوهاب ، ومحمد بن سعود واولاده ، انظر : احمد مصطفى ابو حاكمة ، تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص، ٤٧–٤٩؛ علي ، ابا حسين ، الجبور عربان الشرق، ص١٠ .

يد سعيد بن خلفان ، واقتيد من الغبى ، الى الرستاق ، حيث امر الامام ناصر بحبسه في المدينة، وظل محبوسا فيها مدة خمسة اشهر ، وتوفي بعدها [٣١٢].

ويذكر ابن قيصر ان ناصر بن قطن مازال واتباعه يغيرون على عمان في بعض الشهور ، وانه لازال يناصب الامام اليعربي ناصر بن مرشد العداء ، وانه في غاراته يزرع الخوف والفزع في القلوب . وفي احدى غاراته صحبه ابن عمه هلال بن علي بن قطن ، وتوجها ، جنوبا لقطع الطرق ، ولما علم الامام وجه اليه جيشا قويا بقيادة ، سيف بن مالك ، والتقى الفريقان في معركة ضارية [٣١٣].

ويقول عنها السالمي ، بان الغلبة كانت فيها لقوات الهلالي لتفوقهم العددي على قوات الامام ومع ذلك وجد الهلالي نفسه عاجزا عن تحقيق اطماعه في عمان فعاد الى الاحساء. ولم يسمع عنه بعدها خبر [٣١٤] . اما ابن رزيق فلا يلتزم موقفا واضحاً ، اذ يذكر في (الفتح المبين) ان جيش الامام ناصر بن مرشد انتصر في المعركة الاخيرة على ناصر الهلالي ، فيقول: "فبادرت اول زمرة من جيش الامام جيش ناصر بن قطن ، فقتلوا البغاة جميعا مع قلتهم و كثرة عدوهم، وما النصر الا من عند الله ، (وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)[٣١٥]"[٣١٦].

ومصير زعيم بن هلال ، او بني جبر ناصر بن قطن يكتنفه الغموض ، اذ لم تذكر المصادر العمانية المحلية على نحو واضح وصريح ، ما آليه حال الهلالي بعد المعركة الاخيرة، فابن رزيق يذكر في (الشعاع الشائع) ، ان ناصر بن قطن قد قتل في المعركة الاخيرة ، اذ يقول : "فنصر الله احزاب الامام على القوم الباغين ، فقتل ناصر بن قطن مع احزابه اجمعين ، وما سلم

---

[٣١٢] عبد الله بن خلفان بن قيصر ، المصدر السابق ، ص٦٠ ؛ اما الازكوي فيذكر انه قضى في سجنه سبع اشهر ومات بعدها ، المصدر السابق ، ص١٠٦ ، السالمي يؤيد ذلك ، المصدر السابق ، ص١٤ .

[٣١٣] ابن قيصر ، المصدر السابق ، ص٦٣ .

[٣١٤] السالمي ، تحفة الاعيان ، ص١٤ ؛ الازكوي ، كشف الغمة ، ص١٠٦-١٠٧ ؛ وانظر ايضا ابن قيصر ، المصدر السابق ، ص٦٣-٦٤ .

[٣١٥]سورة البقرة ، الآية ٢٤٩ .

[٣١٦] ابن زريق ، الفتح المبين ، ص٢٧٩ .

منهم احد ... وانطفأت من البغاة النائرة والشرور ، ونما لعمان السرور" [٣١٧]. اما السالمي فيورد انه لم يكن لناصر بن قطن بعد المعركة الاخيرة ذكر ، فلعله مات . او ضعفت قوته [٣١٨].

ونتفق مع هذا الرأي ، فربما ادرك المتمرد ناصر بن قطن ، بعد هذه المعركة ،استحالة تحقيق ما كان يصبو اليه ، من اخضاع الامام العماني لسلطته ، او انتزاع الاعتراف بها .

ان موت ناصر الهلالي او تنحيه عن مسرح الاحداث السياسية ، وضع حدا للهجمات التي كانت عمان تتعرض لها ، من ذلك الفخذ من الجبور ، الذي اتخذ الاحساء مقرا له ، حيث تخفى تحت اسم (بني خالد) ، الذين اصبحت لهم الزعامة القبلية الاولى في الاحساء والقطيف ، كما ان انحسار نشاط الجبور وهجماتهم ، مكنت الامام ناصر بن مرشد من ان يتنفس الصعداء، تفرغ بعدها ، لمواجهة البرتغاليين على الساحل العماني [٣١٩].

عاود الجبور الظهور على مسرح الاحداث السياسية العمانية ، خلال مرحلة الحرب الاهلية التي قسمت البلاد الى كتلتين متنافستين : هناوية وغافرية ، وكان الجبور من اقوى القبائل الغافرية التي ناصرت الامام اليعربي سيف بن سلطان الثاني ، واعادته الى الامامة في سنة ١٧٢٨[٣٢٠].

ويتضح دور الجبور على نحو اكبر في حل الخلاف الذي نشب بين الامام سيف وواليه على صحار احمد بن سعيد ، ويبدو ان صعود نجم هذا الوالي في صحار ، وتحقيقه للازدهار والعدل فيها ، ومبادرة جماعات عديدة من قبائل الشمال لتاييده ، ومنهم شيوخ الجبور ، في مدن الحفرى [٣٢١] والحرادي [٣٢٢] قد اثارت حفيظة سيف بن سلطان الثاني ، وقلقه وخشيته على منصبه كامام ، فعزم على قتل والي صحار ، وما ان علم الجبور بنية الامام حتى جهزوا اربع سفن كبيرة بالمدافع وصلوا بها سواحل صحار ، ومنها جاءوا الى الامام سيف وتوسطوا لحل الخلاف واحلال الصلح بين الطرفين ، وبالفعل نجحوا في ذلك وتوصلوا الى اتفاق مرض للطرفين ، وهو ان يترك سيف بن سلطان ، احمد بن سعيد واليا من قبله على صحار ، على ان يبعث اليه الوالي ولده هلال ، ليقيم في قصره رهينة [٣٢٣].

---

[٣١٧] ابن زريق ، الشعاع الشائع، ص٢٢٦ .

[٣١٨] السالمي ، المصدر السابق ، ص١٥ .

[٣١٩] عبد اللطيف الحميدان ، المصدر السابق ، ص٢٢١-٢٢٣

[٣٢٠] المصدر نفسه ، ص٢٢٤ .

[٣٢١] الحفري قرية قرب نزوى .

[٣٢٢] الحرادي احد وديان منطقة الباطنة .

[٣٢٣] ابن زريق ، الفتح المبين ، ص٣٣٠ .

ويبدو ان ضعف موقف الامام سيف بن سلطان الثاني المعنوي في نفوس الناس نتيجة استقدامه مرتزقة من مكران لحل الخلافات الداخلية ، وحرص احمد بن سعيد على تجنب الفتنة في البلاد ، قد اسهمت في التوصل الى هذا الاتفاق .

وهكذا تمكن الجبور ، بسياسة حكمية من قطع الطريق على الحرب [٣٢٤]. وتجدر الاشارة الى ان دور الجبور سيبرز اكثر بمبايعة احمد بن سعيد لامامة عمان ، بعد ان نجح في تحرير البلاد من الاحتلال الفارسي ، وبزواج . احمد بن سعيد من ابنة زعيم الجبور جبر بن محمد الجبري ، توثقت العلاقة بينهما اكثر، اذ ظل الجبور اقوى الحلفاء واخلصهم لاحمد بن سعيد [٣٢٥].

العلاقة مع القواسم :

لاجل توضيح طبيعة العلاقة التي اقامتها دولة اليعاربة مع القوى المحلية المعاصرة ، ومنها القواسم ، لابد ان نتعرف على الاسباب التي ادت الى قيام مثل هذه الكيانات السياسية .

كان الاكتساح البرتغالي لموانئ الساحل العماني ومدنه ، واحدا من الاسباب التي ادت الى قيام كيانات سياسية جديدة ابرزها الاتحاد القاسمي [٣٢٦].

وتميز تجمع القواسم بقوته البحرية ، التي ضمت العديد من البحارة والمقاتلين المهرة ، ويعود هذا الى قدرتهم على استقطاب عدد كبير من العشائر والقبائل وتوحيدها تحت لواء زعامة قاسمية ، ثم ان السلطة التي يمارسها شيوخ التجمع ، على القبائل المنتمية اليهم ، لم تكن سلطة مطلقة استبدادية او تعسفية [٣٢٧]. فالى جانب سلطة الشيخ الاعلى ، كان لكل قبيلة او عشيرة شيخها الذي يمارس الحكم باسلوبه القبلي الخاص ، وكانت غالبا ما تناقش القضايا الكبرى بانعقاد مجلس كبير يرأسه شيخ التجمع ويضم الشيوخ التابعين وكبار رجال القبائل ، وفيه تقرر الحلول لتلك القضايا ، وتحول الاعراف القبلية دون استبداد الشيخ الاعلى على بقية الزعماء ورؤساء العشائر التابعة له [٣٢٨].

---

[٣٢٤] ابن زريق ، الشعاع الشائع ، ص٣٢٥ .

[٣٢٥] عبد اللطيف الحميدان ، المصدر السابق ، ص٢٢٦ .

[٣٢٦] فالح حنظل ، المفصل ، ص٤٥ .

[٣٢٧] غانم رميض العجيلي ، الزعامات القبلية في منطقة الخليج العربي وعلاقاتها مع قوى المنطقة عمان وفارس منذ مطلع القرن السادس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر ، مجلة دراسات في التاريخ والاثار ، العدد ٩ السنة ٢١ ، ٢٠٠٢ ، ص١١٧ .

[٣٢٨] صالح العابد ، دور القواسم ، ص٧٣؛ غانم العجيلي ، الزعامات القبلية ، ص١١٨ .

وفيما يتعلق بنسب القواسم ، والمكان الذي نزحوا منه ، وزمن نزوحهم ، فقد تباينت اراء المؤرخين بشأنه ، فهناك من يرجع اصولهم الى قبائل نجد السعودية ، ومنهم من يرجعها الى منطقة الصير ، في عمان ، واخرون يرجعونها الى عرب الهولة ، القاطنين في الساحل الشرقي للخليج العربي ، بين بوشهر وبندر عباس ، فضلا عن البحرين واشار مؤرخون اخرون الى ان نسبهم يعود الى قبيلة نزار ، وهي فصيلة من بني غافر ، التي هاجرت من اواسط الجزيرة العربية ، واقامت في عمان منذ القرن السابع الميلادي [٣٢٩].

اما معقلهم الرئيس فهو راس الخيمة ، حيث نصب زعيم القواسم الشيخ قاسم خيمته في موضع على الساحل العربي ، مقابل مدينة جلفار ، بحيث ان السفن المارة بالمنطقة كانت تراها بوضوح ، فاطلق البحارة على هذا المكان اسم (راس الخيمة) .

برز القواسم على مسرح الاحداث السياسية قوة بحرية حين انتهزوا فرصة الغزو الافغاني لايران عام ١٧٢٢ ، فسيطروا على جزيرة قشم ، ومن يقول ان دورهم السياسي قد برز خلال الحرب الداخلية اواخر عهد اليعاربة لا ينصف القواسم ، فدورهم السياسي يرجع الى قبل هذا التاريخ بكثير [٣٣٠].

تالف الاتحاد القاسمي من مجموعة القبائل القاطنة في المنطقة ، ما بين راس مسندم شمالا ، وابو ظبي جنوبا ، التي تدين بالولاء للشيخ القاسمي الكبير ، ومقره في راس الخيمة ، واهم هذه القبائل : الخواطر وهم فرع من قبيلة النعيم الكبيرة ، وبنو قتب وزعان والعلي والبوخريان والشحوح والمزاريع والحبوس والغفلة [٣٣١].

العلاقات اليعربية – القاسمية :-

ظل ساحل عمان الشمالي او ما يعرف بـ(السر) تابعا من الناحية الاسمية لسلطة الامام اليعربي، الا أن القبائل في هذه المنطقة كانت على درجة كبيرة من الاستقلال ، اذ كان امام عمان يستعين بالشيوخ ورؤساء المقاطعات ، فيعهد اليهم بشؤون الحكم في مقاطعاتهم ، شريطة اعترافهم بسيادته [٣٣٢].

---

[٣٢٩] صالح العابد ، دور القواسم ، ص٦٤-٦٦؛ جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ، ص٢٤٣-٢٤٤ .

[٣٣٠] جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ، ص٢٤٦-٢٤٧ .

[٣٣١]صالح العابد ، صفحة من تاريخ تصدي القواسم للتحدي البريطاني في الخليج العربي ، الحملة لبريطانية على ساحل عمان ١٨٠٩-١٨١٠ ، ندوة حركة الجهاد البحري ، منشورات المجتمع العلمي ، ٢٠٠٢ ، دائرة العلوم الانسانية ، ص٤٠ .

[٣٣٢]صالح العابد ، دور القواسم ، ص٨٧ .

لهذا ازر القواسم الامام ناصر بن مرشد ، كغيرهم من القبائل العربية ، لتخليص البلاد من الاحتلال البرتغالي ، ففي معركة تحرير جلفار عام ١٦٣١ ، سجّل القواسم صفحة مجيدة في طرد البرتغاليين والفرس من قلعتيهما [٣٣٣].

ويذكر فالح حنظل : أن القائد القاسمي كايد بن عدوان قد يكون شارك في هذه المعركة ، وربما شهد هذا العام تشكيل نواة قوة سياسية قاسيمة استقرت في المدينة بعد فتحها الامر الذي فسح المجال لاعداد كبيرة من القواسم ، المتواجدين في لنجة وبقية مدن الساحل الشرقي للخليج العربي ، للالتحاق بنواة هذه الأمارة القاسمية [٣٣٤].

وابرز نشاطات القواسم ، في مرحلة التبعية العمانية مساهمتهم الى جانب الامام سلطان بن سيف في فتح جزر البحرين وقشم ولارك ، وفرض حصار على قلعة هرمز دام سبعة اشهر دون فتحها [٣٣٥].

بدات حملة السيطرة على هذه الجزر ، بسبب موقف لامير لنجة الفارسي ، شجاع الدين العجمي ، الذي يكن العداء للامام العماني ، ولم يكن على علاقة جيدة بالقواسم ، فحين اوعز العجمي لبعض وحداته البحرية قطع الطريق امام السفن القاسمية والعمانية ، سارع الشيخ قضيب بن كايد بالكتابة الى الامام سلطان ، يطلب مساعدته لغزو الميناء ، وفعلا تمكنت السفن العمانية ، بمعونة البحارة القواسم ، من اقتحام مدينة لنجة ، وتدمير حصونها واضطر العجمي الى الهروب الى شيراز بعد انكسار قواته[٣٣٦].

ولم تكتف القوات المشتركة العمانية والقاسمية بهذا النصر ، بل تحركت بهدف الاستيلاء على جزيرة قشم، ونجحوا في الانزال على برها، حيث اسس القواسم محطة تجارية لهم فيها[٣٣٧].

وتابعت القوات (القاسمية والعمانية) حملتها نحو هرمز الا ان قوة دفاعاتها وحصانة قلعتها حالت دون فتحها ، مما اضطر المهاجمين الى الانسحاب الى جزر لارك وهنجام

---

[٣٣٣]غانم العجيلي ، الزعامات القبلية ، ص١١٨-١١٩ .

[٣٣٤]فالح حنظل ، المفصل ، ص٧١ ؛ نايف الاحباني ، المصدر السابق ، ص١٣١ .

[٣٣٥]صالح العابد ، دور القواسم ، ص ٧٨ ؛

Laurance Lockhart , The Fall of Safavi Dynasty and The Afghan Occupation of Persia, London , 1958 , p.404 .

[٣٣٦]فالح حنظل ، المفصل ، ص١٢٥ .

[٣٣٧] المصدر نفسه ، ص١٢٦ .

وقشم [٣٣٨]. وبعد الاستعداد بخطة محكمة ، تحركوا من جديد في صيف عام ١٧١٧ ، لمهاجمة القوات الفارسية في البحرين وبعد قتال عنيف دار بين الطرفين، انكسر الجيش الفارسي ، وهرب قائده من البحرين ، ليدخلها الامام سلطان الثاني فاتحا ظافرا ، وقام بعدها ببناء "قلعة عراد الشهيرة" ، وترك حامية عمانية فيها ، وعاد منتصراً الى عمان [٣٣٩].

تطور دور القواسم في الحياة السياسية العمانية بعد وفاة الامام سلطان بن سيف الثاني (١٧١١–١٧١٨) ، اذ نشبت فتنة قادت البلاد الى حرب اهلية طاحنة ، اوهنت البلاد ، ومهدت للغزو الأجنبي لعمان .

برز دور القواسم في هذا الخلاف عندما استنجد محمد بن ناصر الغافري بالشيخ رحمة بن مطر زعيم القواسم في جلفار ، الذي وافق بدوره على دخول النزاع ، ومن جانب اخر قام الوصي بلعرب بن ناصر بتشكيل حلف من قبيلة هناءة وحلفائها بزعامة الشيخ خلف بن مبارك الهنائي[٣٤٠].

وارسل الشيخ رحمة بن مطر القاسمي قواته البرية ، التي بلغ تعدادها قرابة (٤٠٠٠) مقاتل ، يقودهم خميس بن منير الهولي[٣٤١]. وبعد معارك عديدة قاد بعضها الشيخ رحمة بن مطر، ابرزها معركة المصنعة ، [٣٤٢]. التي انتصر فيها على قوات الشيخ قرع الدرمكي، حليف الشيخ خلف الهنائي وقتله ، فضلا عن النجاح الذي حققه اسطول القواسم على سفن الهنائي الراسية في ميناء برقة .

شهدت هذه المرحلة انحسار دور القواسم عن دعم التكتل الغافري ، اذ انشغل القواسم باعداد خطة للاستيلاء على جزيرة قشم ، التي نجحوا في امتلاكها مؤقتا ، فمالبث الفرس ان استنجدوا بوكيل شركة الهند الشرقية مستر داربر Darper ، فسارعت حكومة الهند الى نجدتهم ،

---

[٣٣٨] قشم : جزيرة كبيرة تقع بين جزيرتي لارك وهنجام ، في مواجهة هرمز وميناء بندر عباس .
فالح حنظل ، المفصل ، ص١٢٦ .

[٣٣٩] المصدر نفسه ، ص١٢٧ .

[٣٤٠] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤٢٢ .

[٣٤١] صالح العابد ، دور القواسم ، ص٨٨–٩٠ .

[٣٤٢] المصنعة : قرية تقع على ساحل الباطنة ،
المعولي ، المصدر السابق ، ص١٤٥ .

فارسلت وحدات بحرية هاجمت ميناء باسيدو ، أُجبر القواسم معها على الانسحاب الى قواعدهم في راس الخيمة [٣٤٣].

وعلى صعيد عمان الداخلي ، قتل زعيما طرفي النزاع (الغافري والهنائي) ، وعادت الامامة الى سيف بن سلطان ، الذي عجز عن مواجهة خصومه الجدد ، فاستنجد بنادر شاه ، الذي وجد في هذا الاستنجاد فرصة ذهبية للسيطرة على عمان[٣٤٤].

وقف القواسم خلال الحملات الفارسية على عمان موقف الترقب ، ويبدو ان هذا الموقف دفع الشيخ القاسمي الى اظهار ولائه للقائد الفارسي للمدة ما بين عامي ١٧٣٧و١٧٣٨ ومن جانبهم لم يكن الفرس مطمئنين تماما الى موقف القواسم ، فقد اصابهم الذعر حينما اعتقدوا ان حلفا عقد سنة ١٧٤١ بين القواسم وامام عمان ،الذي كان يملك تسع سفن كبيرة ، وان هدف هذا الحلف ، الاستيلاء على احدى الجزر القريبة من الساحل الشرقي ، ومهاجمة بندر عباس [٣٤٥].

ساند القواسم الكتلة الغافرية التي ايدت ائمة اليعاربة ولاسيما اخرهم بلعرب بن حمير ، ضد خصمه احمد بن سعيد ، وقام بلعرب وحلفاؤه بالهجوم على مسقط ، في محاولة لانتزاعها من ابن سعيد ، كما شاركوه في الهجوم الذي شنه على صحار ، ودحروا فيه قوات ابن سعيد في معركة الباطنة ، ويعتقد انها وقعت سنة ١٧٤٥[٣٤٦].

ادى ضعف السلطة المركزية ، والاوضاع المضطربة في عمان ، الى اعلان القواسم انفصالهم عن دولة اليعاربة ، وتعزز هذا الموقف اثر سقوط سلطتها ، وقيام سلطة سلالة جديدة هي البوسعيد لذا كان هذا اول تحد واجهه احمد بن سعيد بعد وصوله الى امامة عمان[٣٤٧].

---

[٣٤٣] فالح حنظل ، المصدر السابق ، ص١٤٠-١٥٣ .

[٣٤٤] جمال زكريا قاسم ، دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا (١٧٤١-١٨٦١) القاهرة ١٩٦٧، ص٣٩ .

[٣٤٥] صالح العابد ، دور القواسم ، ص ٩٠ .

[٣٤٦] جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ، ص٢٦٨-٢٦٩ .

[٣٤٧] غانم العجيلي ، الزعامات القبلية ، ص١٢٤ .

علاقات اليعاربة مع بني ياس :-

تعد قبيلة بن ياس تحالفا لقبائل عديدة ، تزعمها البوفلاح [٣٤٨]. وتقيم في جزء من اقصى شمال عمان ، وهو ما يعرف بساحل (السر) .

وعن (بني ياس) يقول كيلي : "مع ان بني ياس ليسوا بالقبيلة التي يمكن تتبع نسبها الى جد يجمعها ، الا ان جماعاتها ظلت مترابطة مع بعضها في تحالف مدة لا تقل عن ثلاثة قرون، حتى انه يمكن عدُّ تلك الجماعات اليوم ، دون اية مبالغة ، قبيلة متماسكة" [٣٤٩].

ادى بنو ياس دورا كبيرا في الاحداث السياسية في عمان ، بفضل زعامة فلاح وولده صقر ، التي جعلت من بني ياس قوة مؤثرة [٣٥٠].

ومن الجدير بالذكر ان عرب الامارات وعمان اسهموا بداية العقد الثاني من القرن السابع عشر ، الى جانب قوات الشاه عباس الصفوي (١٥٨٧-١٦٢٩)، في الحملة التي استولت على هرمز عام ١٦٢٢ [٣٥١]. وتذكر المصادر ان المدة التي اعقبت موت الشاه عباس شهدت تزايد نفوذ القبائل العربية على الساحل الشرقي للخليج العربي ، والتي كانت لها ولمدة طويلة ، خبرة بامور البحر على العكس من الفرس [٣٥٢].

والواقع ان دولة اليعاربة منذ قيامها ، نجحت في توحيد صفوف القبائل العربية ، لتحقيق هدف مشترك ، هو تطهير المدن والموانئ العمانية من البرتغاليين ، وتمكن الامام ناصر بن مرشد من الحصول على دعم القبائل العمانية، وبقية القبائل في الامارات العربية ، كالقواسم وبني ياس ،

---

[٣٤٨] يتكون حلف بن ياس من خمس عشرة عشيرة ، يمثل البو فلاح القلب فيها ، و يتالفون بدورهم من عدة بطون ، هي ، آل نهيان حكام ابو ظبي وآل سعدون وآل سلطان في دبي ، وآل محمد في ليوا وقبيلة الرواشد اكبر اقسام قبيلة بني ياس والبوفلاس والكبيسات ، وهناك السودان ، ويتبع بني ياس عدة جماعات صغيرة ، هي البو أمين ، والعريفات ، والذهيلات والخمارة ، والتميرات ، وللمزيد من التفاصيل عن اصل بني ياس ونسبتهم ، يراجع : عفراء عطا الله عبد الكريم الريس ، بنو ياس ودورهم في ظهور امارة ابو ظبي ١٧٦١-١٩١٤ رسالة ماجستير – كلية التربية – جامعة بغداد ، ١٩٩٩ ، ص١٩ .

[٣٤٩] مقتبس في محمد مرسي عبد الله، امارات الساحل وعمان والدولة السعودية الاولى(١٧٩٣-١٨١٨) ، ج١، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص٩٨-٩٩ .

[٣٥٠]عفراء عطا الله ، المصدر السابق ، ص٢٣ .

[٣٥١]محمد حسين العيدروس ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

[5]Tuson Penelope, Record of the Emirates Primary Documents 1820-1958, Oxford , 1990, Vol. 1 p.24.

وطرد الفرس والبرتغاليين ، من جلفار . فكان هذا النصر المشترك ، اول نصر دبلوماسي حققه اليعاربة مع هذه القوى المحلية .

تعرضت علاقات الود ، التي طبعت العلاقة اليعربية مع بني ياس ، الى توتر في عهد الامام ناصر بن مرشد ، سنة ١٦٤٥ ، عندما لجأ المتمرد والي ينقل ناصر بن قطن الهلالي او الجبري الى زعيم بني ياس صقر بن فلاح في واحة ليوا [٣٥٣].

مرّ في (باب العلاقة مع الجبور) ان ناصر بن قطن شكل قوة محاربة ، واخذ يغير بها كل سنة على اجزاء من بادية عمان ، فاصدر الامام ناصر اوامره الى والي (توام الجوف) او (بلدة البريمي) لنصب كمين للمتمرد الهلالي والقضاء عليه [٣٥٤]. لكن الهلالي نجح في الافلات من هذا الكمين ، ولجأ الى زعيم بني ياس حاكم امارة الظفرة ، الذي قبل لجوءه واكرم وفادته، واسكنه في حصن في واحة ليوا ، وعين له حرسا تحت اشراف شقيقه الشيخ محمد بن فلاح [٣٥٥].

استغل ناصر بن قطن الهلالي حماية بني ياس ، وباشر بالكتابة من الظفرة الى القائد العماني محمد بن يوسف الحوقاني ، طالباً الصلح ، فوافق الوالي الحوقاني سنة ١٦٤٤ ، نتيجة ضعف الوحدة العسكرية العمانية ، لقلة المؤن والماء ، وابتعاد خطوط مواصلاتها عن قاعدتها في البريمي ، شريطة ان يسترد الغنائم التي اخذها الهلالي من المنطقة ، فتم الصلح بينهما [٣٥٦].

لم تتوقف هجمات المتمرد ناصر الهلالي ، بعد عقد هذا الصلح ، فقد بدأ يحشد قوات من البدو والحضر بمساندة بني ياس ، وهاجم حصن الجو منتصف سنة ١٦٤٥ ، وكان واليها انذاك احمد بن خلف ، ويبدو ان اهل منطقة الجو (البريمي) قد ساندوا ناصر الهلالي واعانوه للقضاء على حكم الوالي [٣٥٧].

وما ان علم ولاة مناطق الباطنة والظاهرة بهذا الامر ، حتى سارعوا لنصرة الوالي احمد بن خلف ، فانهزمت قوات ناصر الهلالي ، وفر هو الى جلفار [٣٥٨].

---

[٣٥٣] غانم العجيلي ، الزعامات القبلية ، ص١١٩ .

[٣٥٤] فالح حنظل ، المفصل ، ص٧٧ .

[٣٥٥] غانم العجيلي ، المصدر السابق ، ص١٢٠ .

[٣٥٦] عفراء عطا الله ، المصدر السابق ، ص٢٥ .

[٣٥٧] عبد الله بن خلفان بن قيصر ، المصدر السابق، ص٥٩ .

[٣٥٨] الازكوي ، المصدر السابق ، ص١٠٥ .

بعد هروب الهلالي ، سار جيش الامام ناصر نحو بلدة الظفرة ، للبحث عن ابل الهلالي، التي كانت بحوزة بني ياس ، فلما سمع شيخهم صقر بن فلاح نبأ تقدم الجيش العماني، حاول الدخول في مفاوضات تضمن الحل السلمي ، فتوجه مع شقيقه محمد ، على راس قوة من بني ياس ، لمقابلة القائد سعيد بن خلفان ومن معه ، والتقوا في موضع يقال له (الشعب) قرب الظفرة الا ان المفاوضات فشلت بينهما ، ورفض بنو ياس اعادة الابل المطلوبة للقائد العماني [٣٥٩]. ودارت بين الطرفين معركة شديدة ، قتل فيها الشيخ صقر واخوه محمد ، واضطر الباقون الى طلب الصلح من القائد الذي عفا عنهم [٣٦٠].

تزعم قيادة بني ياس ، بعد مقتل الشيخ صقر بن فلاح ، الشيخ زايد بن محمد بن فلاح ، ولم تؤثر هذه الحادثة في العلاقة الودية القائمة بين ائمة اليعاربة وزعماء بني ياس ، حتى بعد وفاة الامام ناصر بن مرشد ، فقد شهد عهد الامام سيف بن سلطان مشاركة قوية لبني ياس في معركة الجهاد التي قادها الامام ضد البرتغاليين في الهند وشرق افريقيا [٣٦١].

ومما يؤكد ذلك ان اسرة المزروعي وهي احد فروع قبيلة بني ياس ، تمكنت من ان تحقق لها نفوذا واسعا في شرق افريقيا ، حتى النصف الاول من القرن الثامن عشر [٣٦٢].

على الرغم من كون قبيلة بني ياس من القبائل الهناوية ، لكنها بدأت تاريخها ، خلال الحرب الاهلية التي اجتاحت عمان ، مؤيدة للتكتل الغافري ، فقد ايد بنو ياس محمد بن ناصر الغافري ، واستجابو لندائه في مواجهة خلف الهنائي [٣٦٣]. والى جانب القواسم وبني قتب وبني النعيم وعدد اخر من القبائل ، وصلت قوات بني ياس ، الى الرستاق قاعدة قوات الغافري ، وشكلت جيشاً غافرياً تعداده اثنا عشر الف مقاتل [٣٦٤].

كانت زعامة بني ياس في هذه المرحلة بيد محمد بن زايد بن محمد بن فلاح ، ويبدو ان قوتهم كانت في اوجها ، والدليل على ذلك ان محمد الغافري قد طلب اليهم مقاتلة قبيلة بني علي الشديدة المراس ، التي يتزعمها الشيخ سليمان بن سالم ، ومقره في مدينة ينقل ،وبالفعل اجبرت

---

[٣٥٩] فالح حنظل ، المفصل ، ص٧٩ .

[٣٦٠] عفراء عطا الله ،المصدر السابق ، ص٢٦ .

[٣٦١] فالح حنظل ، المصدر السابق ، ص٧٩ .

[٣٦٢] غانم العجيلي ، المصدر السابق ، ص١٢٠ .

[٣٦٣] محمد مرسي عبد الله ، دولة الامارات العربية المتحدة وجيرانها ، ط١ ، الكويت ، ١٩٨١ ، ص١٢٦ .

[٣٦٤] فالح حنظل ، المفصل ، ص١٤٢-١٥٢ .

كتائب بني ياس ، بمساندة بقية قوات الجيش الغافري ، قوات بني علي على التقهقر ، في معركة شديدة ، قتل فيها الشيخ سليمان بن سالم . وفي الوقت ذاته كان لبني ياس جبهة اخرى مع الصواوفة من التكتل الهنائي، وتمكنوا من تخريب قراهم ومحاصرتهم في حصونهم لشهرين متتالين، حتى استسلموا اخيرا ، كما نجح بنو ياس في صد هجوم القوات الهنائية المتمركزة في نخل ودحره [٣٦٥].

عادت قوات بني ياس الى مواقعها في الظفرة بعد ان عقدت الامامة لمحمد بن ناصر الغافري سنة ١٧٢٤، لكنها لم تلبث ان عادت لمساندته مرة اخرى ضد خلف الهنائي[٣٦٦].

تعكر صفو هذا التحالف الغافري، مع بني ياس، بمكيدة دبرها الهنائي[٣٦٧]. فانسحبوا من معسكر الغافري، وعادوا الى ارض الظفرة، بل وانحازوا الى التكتل الهنائي، اما النعيم وبنو قتب فقد بقوا على ولائهم للتكتل الغافري[٣٦٨].

لم تتورط قبائل بني ياس والنعيم وبني قتب في القتال الى جانب أي طرف خلال الحملات الفارسية على عمان، ولم يشارك بنو ياس في المعارك العسكرية ضد القوات الفارسية، منذ انسحابهم من مسرح الإحداث بعد حادثة المزارع[٣٦٩].

لكن احمد بن سعيد بعد تمكنه من تحرير مسقط من السيطرة الفارسية ، وسطوع نجمه ، واجه تحالفاً غافرياً قوياً ، ضمّ القواسم والنعيم والبو علي ، لمساندة الامام اليعربي بلعرب بن حمير، فحاول ابن سعيد جرّ بني ياس الى جانبه، ولكن رغم التزامهم بمساندته ، ظلت مساندتهم غير فاعلة ، اذ ارسلوا رجالهم لمواجهة بني النعيم الذين تحشدوا في البريمي [٣٧٠].

---

[٣٦٥] المصدر نفسه ، ص١٤٥ .

[٣٦٦] المصدر نفسه ، ص١٤٩ .

[٣٦٧] حول هذه المكيدة ، انظر :

ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص٣٢٤ ؛ عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص١٨٨ ، فالح حنظل ، المفصل ، ص١٥١ ؛ السالمي ، تحفة الاعيان ، ج٢ ، ص١٣٩-١٤٠ ؛

Badger , History of Imams' and Syydies of Oman , p. XXXVI

[٣٦٨] محمد مرسي عبد الله ، المصدر السابق ، ص١٤٩ ؛ فالح حنظل ، المفصل ، ص ١٥٢.

[٣٦٩] عفراء عطا الله ، المصدر السابق ، ص٣١ .

[٣٧٠] فالح حنظل ، المفصل ، ص ١٨٦ .

وحدثت بين الطرفين معركة شديدة ، هي (وقعة ام الذياب) التي قتل فيها الزعيم النعيمي ناصر بن حميد القرطاسي من آل بو خريان [٣٧١] وظل بنو ياس في حلفهم مع الكتلة الهنائية الى جانب الامام احمد بن سعيد ، الامر الذي دفعهم لخوض معارك عديدة ضد الغافريين ومنهم القواسم ، الذين أعلنوا رفضهم الحكم البوسعيدي وبعد معارك عديدة اضطر بنو ياس الى ترك ارض الظفرة ، والتوجه الى جزيرة صير بني ياس [٣٧٢].

ثانياً: العلاقة مع القوى الاقليمية :-

العلاقات اليعربية – الفارسية :-

ترجع العلاقة بين فارس وعمان الى حقبة تسبق قيام دولة اليعاربة ، لكن هذه العلاقة اتسمت بالعداء منذ نشأتها [٣٧٣].

ولم يتغير الوضع بعد ان لاحت سفن البرتغاليين واساطيلهم ، في مياه الخليج العربي مطلع القرن السادس عشر ، وبدات باخضاع مدن الشريط الساحلي العماني وعجزت الدولة الصفوية [٣٧٤]. كقوة اقليمية ، عن التصدي للبرتغاليين ، بل انشغلت بحروبها ضد العثمانيين في العراق ، ولعل السبب يعود الى افتقار فارس الى القوة البحرية القادرة على مواجهة الاسطول البرتغالي ، والى عدائها المستمر لمملكة هرمز ، التي امتدت سيطرتها الى الساحل الشرقي للخليج العربي [٣٧٥].

---

[٣٧١] عفراء عطا الله ، المصدر السابق ، ص٣٣ .

[٣٧٢] انظر المصدر نفسه ، ص٣٣ .

[٣٧٣] انظر : عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص١٥٨ ؛ عمان في التاريخ المصدر السابق ، ص١٧٢-١٧٥ .

[٣٧٤] قامت بعد سبات طويل عاشته بلاد فارس استمر ثمانية قرون تحت ظل السيطرة التركية والمغولية ، على يد اسماعيل بن حيدر ، الذي كان قائدا لقبائل قزلباش ، وينتسب الصفويون الى الشيخ صفي الدين الاردبيلي المتوفى سنة ١٣٢٨ ، تمكن اسماعيل الصفوي من الاطاحة بدولة الآق قوينلو (الخروف الابيض) ، وجلس على عرش تبريز عام ١٥٠٢ ولقب بـ (الشاه) ، وهو اول ملوك الدولة الصفوية التي استمر حكمها حتى عام ١٧٢٢ ، وتعاقب على عرشها عشرة ملوك تميز من بينهم ، اسماعيل الاول (١٥٠٢-١٥٢٤) ، وطهماسب الاول (١٥٢٤-١٥٧٦) وعباس الاول (١٥٨٧-١٦٢٩) ، لمزيد من التفاصيل عن قيام الدولة الصفوية يراجع :

نادية العبودي ، السياسية الفارسية تجاه القبائل العربية في الساحل الشرقي في الخليج العربي في القرن الثامن عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية – بغداد ، ٢٠٠٠، ص٣٢ .

[٣٧٥] المصدر نفسه ، ص٣٢-٣٣ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن مواقف الدولة الصفوية من الغزو البرتغالي للخليج العربي ينظر :

تحول هذا العداء مؤقتا سنة ١٦٢٠ الى قوة مشتركة عربية وفارسية ، قضت على قوة برتغالية احتلت موقعا على الساحل الشرقي قرب رأس الخيمة (٣٧٦). ولعل اهم انجاز حققه الفرس في الخليج العربي هو انتزاع هرمز ١٦٢٢ من البرتغاليين ، بالتعاون مع الانكليز .

اغرى هذا الانتصار الشاه عباس الاول ، بتحقيق حلمه باحتلال مسقط ، مستعينا بالانكليز ، الا ان الانكليز امتنعوا عن الاستجابة لطلبه (٣٧٧) .

والملاحظ ان عهد الامام ناصر شهد مهادنة الفرس للبرتغاليين في بعض المواقع ، ففي عام ١٦٢٥ عقد بين الطرفين صلح ، اعترف فيه البرتغاليون بانتقال هرمز وقشم الى الشاه عباس، على ان يكون لهم نصف العوائد الكمركية في كنج ، الواقعة قرب لنجة الحالية (٣٧٨).

وجه الامام ناصر بن مرشد اول ضربة للفرس ، عندما انتزع جلفار من السيطرة البرتغالية الفارسية المشتركة عام ١٦٣١ ، وطرد قائدها ناصر الدين الفارسي ، الذي كان متحالفاً مع اعداء الامام من الزعامات المحلية امثال مانع بن سنان وناصر بن قطن الهلالي (٣٧٩).

ظل حلم الاستيلاء على مسقط يراود الفرس ، الذين ايقنوا صعوبته دون الحصول على دعم فعال من احدى القوتين الأوربيتين : الإنكليز او الهولنديين (٣٨٠). فاعادوا الكرة في اذار عام ١٦٣٣ وطلبوا العون من الانكليز للاستيلاء على مسقط ، لكن هذه الخطة فشلت (٣٨١).

بعد تحرير العمانيين سواحلهم من الهيمنة البرتغالية ، اخذت القوة البحرية اليعربية تنمو وتتطور ، فبلغت درجة دفعت الاوربيين لتعزيز دفاعات سفنهم تخوفا منها ، وبدأت الموانئ والتجارة الفارسية تعاني من غارات عمانية متواصلة ، ادرك معها الفرس عجزهم عن مواجهتها او صدها (٣٨٢).

نايف الاحبابي ، المصدر السابق ، ص٧٠ وما تلاها .

(٣٧٦)عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص١٦٠ .

(٣٧٧)صلاح العقاد ، دور العرب والفرس في مكافحة الاستعمار البرتغالي في الخليج ، ص٨٦-٨٧ .

(٣٧٨)عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص١٦١ .

(٣٧٩)عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٣٨٣ ؛

Bathurst , Maritime trade p.97.

(٣٨٠)غانم العجيلي ، قيام سلالة اليعاربة ، ص٨٥ .

(6)Bathurst , Maritime trade, p.97.

(٣٨٢) عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٣٨٥ .

ففي عام ١٦٩٥ ارسل الامام سيف بن سلطان حملة كبيرة مؤلفة من خمس سفن كبيرة ، وعلى متنها خمسمائة رجل هاجمت ميناء كونك ، ونجحت في تدميره ، وبعد هذا الانتصار كتب الامام سيف الى الشاه سلطان حسين (١٦٩٤-١٧٢٢)، يطلب منه ان يسلمه البرتغاليين الموجودين في بلاده، وان يسلمه كذلك احد التجار العرب المشكوك في تعاملهم مع البرتغاليين، وان يحصل على الامتيازات نفسها التي يتمتع بها البرتغاليون في كونك – مقابل ان يتعهد الامام باعداد عشرين سفينة حربية للمحافظة على سلامة الملاحة في الخليج العربي . وهدد ، في حالة عدم الاستجابة لطلباته هذه ، بمهاجمة بندر عباس والاستيلاء عليه[٣٨٣].

ولمواجهة هذا التهديد ، توجه الشاه الى الانكليز لمساعدته ضد مسقط ، لكنهم رفضوا هذا الاقتراح ، مما دعاه الى ان يطلب منهم ابقاء السفينة ناساو(Nassau) مدة عشرين يوما لحماية بندر عباس[٣٨٤]. كرر الامام سيف الطلب من الشاه تنفيذ شروطه ، مهددا باكتساح بندر عباس . وقد استدعي وكيل شركة الهند الشرقية برنجواين الى البلاط الفارسي ، من قبل رئيس الوزراء مرزا طاهر ، الذي اقترح على الوكيل خطة للاستيلاء على مسقط ، رفضها الوكيل بحجة ان سفن الشركة لم تكن بحالة تستطيع معها مهاجمة مسقط [٣٨٥]. لكن الانكليز وافقوا على بيع الفرس بعض السفن الصغيرة [٣٨٦].

وظلت مساعي الفرس متواصلة، لجر الانكليز والهولنديين الى حلف ضد عرب عمان لكن دون جدوى ، فقد التزم الانكليز والهولنديون الحياد في الصراع العماني –الفارسي ، طالما ان هجمات اليعاربة لم تطل سفنهم التجارية، والى جانب الرفض الانكليزي والهولندي دعم الفرس عسكريا ضد عمان، لم تجد نفعا محاولات البرتغاليين صد هجمات الاسطول العماني على الموانئ الفارسية، كما فشل الفرس في جذب الاسطول الفرنسي لمساعدتهم ضد مسقط ، اذ لم يجد الفرنسيون في ذلك ما يخدم مصالحهم ، مع شدة الاسطول العماني وبأسه [٣٨٧].

---

[٣٨٣] محمد العزاوي ، التحالفات الفارسية ضد عرب الخليج ١٦٩٥-١٧٢٢، مجلة الخليج العربي ، العدد ١ ، المجلد ١٩، جامعة البصرة ، ١٩٨٧ ، ص٥١ ؛ صادق ياسين الحلو ، الغزو البرتغالي للخليج العربي من خلال المصادر الفرنسية ، ابحاث ندوة راس الخيمة التاريخية ، ج١ ، الامارات العربية المتحدة ، ١٩٨٧ ، ص٢٤٣ .

[2] John Bruce , Annals , Vol. 3 , p. 169; Miles, op. cit. p. 219.

[٣٨٥] محمد العزاوي ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

[3]Bathurst , the Ya'rubi, p.194.

[٣٨٧] نادية العبودي ، المصدر السابق ، ص٤٢ ؛ عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤٠٢ .

تلقى الفرس ضربة قاسية اخرى على يد الاسطول العماني ، الذي توج انتصاراته ، في عهد الامام سيف الاول ، بالاستيلاء على البحرين وقشم ولارك عام ١٧١٧ ، فجدد الفرس طلب المساعدة من البرتغاليين ضد مسقط سنة ١٧١٩ ، الا ان تلك المحاولة باءت بالفشل ، وغادر الاسطول البرتغالي الخليج العربي الى كوا دون تحقيق شيء [٣٨٨].

موقف الفرس من الصراع العماني الداخلي:

بعد مبايعة الخاصة لمهنا بن سلطان اماماً لعمان سنة ١٧١٩ ، بدأ هذا سلسلة مفاوضات، مع الفرس ، مثلهم فيها لطيف علي خان ، وتم في عام ١٧٢٠ التوصل الى عقد معاهدة مؤقتة ، التزم فيها العمانيون بالتوقف عن شن الغارات على المواقع الفارسية ، مقابل حصولهم على موطئ قدم في جزيرة قشم ، لاصلاح سفنهم ، ودفع ضريبة مقدارها (٤٠٠٠) تومان تعويضا عن البحرين. كما نصت المعاهدة على ان يمنع الفرس البرتغاليون من ممارسة التجارة في بندر كونك ، مقابل ان يصد العمانيون أي هجوم برتغالي على فارس ، وهكذا اعيدت جزيرتا قشم ولارك الى الفرس [٣٨٩] .

وبعد مقتل محمد بن ناصر الغافري عام ١٧٢٨ ، بايع الهناوية سيف بن سلطان الثاني اماما شرعيا ، وسلموه قلعة صحار ، لكن سياسته الداخلية واسلوب حياته لم ترض قبائل عمان[٣٩٠].

فبعد خمس سنوات من مبايعته ، ثار عليه احد اقاربه بلعرب بن حمير واستولى على نزوى ومدن الظاهرة ، ولم يبق تحت سلطة الامام سيف سوى الرستاق وساحل الباطنة ومسقط، وبينما اخذ موقف سيف بالضعف والتدهور ، قرر الاستعانة بقوات مرتزقة من بلوش مكران ، ووجههم الى الظاهرة ، لكن بلعرب تمكن في هزيمتهم وقتل عددا كبيرا منهم [٣٩١]. ويذكر مايلز ان بعض هؤلاء البلوش استقر في عمان ، ولم يعودوا الى مكران ، وانشأوا لهم قرية المازم في الظاهرة [٣٩٢].

---

[٣٨٨] حسين غباش ، المصدر السابق ، ص١١٧ .

[٣٨٩]سلوت ، عرب الخليج ، ص٢٤٣-٢٤٤ .

[٣٩٠] حول هذا الموضوع انظر :

J. R. Wellested , Travels in Arabia , Vol. 1, Oman and Nakab . Al Hajar, London , 1837, p.393.

[4] Badger ,History of Imams , p.XXXVII.

[5]S. B. Miles , The Countries , p. 252.

وقد دفع تدهور الاوضاع الداخلية سيفا الى اللجوء الى نادر شاه الافشاري [٣٩٣]. طالبا مساعدته ، فلبى طلبه ، فقد كان نادر شاه يرى ان احتلال عمان ، سيمكن فارس من مد نفوذها الى الخليج العربي ، بالسيطرة على مسقط والموانئ الاخرى ، وسوف يخلصه من اقوى منافس في المنطقة[٣٩٤].

تحرك الاسطول الفارسي بقيادة لطيف خان ، ووصل الى بندر عباس في ١٤ اذار عام ١٧٣٧، قادما من بوشهر ، مؤلفا من اربع سفن تحمل خمسة الاف مقاتل ، والفا وخمسمائة حصان . وفي نيسان من العام نفسه وصل الاسطول خورفكان ، حيث انزل بعض قواته فيها وابحر نحو جلفار ، حيث التقى الامام سيفا ، الذي قدم للقائد الفارسي هدية ثمينة ، وتابعت الحملة طريقها الى نزوى ، حيث دحرت قوات بلعرب بن حمير في المعركة ، وفرّ هو ومن تبقى معه[٣٩٥].

وسرعان ما انفجر نزاع بين القائد الفارسي لطيف خان والامام سيف ، بعد ان بدأ الفرس يتصرفون و كانهم اسياد البلاد ، وشعر سيف بالريبة من نوايا الفرس في ارجاع المناطق المفتوحة اليه ، فعاد لطيف الى جلفار ، و لم يلبث سيف ان عاد يطلب مساعدة قوات لطيف خان الفارسية سنة ١٧٣٨ ، عندما تجدد الصراع بينه وبين بلعرب بن حمير ، الذي هُزم مرة اخرى على يد الفرس [٣٩٦].

وعاد الحلف الفارسي مع سيف ليتزعزع بعد ان شعر سيف بالندم لاستنجاده بالقوات الفارسية، التي سارت نحو مسقط وفرضت حصارا على الحاميتين الشرقية والغربية دام خمسة اسابيع ، حيث انسحب سيف مع قواته، وتوصل الى عقد صلح مع خصمه بلعرب بن حمير لمواجهة العدو الفارسي المشترك [٣٩٧].

---

[٣٩٣] ينتسب نادر شاه الى قبيلة الافشار التركية ولد في خراسان عام ١٦٨٨ ، لعائلة فقيرة ، تمكن من الالتحاق بالشاه طهماسب الثاني عام ١٧٢٦، وكان السبب الاول في تحرير بلاد فارس من الغزو الافغاني. للمزيد يراجع : صالح العابد ، دور القواسم ، ص٥٠ ؛ عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص١٦٣–١٦٥ .

[2] Selection from State papers Bombay , the East India company's connection with the ……… Gulf , Calcutta , 1908 , p.53.

[3] Laurence Lockhart, Nadir Shah, A critical Study Based Mainly upon Contemporary Sources, London , 1938, p. 182-3 .

[٣٩٦] صالح العابد ، دور القواسم ، ص٤٣ .

[5] Lockhart , op, cit. p. 183.

قرر بلعرب بن حمير التنازل عن المطالبة بالامامة لصالح سيف ، ونجح عام ١٧٣٩ في تسيير حملة برية وبحرية ضد الفرس في جلفار ، كما هزمهم في بهلا وبرقة ، ونجح في القضاء على فلولهم في قشم [٣٩٨].

ويبدو ان الامام سيف لم يستفد من تجاربه السابقة ، فعاد ليثير حفيظة العلماء والناس ، بفرض خراج اثقل كاهلهم ، وتصرفات غير مقبولة ، ووصل عدم اقتناع العامة والخاصة به الى درجة عقدهم اجتماعا في نخل ، ضم علماء من نزوى وازكى وزعماء قبائل الظاهرة وبني غافر ووادي المعاول ، واعلنوا خلعهم سيفا ، ومبايعتهم سلطان بن مرشد اليعربي بالامامة سنة ١٧٤١[٣٩٩].

ولما سمع سيف بتحرك جيش سلطان نحو مسقط ، هرب واستنجد بالفرس للمرة الثالثة ، واعدا نادر شاه بتسليمه ميناء صحار ، فارسل نادر شاه حملة ثالثة بقيادة تقي خان عام ١٧٤٢، احتلت جلفار ، وبدأت حصارا شديدا على صحار [٤٠٠].

توجه بعدها سيف والقوات الفارسية الى مسقط لاحتلالها ، ويبدو ان سيفا اراد جعلها مقرا حصينا له ، فلم يوافق على احتلال الفرس لها ، الا انه وقف عاجزا امام اصرار تقي خان، وسقطت الجلالي والميراني بيد الفرس [٤٠١].

قررت الحملة الفارسية مواصلة قتال سلطان بن مرشد ، الذي التجأ الى والي صحار احمد بن سعيد ، الذي رفض تسليمه او تسليم المدينة للفرس ، فتحولت صحار الى مركز تجمع العمانيين الرافضين للاحتلال ووجدوا في شخص حاكمها قائداً فذاً ذا عزيمة واقدام ، استمر حصار صحار سبعة اشهر ، تكبد فيها الفرس خسائر فادحة بلغت ثلاثة الاف رجل [٤٠٢].

بعد مقتل سلطان بن مرشد في معركة صحار ، تراجع سيف عن تحالفه مع الفرس ، وعاد الى الرستاق، حيث توفي هناك، لكن موت هذين الزعيمين، لم ينه الانقسام الداخلي، فما ان وصل نبأ موت سلطان بن مرشد الى الرستاق حتى ظهر متنافسان جديدان من اليعاربة على الامامة، هما بلعرب بن حمير، ومجيد بن سلطان، ورجحت كفه بلعرب، الذي لم يقدم لاحمد بن سعيد أي دعم او عون ضد الفرس، بسبب غيرته منه. وبعزم شديد، تمكن احمد بن سعيد، من طرد الفرس

---

[٣٩٨]عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤٢٤ ؛ صالح العابد ، دور القواسم ، ص٤٤ .

[2]Bathurst , op. cit,. p. 291-299.

[3]Ibid,. p. 299-303 ; Badger, op. cit., p. XLI .

[4]Lockhart , Nadir Shah , p. 216-217; Pauline Searle , Dawn Over Oman , London , 1979, p. 54 .

[٤٠٢]صالح العابد ، دور القواسم ، ص٤٦ .

من المنطقة الساحلية سنة ١٧٤٣، وفي العام التالي نجح في طردهم من مسقط ، ولم يبق بيد الفرس سوى راس الخيمة، التي ظلوا محتفظين بها حتى وفاة نادر شاه سنة ١٧٤٧[٤٠٣].

وشهدت الفترة ما بين عامي ١٧٤٥ و١٧٤٩ حروبا عديدة بين احمد بن سعيد وبلعرب بن حمير اخر امام يعربي، انتهت اواخر عام١٧٤٩، باندحار بلعرب في معركة (فرق) او (فارك) قرب الجبل الاخضر ، ومقتله ، وانهيار المقاومة الغافرية [٤٠٤].

نستنتج مما سبق ان مواقف الحكومة الفارسية كانت عدائية تجاه اليعاربة ، وهذا يندرج ضمن صفتين رئيستين امتازت بهما سياسة فارس الخارجية خلال فترة البحث أولهما صفة تتعلق بعملية صنع القرارات السياسية واستبداد الملوك بها، الى درجة اندماج طبيعة تلك القرارات مع طبيعة مزاج الملوك و صفاتهم الشخصية دون اعتبار لاي مصلحة خارج ذاتهم وطموحاتهم اما الصفة الثانية فهي ميل صانعي القرارات السياسية لتبني اهداف لا تتناسب مع الامكانات والوسائل المتوفرة لديهم، ثم انها لم تعبر عن اهداف الدولة ومصلحتها القومية بقدر ما كانت تعبر عن الرغبة الشخصية للملوك[٤٠٥].

ب- العلاقات اليعربية – اليمنية :

لعب الموقع الجغرافي دورا كبيرا في تسهيل الاتصال بين اليمن وعمان ، ويبدو ان اول مؤشرات هذا الاتصال هي التجارة [٤٠٦].

وربما تكون العلاقة بينهما اعمق من ذلك اذا ما علمنا ان الاباضية دخلت اليمن كما دخلت عمان وشرق افريقيا والمغرب العربي [٤٠٧] في حدود عام ١٢٩هـ/٧٤٦م [٤٠٨].

---

[٤٠٣] المصدر نفسه ، ص٤٥ .

[٤٠٤] المصدر نفسه ، ص٤٧ .

[٤٠٥] روح الله رمضان ، سياسة ايران الخارجية ١٥٠٠–١٩٤١ ، مراجعة عدنان البكري ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ١٦ ، السنة الرابعة ، ١٩٧٨ ، ص١٣٦ .

[٤٠٦] لبيد ابراهيم احمد ، المصادر التاريخية لتجارة الخليج العربي في العصور الاسلامية الاولى ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٢ ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص١٧٦ .

[٤٠٧] نجحت الاباضية في المغرب العربي ، من تأسيس دولة على يد عبد الرحمن بن رستم وهي الدولة الرستمية وقامت في المغرب الاوسط في الجزائر الحالية سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م ، واتخذت تاهرت مقرا لها ، وملوكها عشرة اشخاص ، واستمرت تحكم قرابة ١٣٦سنة ، حتى تمكن ابو محمد عبيد الله المهدي اول حكام الفاطميين من الاستيلاء عليها واسقاطها سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م. للمزيد ينظر : احمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص١٠٣ .

[٤٠٨] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٢٠٩ .

واجهت اليمن مطلع القرن السادس عشر ، اخطر تحد واجهة الشرق ، اذ كان التهديد البرتغالي، خطة استعمارية لاغلاق مداخل البحر الاحمر والخليج العربي ومخارجهما بوجه التجارة والملاحة الاسلامية . وفشلت دولة المماليك في التصدي للبرتغاليين في عدة مناسبات ، وتمكن الاسطول البرتغالي من الاستيلاء على المراكز اليمنية المهمة في البحر الاحمر منذ عام ١٥٠٦ عندما احتل سوقطرة [٤٠٩].

ثم جاء دور العثمانيين الذين نجحوا في القضاء على دولة المماليك الجراكسة في مصر والشام، واستولوا على اليمن، وسط صراعات قبلية واخفاق البرتغاليين في البحر الاحمر[٤١٠].

دخلت اليمن بعدها في صراع لاهوادة فيه مع العثمانيين، استمر مائة سنة، بقيادة الائمة الزيديين [٤١١]. وكانت الدعوة الزيدية في هذا الوقت قد بلغت ذروتها في اليمن ، على مؤسس الدولة القاسمية الرسية الامام المنصور القاسم بن محمد الهادوي [٤١٢].

عاصرت اليمن الزيدية دولة اليعاربة في عمان ، لكن اية علاقات سياسية لم تسجل بينهما في عهد الامام ناصر بن مرشد اليعربي .

---

[٤٠٩] حسن احمد محمود ، التهديد البرتغالي السواحل جزيرة العرب ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٢ ، ١٩٨٠، بغداد ، ص٢٢٢ .

[٤١٠] المصدر نفسه ، ص٢١٦-٢٣٠

ولمزيد من التفاصيل عن تاريخ اليمن في هذه المرحلة تراجع :

محمد يحيي الحداد ، تاريخ السياسي ، القاهرة ، دار عالم الكتاب ، ١٩٧٦ ، ص٣٠٩ ؛ وعن تاريخ العمانيين في اليمن ينظر : احمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الاسلامية ، ص٢١٧ .

[٤١١] الزيدية مذهب اسلامي شيعي، قامت على اسسه الدولة الزيدية في اليمن، التي اسسها الامام الهادي الى الحق (يحيى بن الحسن، الذي ينتسب الى الحسين بن علي بن ابي طالب(عليهم السلام) في اليمن سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م . لمزيد من التفاصيل يراجع : محمد عبد الله ماضي ، دولة اليمن الزيدية نشأتها- تطورها- علاقاتها ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد المجلد ٣ ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص١٥-٣٥ ؛ وتعرف (الدولة الزيدية) في بعض المصادر باسم (الدولة القاسمية) نسبة الى الزعيم القاسم المنصور بالله بن محمد، او (الدولة العلوية الرسية) احمد السعيد سليمان ، المصدر السابق ، ص٢١٨ ؛ ان التتشيع الذي طبع هذه الدولة انقسم الى حزبين، زيدي واسماعيلي، يعارض احدهما الاخر ، وخاض الطرفان حروبا ضارية ، كما ان الزيديين خاضوا حروباً طويلة في شمال اليمن ضد الرسوليين وبني طاهر والاتراك ، ينظر : القاضي عبد الله بن عبد الوهاب الشماخي ، اليمن الانسان والحضارة ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص١٥٧-١٥٨ .

[٤١٢] المصدر نفسه ، ص١٥٦ .

لكن عهد الامام سلطان بن سيف شهد تطورات مهمة في العلاقة بينهما ، ويبدو ان طبيعة هذه العلاقة لم تكن ودية فقد تبنى ائمة اليعاربة سياسة مقارعة البرتغاليين اينما وجدوا ، لكن هذه السياسة قد لقيت معارضة ائمة الزيدية ، لما سببته من عدم استقرار في مياه البحر الاحمر والمحيط الهندي .

فالقرصنة التي مارسها البرتغاليون في حق السفن العربية والعمانية ، وردُّ العمانيين عليها ، بقوة سببت معاناة كبرى للزيديين الذين لم يبنوا أي اسطول او قوة بحرية .

ومنذ عام ١٦٦٩ ظهر اسطول عماني بسبع سفن كبيرة قرب شوطئ عدن والمخا[٤١٣]، لاعتراض ثلاث سفن شراعية كبيرة تابعة للفرنسيين ، واشتبك العمانيون مع الفرنسيين وقتلوا عددا منهم ، وقد حاول نائب المخا صد القوات العمانية ، الا انه فشل لعددهم الكبير، وعلى الرغم من نداءات النائب للامام اليمني المتوكل اسماعيل من القاسم (١٦٤٤-١٦٧٦) لدعمه بقوات ومتطوعين ، الا ان النجدة لم تصله الا بعد عودة العمانيين حاملين غنائم وافرة [٤١٤].

وشهد العام نفسه ارسال الامام سلطان بن سيف خطابا الى ملك صنعاء ، اورده السالمي في تحفته ، ويبدو ان امام صنعاء كان قد بعث خطابا الى الامام سلطان يستعلمه حقيقة الغارة العمانية على سواحل المخا واسبابها ، لكنّ المركب الذي كان يقل حامل الخطاب غرق ، واستطاع حاملهُ نقل مضمون الخطاب شفويا الى الامام سلطان [٤١٥].

وتبين ان الامام الزيدي عاتب عليه بسبب انتهاك مياهه من قبل السفن العمانية التي كانت تطارد البرتغاليين وتقارعهم في مياه البحر الاحمر والمحيط الهندي ، وجاء رد الامام سلطان بن

---

[٤١٣] المخا: ميناء مهم في اليمن القديم ، على ساحل البحر الاحمر قامت بدور مهم في تصدير المنتجات اليمنية وكانت قديما تسمى (موزا) ، وقد تصدت المخا لعدة حملات جردها البرتغاليون ، بدأت منذ اوائل القرن ١٠هـ/١٦م على سواحل اليمن المهمة الاخرى ، كباب المندب وعدن والشحر والمكلا وغليفقة ، طمعا في السيطرة عليها ، لاهميتها تجاريا وعسكريا ، كما حاول العثمانيون السيطرة عليها ، وتمكنوا سنة ١٥٤٠ من احتلالها . وتمكنت المدينة بعد جلاء العثمانيين عنها عام ١٦٤٠ من استعادة حيويتها كمركز تجاري مهم، بلغت أوج ازدهارها ايام المتوكل على الله اسماعيل ١٦٤٤-١٦٧٦ ينظر : احمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر الى القرن العشرين – دراسات جغرافية وسياسية تاريخية شاملة، ط٢ ، اليمن ١٩٦٤ ، ص٢٣ .

[٤١٤] آ. ر. سارجنت ، النشاط الملاحي العماني على الساحل العربي الجنوبي ، ندوة الدراسات العمانية ، م٦ ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠ ، ص١١٤-١١٥ .

[٤١٥] نور الدين السالمي ، تحفة الاعيان ، ج٢ ، ص٥٨ .

سيف محاولة ، لتبيين ان سياسة العمانيين في هذه الآونة كانت موجهة ضد البرتغاليين اينما وجدوا، وانه يتفهم سبب كون ملك صنعاء متضايقا . من انتهاك حرمة مياهه الوطنية ، ومن خطاب الامام سلطان بن سيف نقتبس قوله : ".. واتضح لنا من واضح نطقه وبيانه انكم علينا عاتبون، ومنا واجدون، لاجل قطع خدامنا في العام الماضي مراكب رقاب المشركين (يقصد البرتغاليين) على بابكم ، واخذهم لسفنهم الواردة لجنابكم ، ولعمري انا لندري ان العتاب بين الاخلاء عنوان المودة الخالصة ... فانا لم نقصد الى انتهاك ذلك سبيلا..." [٤١٦].

لكن خاتمة خطاب الامام سلطان لم تخل من لهجة تهديد وتحذير لملك صنعاء اذا ما حاول اعتراض السفن العمانية اذ جاء فيها : "انت تدري ما جرى بيننا وبينهم .. من قبل في سواحل عمان وفي سائر الاماكن والبلدان ، من سفك الدماء وكثرة الصيال وتناهب الاملاك والاموال ، وانا لنأخذهم في كل موضع تحل به مراكبهم وتغشاه ، حتى من كنج وجيرون وبندري الشاه ، (بندر عباس) ولم يظهر لنا من اجل ذلك عتابا ولا نكيرا ... وإنّا لك من المنذرين وعليك من المحذرين .." [٤١٧].

كما يتضح من خطاب الامام سلطان انه غاضب من الهجوم الذي شنه جيش السلطان الكثيري [٤١٨] على ظفار ، والتي خرج منها عامل الامام اليعربي خلف تاركا مدفعا عمانيا ، ليستولي عليه رعايا الامام اليمني ، لذا طالبهُ الامام سلطان باعادته ، ومضى يدعوه الى مد جسور المودة والصداقة واصلاح ذات البين بينهما ، قائلا : "انا في اصلاح ذات بيننا وبينكم راغبون طالبون" [٤١٩].

ويبدو ان الحسد الذي انتاب امام صنعاء من سلسلة الانتصارات الكبيرة التي حققها الامام سلطان اليعربي ضد البرتغاليين في عمان والخليج العربي وشرق افريقيا ، دفعه الى عدم اصلاح ذات البين معه، ومع الائمة اللاحقين ، وعلى الرغم من ان اليمن نفسها قد عانت من هجمات برتغالية هددت المخا وعدن ، لم ينسق ملوكها وائمتها جهودهم مع ائمة عمان للقضاء على العدو المشترك .

---

[٤١٦] المصدر نفسه ، ص٥٨ .

[٤١٧]المصدر نفسه ، ص٨٥ .

[٤١٨] قام عيسى بن بدر الكثيري بثورته الكبرى في ظفار عام ١٦٧٠ ، ضد حكم المتوكل على الله اسماعيل وبعدها قطعت كل علاقة للائمة بحضرموت ، ينظر : احمد حسين شرف الدين، المصدر السابق، ص٢٩ .

[٤١٩] السالمي ، تحفة الاعيان ، ص٥٩ .

وجاء رد امام صنعاء على خطاب الامام سلطان شديد اللهجة ، شديد التحدي ، قاسي العبارة، ومنه قوله "... ظنا منك ان هذيان وعيدك ، وطنين ذباب تهديدك يزعزع من بأسنا صخرة صماء ... ونحن من القوم الذين سقوا قومك يوم النهروان كؤوس الحتوف" [٤٢٠].

وشهد اواخر حكم الامام سلطان ، حادثة قرب ميناء المخا اليمني ، حيث رست في الحادي عشر من مايو عام ١٦٧٩ سفينة هندية ، قام العمانيون باعتراضها واحتجازها في الميناء .

وفي الشهر التالي حقق العمانيون نصراً اخر عندما اعترضوا السفينة (ماشليفتان) التي وصلت الى سواحل عدن ، ولم يفلح عامل عدن الشيخ راجع ، في نجدة طاقم السفينة ، الذين كتبوا اليه طالبين ان يدعمهم بالرجال ليلا ، خوفا من هجوم عماني ، ونجح العمانيون ، المتخفون بشكل جيد ، في سحب السفينة بالكلايب الى الشاطئ [٤٢١].

لم يقتصر نشاط الامام سلطان على النشاط الحربي مع اليمن ، بل جاوزه الى التجارة معها ، فيذكر ابن رزيق ان الامام كان يرسل التجار للمخا يشترون له التحف الثمينة والنادرة المرصعة بالجواهر والدرر مهما غلا ثمنها [٤٢٢].

ولعل اوضح اشارة الى الانتصارات التي حققها الامام سلطان بن سيف في جهات اليمن، ما اورده الشاعر الشيخ خلف بن سنان في قصيدة يذكر فيها فتوحات الامام [٤٢٣].

ولم يطرأ أي تحسن في العلاقات اليعربية – الزيدية في عهد الامام سيف بن سلطان ، وشهد عصره اعتراض السفن العمانية لبعض السفن الاوربية المملوكة للافراد ، وتلك التي ترفع اعلام الشركتين الانكليزية والهولندية للتأكد من هويتها ففي عام ١٧١١ جرد حملة في البحر

---

[٤٢٠] المصدر نفسه ، ص٦٠ .

[٤٢١] آ. ر. سارجنب ، النشاط الملاحي العماني ، ص١٢٠-١٢١ .

[٤٢٢] ابن رزيق ، الشعاع الشائع ، ص٢٥٦-٢٥٧ .

[٤٢٣] ولدى زنجبار زمجر فيهم — رعد زجر لم ينج منه اعتصام
وبيمبى نابهم منه ناب — لم ينبه عن المضى انهتام
وكذا في مخا قد امتخ منهم — اعظما قبل ضيمه لاتضام
وانثنى منهم بعدة افلاك — تراءى كأنها اعلام
ولدى باب مندم كم دم — طل ومال اماله الصمصام

انظر : السالمي ، تحفة الاعيان ، ص٦٣ .

الاحمر لتعقب السفن السوراتية ، لكنها فشلت ، اذ قام حاكم عدن بتحذير السفن السوراتية للمغادرة في الوقت لمناسب [٤٢٤].

لكن الامام سيفا حاول تهدئة التوتر ، عندما بعث بخطاب طيب اللهجة الى امام صنعاء المهدي احمد بن الحسن القاسم (١٦٨٧-١٧١٨) ، يطلب اليه ارجاع ما اخذه سكان ، عدن من اموال ومقتنيات سفينة عمانية تحطمت قرب سواحل عدن .

لكن ردّ ملك صنعاء جاء غليظا وقاسيا وبنبرة تحد كبيرة ، فسارع الامام سيف الى تجريد حملة كبيرة، لمحاصرة المخا من البر والبحر ، وكان حصاراً شديداً وقاسياً ، مما اجبر امام صنعاء على الاذعان، ورد ما بذمته ، مما اخذته رعيته في عدن الى امام عمان ، كما فرضت غرامة حربية ، على ما اتلفته رعيته .

ويقول ابن رزيق ان امام صنعاء أُجبر بعدها على مكاتبة الامام سيف، ليعفو عنه، ويُسقط، ما بذمته من مال ، لكنه لم يتلق أي جواب من امام عمان وعندما مات الامام سيف عادت القوات العمانية الى مسقط ، وفي طريق عودتها تعرض الاسطول لرياح عاتية حطمت احدى سفنه ، وهي (الفلك) ، وبقيت اجزاء منها في خليج عدن ، ولم يتمكن احد من رفعها لثقلها [٤٢٥].

وبانشغال العمانين في جهات غرب الهند وشرق افريقيا ، توقفت العمليات الحربية التي كانت تتعرض لها الموانئ اليمنية [٤٢٦].

---

[٤٢٤] ب .ج. سلوت ، عرب الخليج ، ص٢٣٤ .

[٤٢٥] ابن رزيق ، الشعاع الشائع ، ص٢٧٩-٢٨٠ .

[٤٢٦] آ. ر. سارجنت ، المصدر السابق ، ص١٢١ .

الفصل الرابع
العلاقات اليعربية مع القوى الاوربية الاخرى

أ- العلاقات مع شركة الهند الشرقية الانكليزية

١- الانكليز في مياه الخليج العربي .

٢- العلاقات اليعربية – الانكليزية .

٣- موقف الانكليز من الحملات الفارسية على عمان .

ب - العلاقات مع شركة الهند الشرقية الهولندية

١- التغلغل الهولندي في الشرق وتطلعهم نحو الخليج العربي .

٢- العلاقات الهولندية – اليعربية .

٣- موقف الهولنديين من الغزو الفارسي لعمان .

ج- العلاقات مع شركة الهند الشرقية الفرنسية .

١- شركة الهند الشرقية الفرنسية والخليج العربي .

٢- العلاقات اليعربية الفرنسية .

الإنكليز في مياه الخليج العربي :-

برزت انكلترا منذ اواخر القرن السادس عشر قوة ضاربة بين القوى الاوربية ، وراحت تفتش عـن سـبيل للوصـول الـى مناهـل الثـراء الشـرقية ، وكسـر الاحتكـار البرتغـالي للتجـارة الشرقية [٤٢٧] .

ومنذ ان تأسست شركة الهند الشرقية الانكليزية [٤٢٨]. كان هدفها الرئيس منافسة التجار البرتغاليين ، الذين احتكروا التجارة وطرق الملاحة مع الجزر المنتجة للبهار في جنوب شرقي اسيا [٤٢٩]. وتمكنت الشركة بعد قيامها بوقت قصير ، من تأسيس مركز تجاري لها في سورات على الساحل الغربي للهند سنة ١٦١٢ ، ولكنها لم تحقق ارباحا كبيرة من بيع الاقمشة الصوفية التي جلبت من انكلترا ، لذا راحت تفكر في سوق افضل ، فكانت بلاد فارس ، وما ان حل عام ١٦١٦ ، حتى افتتحت لها مركزا تجاريا في شيراز [٤٣٠].

ومما ساعدها على ذلك ، الامتيازات التي حصلت عليها من خلال فرمانات اصدرها الشاه عباس الاول [٤٣١].

---

[٤٢٧] عمان في التاريخ ؛ المصدر السابق ، ص٣٧٤ .

[٤٢٨] تأسست هذه الشركة بمرسوم صدر عن الملكة اليزابيث الاولى في ٣١ كانون الاول من عام ١٦٠٠ ، تحت عنوان "شركة تجار لندن ومحافظيها للتجارة مع شرق الهند . براسمال قدره ٧٢,٠٠٠ باون وبمساهمة نحو ١٢٥مساهماً ". لمزيد من التفاصيل ينظر:

Records of Oman 1867-1947, selected and edited , by; R. W. Bailey CMG , Vol. VI. Foreign Relations , 1988, p. 297;

محمود عبد الواحد القيسي، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية في الهند ١٦٠٠-١٦٦٨، رسالة ماجستير ، كلية الاداب – جامعة بغداد ، ١٩٩٣ ، ص٥٣-٥٤ .

[3]Record of Oman , p.297.

[٤٣٠] صالح العابد ، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨-١٨١٠ ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص١٦-١٧ .

[٤٣١] يعد عباس الاول او الكبير اقوى ملوك الفرس واعظمهم مكانة ، لكنه كان شديد القسوة اذا امر بقتل احد اولاده لخيانته ، وقد بنى قوة جديدة من المشاة والمدفعية على النموذج التركي ، وساعده في ذلك منتجات مصنع المدافع الانكليزي الذي انشأه الاخوان روبرت وانتوني شيرلي ، منح الشاه الانكليز اول فرمان يأمر فيه الشعب بحسن معاملة الانكليز الذين يأتون الى فارس. ثم حصلوا على فرمان آخر يخول شركة الهند الشرقية حق التجارة الحرة في ارجاء القصر ، وارسال سفير انكليزي يقيم في البلاط بصورة دائمة ، وخول سلطة تعين المقيمين والوكلاء ، وحق فض المنازعات بين مواطنيه كما وعد الشاه بتزويد الشركة بـ١٠٠٠-٣٠٠٠ بالة من الحرير تصدر من ميناء جاسك من غير كمارك ، لمزيد من التفاصيل ينظر : صالح العابد ، موقف بريطانيا ، ص١٦-١٧ .

اثارت سياسة الانكليز بالتقرب من شاه فارس استياء البرتغاليين ، وفي الوقت نفسه كان الشاه قد وجد نفسه في وضع ملائم لانتزع هرمز من يد البرتغاليين ، فكانت الفرصة مناسبة لضم حليف قوي تمثل بشركة الهند الشرقية الانكليزية، وبالفعل تمكن الحليفان من احتلالها عام ١٦٢٢[٤٣٢].

تصور الفرس بعد هذا النجاح امكانية استمرار العون الانكليزي لهم في التوسع في الاجزاء الاخرى من الخليج العربي، وبناءً على ذلك طلبوا مساعدة انكليزية اخرى عام ١٦٢٤، لاحتلال كل من مسقط والبصرة، الا ان الانكليز امتنعوا عن الاستجابة لهذا الطلب ، وكان قرارهم هذا من منطلق سياسة مرسومة تقصر التعاون بين الطرفين على تصفية الوجود البرتغالي في الخليج العربي ، من غير التورط في الصراعات الداخلية فيه [٤٣٣].

العلاقات اليعربية - الانكليزية :

لقد ادرك اليعاربة ، منذ تأسيس دولتهم اهمية استثمار امكاناتهم التقليدية ، بطريقة مكنتهم من مواجهة اكبر القوى البحرية في الخليج العربي والمحيط الهندي ، ونجح الامام ناصر بن مرشد في توجيه هذه الامكانات والاستفادة من المنافسات الدولية في بحار الشرق ، واقام في الوقت ذاته علاقات متوازنة مع القوى الاوربية التي وصلت الى الخليج العربي[٤٣٤] .

وبدأت اولى وسائل تحقيق هذا الاتصال مع القوى الخارجية ، عندما استطاع الامام ناصر تحرير ميناء صحار من الهيمنة البرتغالية عام ١٦٤٣ ، اذ كان هذا الميناء مركزاً تجارياً مهماً في خليج عمان، ووسيلة اتصال تجاري بين العمانيين، ومرسى للسفن الاوربية والهندية الراغبة في التجارة او التبادل التجاري[٤٣٥] .

وبعد تحريره، اصبح الامام في نظر الانكليز والهولنديين اكثر من مجرد قائد ديني لمجموعة متحدة من القبائل[٤٣٦].

---

[٤٣٢] عبد الامير محمد امين ، المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧-١٧٧٨ ، تعريب : هاشم كاطع ، مراجعة مكي حبيب ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص١٥-١٦ .

[٤٣٣] عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص١٦٨ .

[٤٣٤] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤٠٧-٤٠٨ .

[4] Bathurst , op. cit., P. 156-157 .

[5] Ibid, p. 157 .

وفي وقت كان فيه احكام الخناق الاقتصادي على البرتغاليين الهدف الرئيس ، طلب الامام ناصر بن مرشد الانكليز للتفاوض من اجل اقامة علاقات تجارية وهذه البادرة تعد اول اتصال سجل بين الانكليز وائمة عمان. واستجابت الشركة فارسلت مبعوثا خاصا غادر سورات الى صحار للتفاوض في كانون الثاني عام ١٦٤٦ وهو فيليب وايلد Philip Wylde بشأن عقد اتفاقية تجارية[٤٣٧].

وتم التوصل الى عقد اتفاقية بين الطرفين ، وقعت في شباط عام ١٦٤٦ ، تضمنت منح الانكليز امتيازات واسعة منها : حرية التصدير والاستيراد ، واعفاء تجارتهم من الضرائب، ويلتزم الامام بالتعويض عن اية سرقة تتعرض لها البضائع الانكليزية [٤٣٨]. كما نصت على حرية الانكليز في ممارسة طقوسهم الدينية ، وحق فض المنازعات بين الرعايا الانكليز[٤٣٩].

ولكن الواقع لم يُسفر عن أي شيء ملموس من هذه المعاهدة ، فلم يجد الانكليز حافزا لتنفيذها ، بسبب ما شهدته التجارة الانكليزية من انكماش في منطقة الخليج العربي ، موازنة بالتجارة الهولندية [٤٤٠].

وفي عهد الامام سلطان بن سيف الاول فكر الانكليز في انشاء قاعدة لهم في مسقط ، بحامية قوامها مائة جندي ، اذ كانت شركة الهند الشرقية ترى في مثل تلك القاعدة وسيلة لتدعيم مكانتها في الخليج العربي لمواجهة الهولنديين [٤٤١].

ولهذا الغرض اوفدت الشركة الكولونيل رينسفورد Rainsford ١٦٥٩ مندوبا عنها لبدء مفاوضات مع امام عمان ، في محاولة للحصول على موافقته لاقامة مركز انكليزي في مسقط ، ولكن هذه المحاولة فشلت ، لرفض الامام اقامة قاعدة لهم في ساحل بلاده من ناحية ولوفاة المبعوث الانكليزي من ناحية اخرى [٤٤٢].

---

[1] Record of Oman , op. cit., p. 297; Bathrust , op., cit, p.157-158.

[٤٣٨] صالح العابد ، موقف بريطانيا ، ص٦٠ .

[2] Ian Skeet , Muscat and Oman the end of an Era , London , 1974 , p.211-2;

ينظر ملحق رقم (٣) من الرسالة ايضا .

[٤٤٠] صالح العابد ، موقف بريطانيا ، ص٦٠ .

[5] John Bruce , Annals Vol. 1 , p. 549.

[6] Ian Skeet, op. cit., p. 37-38.

وهنا تجدر الاشارة الى ان بعثة رينسفورد ، قد نظمها مندوبو شركة الهند الشرقية في سورات، من غير ابلاغ مسبق لمدراء الشركة في لندن ، وفي الحقيقة ان هذه البادرة لم تلق استحسان المدراء ، لتخطي مندوبي الشركة السلطة المخولة لهم [٤٤٣].

ويبدو ان فكرة انشاء قاعدة انكليزية في مسقط، كانت تستحوذ على اهتمام الانكليز في سورات، الامر الذي دفعهم الى ارسال السفينة (داليا) الى مسقط، في محاولة لاستئناف المفاوضات مع امام عمان ، وقد علقوا على ذلك بقولهم: "لكي نحافظ على انفسنا في ذاكرة الملك، ما دمنا نستطيع ان نعمل اكثر"[٤٤٤].

وفي ايلول عام ١٦٥٩ ، كتب مبعوثو الشركة الى الوكالة الانكليزية في مدراس ، طالبين قوة عسكرية للاقامة في مسقط ،وقد وافقت الوكالة على طلبهم هذا ، ولكن بعودة السفينة الى سورات في كانون الاول ، وصلت الانباء التي تفيد بان امام عمان رفض فكرة انشاء هذه القاعدة ، وفي الوقت نفسه تلقوا رسالة من والي مسقط ، يدعوهم فيها للتجارة هناك ، وانشاء وكالة لهم ، من غير اقامة حامية عسكرية فيها [٤٤٥].

ويبدو ان رفض الامام سلطان هذا المشروع الانكليزي ، كان ادراكا منه بخطورة التنازل عن احدى قلاع مسقط لواحدة من القوى الاجنبية ،وهي سياسة حرص عليها ائمة اليعاربة حتى نهاية دولتهم [٤٤٦].

لم يترك رفض الامام سلطان الاستجابة للطلب الانكليزي ، اثرا كبيرا في العلاقات بين الطرفين ،ولا سيما ان الانكليز استخدموا اسلوب الدبلوماسية المرنة ، حرصا على مصالحهم في المنطقة ، ولكنهم ظلوا يراقبون بحذر تزايد القوة البحرية العمانية [٤٤٧].

وبالعودة للرأي القائل ان الانكليز شاركوا على نحو فعال في الصراع العماني ، البرتغالي ، نجد الباحث Boxer يؤكده ، على اعتبار ان هناك ثمة تعاطف انكليزي مع العمانيين، ارجعه الباحث الى اسباب دينية تتعلق بالصراعات المذهبية بين الانكليز والبرتغاليين، فالانكليز متمسكون بمذهبهم الانكليكاني ، بينما اشتهر البرتغاليون بتعصبهم لمذهبهم الكاثوليكي ، فضلا عن الاضرار

---

[٤٤٣] سلوت، عرب الخليج ، ص١٧٨ .

[2]Bathurst , op. cit., p166 .
[3]Ibid , p. 166 .

[٤٤٦] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤٠٩ .

[٤٤٧] صالح العابد ، موقف بريطانيا ، ص٦١ .

الاقتصادية التي الحقها احتكار البرتغاليين لطرق التجارة والملاحة الدولية، التي كانت تتعارض مع مصالح شركة الهند الشرقية الانكليزية [٤٤٨]. ومع ذلك فان الانكليز ، لم يقدموا مساعدات كبيرة للعمانيين، وان كان هناك بعض البحارة الانكليز قد عملوا في الاسطول العماني ، الا انهم لم يكونوا بالكثرة التي تلفت النظر ، اذ ربما يكون تعاقدا شخصيا وليس بصفة رسمية [٤٤٩].

واذا كان بعض الائمة اليعاربة قد استأجروا بعض البحارة الانكليز للعمل على متن السفن العمانية التجارية ، الا انهم لم يتركوا لاحد منهم مهمة قيادة السفن ، وذلك لضمان سلامتها وسلامة حمولتها ، وبقي البحارة الانكليز في الاسطول العماني معدودين [٤٥٠].

وفي الواقع ان تنامي القوة البحرية اليعربية حفز الانكليز لابداء قلقهم ، كغيرهم من القوى الاوربية الاخرى ، رغم ان العمانيين لم يتعرضوا للسفن التابعة لشركة الهند الشرقية الانكليزية ، ويشير لوريمر الى ذلك بقوله : "ان عرب مسقط ... ظلوا زمنا طويلا يحترمون السفن الانكليزية كلها، ولا يغيرون عليها ، ... وكانوا يقصرون اعمالهم على السفن المملوكة للتجار الافراد ... ولا يقربون سفن شركة الهند الشرقية"[٤٥١].

ان الطابع الودي ، الذي طبع العلاقات اليعربية – الانكليزية ، لم يخل من سوء فهم ، الامر الذي دفع حاكم مدراس الى ان يكتب الى رئاسة الشركة في سورات ، طالبا المزيد من السفن والجنود ، تحسباً لهجمات عمانية [٤٥٢].

حدث اول تصادم بين الانكليز وعرب عمان في عهد الامام سلطان بن سيف ، ففي كانون الثاني عام ١٦٧٨ ، كتب وكيل الشركة في بومباي هنري غاري ، Henry Gary الى الحاكم ، "بان عرب مسقط قد استولوا اخيرا في طريق كونك على سفينة تعود لميناء كاليكان callican

---

[٤٤٨] مقتبس في جمال زكريا قاسم، الخليج العربي ، ص١١٢ .

[٤٤٩] المصدر نفسه ، ص١١٢ .

[٤٥٠] يوسف نعيسة ، البحرية العمانية ، الخليج العربي دراسات تاريخية وجغرافية منذ اقدم العصور حتى الوقت الراهن ، ط١ ، دمشق ١٩٩٣، الدراسة السابعة ، ص١١٦ .

[٤٥١] لوريمر ، دليل الخليج القسم التاريخي ، ج٢ ، ص٦٤٠-٦٤١ ؛

Bruce , op. cit. Vol. 3, p216.

[٤٥٢] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٣٨٢ .

التابع للامير الهندي سيفاجي Sivaji ، وهي تحمل العلم الانكليزي وقائدها كابتن انكليزي ، انه لامر مخيف ، اذ لم يُمنعوا فسيصبحون اسوأ من قراصنة سواحل مالابار"(٤٥٣).

وفي سنة ١٦٨٣ هوجمت السفينة الانكليزية المسماة (كابتن) ، من سفينتين واربعة زوارق عمانية ، وقد تم صدها ، بعد ان قُتلَ احد عشر رجلا ، وجرح ثلاثة وثلاثون آخرون (٤٥٤).

وفي حادث منفصل ، شهد عام ١٦٨٤ اصطدام سفينة انكليزية قادمة من لندن تدعى (The Merchants Delight) ، يقودها الكابتن ادوراد ساي Edward Say بالشاطئ ، وتحطم جزء من باطنها بالصخور ، وبحلول الصباح فوجئ طاقم السفينة برجال من العرب اظهروا استعدادهم السريع لانقاذ حمولة السفينة من الغرق ، وتمكنوا خلال عشرة ايام من نقل الحمولة الى الشاطئ وقد عقد اتفاق بينهم وبين قائد السفينة على ان ياخذوا نصف الحمولة ، مقابل تزويد السفينة الانكليزية بالمؤن اللازمة (٤٥٥).

لكن العمانيين لم يتوانوا ، في سنة ١٦٨٧ ، وفي عهد الامام بلعرب بن سلطان ، في الاستيلاء على ستة زوارق واربع سفن من قافلة يقودها الكابتن راثباند Rathband ، وكانت هذه السفن تحمل جوازات المرور البرتغالية ، فضلا عن جوازات المرور الانكليزية ، مما جعل العرب في شك من عائديتها الى حكومة بومباي (٤٥٦).

وهكذا كان من الصعب على أي من القوى الاوربية في منطقة الخليج العربي ، وحتى المحايدة منها ، ان تسلم من هجمات عمانية ، ربما كانت مشروعة لظروف الحرب.

ومن مظاهر الحذر من جانب ائمة اليعاربة تجاه الانكليز والهولنديين ، ان الامام سيف ابن سلطان ظل يلتزم بموقفه المسالم تجاههما في صراعه المستمر مع الفرس، لتحييد هاتين القوتين وعدم فسح المجال للفرس ليطلبوا مساعدة احداهما ضد بلاده، ولهذا اتخذ الامام من الانكليز جانبا اكثر ودا ، فمنع بحارته من التعرض لسفن الاسطول الانكليزي او بحارته ، لذا نجد موقف الانكليز ، طوال مدة حروب الامام مع البرتغاليين والفرس، قد اتسم بالحياد(٤٥٧).

---

(1)Bathurst , the Ya’rubi , p. 182 .

(2)Ibid , p. 184.

(3)Alexander Hamilton , Op. Cit., p. 56-57; Miles , Op. cit., P. 217 ;

لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج٢ ، ص٦٤٠ .

(4)Bathurst , Op. cit., p184.

(٤٥٧) عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص١٧١-١٧٢ .

وعلى الرغم من حرص الامام سيف على عدم تعرض بحارته للسفن الانكليزية ، لم يمتنع البحارة العمانيون من الاستيلاء ، سنة ١٦٩٧،على سفينة انكليزية ، هي (لندن) ، تابعة لوكالة مدراس ، يقودها الكابتن افليك Afleck وقد جلبت الى مسقط ، حيث افرغت حمولتها التي قدرت بخمسة الاف باون استرليني [٤٥٨].

ثم ان العمانيين اجبروا هذه السفينة على مشاركتهم في احدى عملياتهم التعرضية ضد البرتغاليين [٤٥٩]. وقد جاءت ردود الفعل الانكليزية ، على هذا الحادث ، بارسال مبعوث خاص الى والي مسقط ، هو الكابتن ستاسي stacy عضو مجلس الشركة في بومباي وتفاوض معه بوساطة الكابتن دوريل Durrill ، الا ان تلك المفاوضات لم تسفر عن نتيجة ، فقد بيعت الشحنة ، واخذ طاقم السفينة الى الرستاق[٤٦٠].

لقد جاء هذا الموقف العماني بعد ان اعلن الامام عدم الرضا ، على ما قام به بحارته ، ولاسيما ان هذه السفنية كانت تجارية ، الاانه علم ان الانكليز اسروا في هذه الاثناء احدى السفن التابعة لاسطوله ، فغضب ، وصادر السفينة (لندن) ، وهدد باعلان الحرب اذا ما حاول الانكليز تكرار هذا العمل [٤٦١].

وتواصلت حوادث التعرض للسفن الانكليزية في عام ١٧٠٠ ، اذ استولى العمانيون على سفينة (Friend Ship) ، التي كانت قادمة من مدراس الى الخليج العربي، حيث اخذت الى مسقط ، وبيعت حمولتها بحوالي ثمانية الاف باون استرليني .

ان هذه الهجمات على السفن الانكليزية ، حملت مدراء الشركة ، على ارسال مبعوث الى الملك وليم الثالث [٤٦٢](١٦٩٥-١٧٠٢) ، طالبين السماح لهم بالرد على التهديدات العمانية، لكن اية اجراءات لم تتخذ [٤٦٣].

---

(1) Bathurst , Op. cit., p. 196 .

(٤٥٩) عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤١١ ؛ Miles , The Countries , p. 220.

(3) Bathurst Op. cit., p. 196-197 .

(٤٦١) عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص١٧٢ .

(٤٦٢) اعتلى جيمس الثاني ١٦٨٥-١٦٨٨ عرش انكلترا ، بعد وفاة اخيه شارل ، وكان جيمس كاثوليكيا متعصبا، انفصل عن زوجته البروتستانتية ، وتزوج باخرى كاثوليكية ، وكانت ابنته ماري من زوجته الاولى ، قد تزوجت ، من ابن عمتها وليم الثالث ، امير اورانج البروتستانتي ،وتعقد الوضع عندما اراد جيمس تقديم الكاثوليك في المجتمع ، واعادة انكلترا الى كنيسه روما ، الامر الذي دفع البروتستانت للطلب الى وليم اورانج وزوجته للقدوم لحكم البلاد ، وبالفعل تقدم وليم نحو لندن ورفض جيش جيمس المقاتلة ، ففر الى فرنسا، وببقاء العرش خاليا قدم البرلمان العرش الى وليم وزوجته ماري ليحكما انكلترا سويا ، وهي تعرف بالثورة الجليلة ، او المجيدة عام ١٦٨٨ ، وظل وليم اورانج يحكم الى جانب زوجته الى عام ١٦٩٥ ، عندما توفيت الملكة ماري الثانية، لينفرد هو بحكم البلاد حتى سنة ١٧٠٢، للتفاصيل ينظر: علي حيدر سليمان، المصدر السابق، ص١٢٤-١٢٥.

(6)Bathurst Op. cit., P197.

وفي سنة ١٧٠١ ، تعرضت بعض السفن التجارية التابعة لسورات للنهب ، عندما كانت عائدة من مخا ، مما دفع حاكم بومباي للكتابة بحزن الى حكومة لندن قائلا : "ان العرب الان ياخذون سفننا ، وقد اخذوا مؤخرا ،واحدة تعود الى هذا الميناء ،ولم نسمع شيئا عن اربع سفن ذهبت الى الخليج ومخا" [٤٦٤].

ازداد قلق الانكليز من جراء هذه الهجمات المتكررة على سفنهم ، الامر الذي دفع الوكيل الانكليزي في بندر عباس الى ان يرسل تقريرا سنة ١٧٠٤ ، قال فيه : "ان الاسطول العربي قام بعملية اعاقة للتجارة الانكليزية في الخليج العربي، وان هذه الاعمال للاسطول العربي ، قد تدفع الفرس الى الامتناع عن دفع المستحقات والضرائب التي عليهم للشركة الانكليزية" [٤٦٥].

كما كتب الوكيل الانكليزي في اصفهان في تقرير ارسله، الى مجلس المدراء في سورات انه يجب على الشركة ان تتخذ اجراءات قوية ، لاستعادة هيبتها المفقودة . هذا وكان مجلس المدراء مطلعا تماما على اخطار هجمات العرب . وفي مطلع عام ، ١٧٠٥ ، اعلن حاكم بومباي : "ان الحرب في اوربا [٤٦٦] ... وحدها تمنعهم من الحصول على مقاتلين لتطهير البحار الهندية من القراصنة او ارسال الجنود الى حامية بومباي ، ويجب عليهم توظيف جهودهم كلها لاجل استعادة السلام... لاعادة الاحترام الى الحامية ... ولتجهيز السفن المسلحة ، لتطهير البحار، وقلع جذور "عش القراصنة " من عرب مسقط"[٤٦٧].

وتواصلت هجمات الاسطول العماني على مواقع في الهند ،ويذكر ما يلز ، ان السفن العربية لا تزال تجوب ساحل الكورماندل ، لاعتراض بعض السفن المحلية ، وانهم مطلع سنة

---

[1]Ibid , p. 198 .

[٤٦٥] عائشة السيار المصدر السابق، ص١٧٣؛ Miles, op cit., p. 223; Brace, Annals , Vol. 3, p572

[٤٦٦] كانت اوربا انذاك تشهد حرب الوارثة الاسبانية ١٧٠٢-١٧١٣ التي اندلعت بعد وفاة ملك اسبانيا شارل الثاني ، فلم يكن له ولد او اخ يرث العرش ، بل كانت له اخت تزوجها لويس الرابع عشر ،والثانية تزوجها الامبراطور ليوبولد ، فلما مات شارل الثاني ١٧٠٠ ، ترك وصية يعطي فيها تاجه لفيليب الخامس حفيد لويس الرابع عشر ، بشرط ان لا تتوحد اسبانيا وفرنسا ، لكن اطماع فيلب لقيت معارضة وليم اورانج ملك انكلترا وشارل الخامس الذين كونوا حلفا ضد فرنسا ضم انكلترا وهولندا والامبراطورية الرومانية المقدسة والبرتغال وسافواي ، استمرت الحرب عشر سنوات، واتسعت دائرتها من اوربا حتى عبرت المحيط الى العالم الجديد، وانتهت الحرب بعقد صلح اوترخت ١٧١٣، حيث قطعت الممتلكات الاسبانية ، فحصلت فرنسا على اسبانيا وحصلت انكلترا على ممتلكات فرنسية واسعة في خليج هدسن ومضيق جبل طارق، وحصلت النمسا على نابولي وميلان في ايطاليا، ينظر:على حيدر سليمان،المصدر السابق، ص١٣٢-١٣٣.

[4]Lockhart , the fall of safavi dynasty , p 397-398.

١٧٠٥ ، احتجزوا سفينة انكليزية يقودها الكابتن موريس Maurice ، الذي أُخذ ورجاله دون ان يتمكنوا من عمل شيء [٤٦٨].

وتبين ضعف الانكليز مرة اخرى في اذار عام ١٧٠٥ ، عندما كانت السفينة Grace Dicu ، وهي سفينة محملة ببضاعة ثمينة ، يقودها الكابتن مورفيل Murvil ، قادمة من البنغال متجهة نحو بندر عباس ، فقام العمانيون بالاستيلاء عليها [٤٦٩].

لكن الكابتن الكسندر هاملتون القى اللوم ، في فقدان هذه السفينة على عاتق قائدها ، لانه لم يكن يملك الشجاعة الكافية لمواجهة العرب [٤٧٠].

الا ان الكابتن لوكير، الذي زار مسقط في ايار عام ١٧٠٥ ، بعد وقت قصير من ذلك الحادث، اشار الى ان الكابتن ، مورفيل كان يحمل جواز مرور انكليزي ، لذا لم يكن هجوم العمانيين على السفينة واستيلاؤهم عليها مبررا[٤٧١].

برر العمانيون هذا الحادث بتصريح والي مسقط ، اذ ذكر "ان السفينة الانكليزية اطلقت النار على قطعنا البحرية" .. واضاف "ان الدنماركيين والبرتغاليين وجميع اعدائنا عندما يكونون خائفين منا يدّعون انهم من بلادكم (انكلترا)" [٤٧٢].

وقد علق المؤرخ ب.ج. سلوت على مسألة جوازات المرور الانكليزية، ومدى قدرتها على تلافي التعرض لغارات العمانيين ، بقوله : "ان السفن الانكليزية قد خسرت اكثر من السفن الهولندية ،من جراء هجمات عرب مسقط ، فقد اذنت السلطات الانكليزية للسفن المحلية ، مقابل دفع رسوم محددة ، ان ترفع العلم الانكليزي عليها ، وان يحمل افراد طاقمها جوازات سفر او مرور انكليزية ، بينما لم يسمح الهولنديون برفع العلم الهولندي الا للرعايا الهولنديين فقط"[٤٧٣].

ولمواجهة هذا التحدي الخطير ، الذي عانته التجارة الانكليزية في الخليج العربي، قرر مجلس المديرين لشركة الهند الشرقية سنة ١٧٠٥، زيادة تسليح السفن الانكليزية [٤٧٤]. ولكن على الرغم من هذا الاجراء استمرت غارات السفن العمانية في المحيط الهندي والخليج العربي ، فشهد شباط عام ١٧٠٧ وقوع السفينة الانكليزية (دياموند Diamond) في يد العرب، وقد اسرت اثناء

---

[1]Miles , the countries , 223.

[2]Bathurst op, cit., p198.

[3]Alexander Hamilton , op. cit., p. 63.

[4]Qouted in Bathurst, p198; Miles, op, cit., p. 224.

[5]Ibid , p199.

[٤٧٣] ب.ج. سلوت ، الهولنديون في الخليج العربي ينقلون مكاتبهم حيث توجد الارباح ، مجلة الوثيقة ، البحرين، العدد ١٠ ، السنة ٥، ١٩٨٧ ، ص٩٨-٩٩.

[٤٧٤] عائشة السيار ، المصدر السابق، ص١٧٤ .

توجهها من بومباي نحو بندر عباس ، هذا وشهدت المدة نفسها اسر عدة سفن وقوارب فارسية (٤٧٥).

ويبدو ان الغارات العمانية على السفن الانكليزية وغيرها كانت محاولة للتحكم في تجارة الخليج العربي الخارجية ، بعدما فقدته التجارة المحلية من نشاط وازدهار ابان الهيمنة البرتغالية على المنطقة ، وايضاً لمواجهة نشاط الشركات الاجنبية التي تتاجر مع بلاد فارس ، ولضرب الانتعاش الذي حققته الاسواق الفارسية من جراء هذا النشاط التجاري .

سارعت شركة الهند الشرقية الانكليزية في عام ١٧١٦ ، الى تجهيز فرقاطتين للخدمة في الخليج العربي ، وهما: (بريطانيا) التي تحمل ثمانية عشر مدفعا ونحو مائة واربعين رجلا، و (فيم) التي تحمل ستة وثلاثين مدفعا واكثر من مائة وعشرين رجلا(٤٧٦).

ومع ذلك كله ، ظلت سياسة الانكليز دفاعية تجاه اليعاربة ، فلم يكن لديهم خطة محددة بعد للحلول محل الوجود البرتغالي في الخليج العربي ، كما انهم ظلوا منشغلين بصراعاتهم في الهند مع القوى الاوربية الاخرى (٤٧٧).

موقف الإنكليز من الحملات الفارسية على عمان :

ساهمت شركة الهند الشرقية الانكليزية ،ببناء نواة الاسطول البحري الذي بدأ نادر شاه بتكوينه ، منذ توليه حكم فارس ١٧٣٦-١٧٤٧، وباشر منذ سنة ١٧٣٧ بشراء وتأجير السفن الحربية من الوكيلين الانكليزي و الهولندي في بندر عباس (٤٧٨).

وخلال الحملة الفارسية على عمان ١٧٣٧ ، ارسل الانكليز عددا من الزوارق المحملة بالمواد الغذائية واللوازم الاخرى الى جلفار لتدعيم موقف الفرس هناك ، بعد تدهور اوضاعهم وتقهقر جيش تقي خان ومقتل القائد لطيف خان مسموما . ويتضح مما ذكره الوكيل الانكليزي في بندر عباس ان الانكليز كانوا يخشون من فقدان مصالحهم التجارية في فارس في حال رفضهم تقديم العون للحملة الفارسية على عمان ، ولا سيما ان الهولنديين لم يمانعوا بتقديمها لنادر شاه(٤٧٩)

---

(٤٧٥) عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص١٧٤؛ Bruce , Annals , Vol. :3, p.652 .

(2)Lockhart , The Fall, p398 .

(٤٧٧) عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص١٧٤ .

(٤٧٨) صالح العابد، دور القواسم ، ص٥٠-٥٣ .

(5)Bathurst, The Ya’rubi, p. 283-296.

فيذكر الوكيل الانكليزي عن تلك المساعدة البحرية انها : "في سبيل الله ، ولاننا نقدر الصداقة مع الملك (نادر شاه) ، وللحفاظ على حياة البيكلاربيكي و الثلاثمائة رجل الذين كانوا معه" [٤٨٠] .

وفي اب عام ١٧٣٧ ، قام زورقان عمانيان بالاستيلاء على السفينة الانكليزية (Rose) قرب جلفار ، وهي تحمل المؤن للفرس ، وقد هددوا طاقمها بالموت اذا حملوا المزيد من المواد الاولية والتجهيزات العسكرية للفرس . لكن المعلومات اكدت ان تمويل معسكر جلفار بالمواد الغذائية حتى عام ١٧٣٨ كان يتم بواسطة السفن الانكليزية [٤٨١].

احتاج غزو نادر شاه لعمان ، امدادات كبيرة واموال طائلة ، اثرت بشكل سيء على التجارة في جنوب فارس ، اضافةً الى حركات التمرد العديدة التي واجهت حكمه ابتداءً من عام ١٧٣٨ ، وحتى عام ١٧٤٤ ، عندما اعلن تقي خان تمرده ، وانضم اليه محمد بكر بك حاكم بندر عباس ، الا ان نادر شاه تمكن بعد اربعة اشهر من اخماد هذا التمرد الذي هز الساحل الشرقي للخليج العربي [٤٨٢] .

وعلى الرغم من هذا ، اصر نادر شاه على المضي قدماً بتنفيذ مشروعه لبناء السفن في بوشهر ، ومن المحتمل انه اراد جعل فارس مكتفية ذاتياً في بناء سفنها ، لكن السبب الرئيس يعود الى العوائق التي حاولت شركة الهند الشرقية الانكليزية وضعها في طريقه ، فقد طلب وكيل الشركة مبالغ نقدية كبيرة مقابل كل سفينة تزوده بها ، اضافة الى طلب امتيازات جديدة [٤٨٣] .

الا ان هذا المشروع فشل ، وظل نادر شاه بحاجة الى سفن الشركة الانكليزية المصنوعة في سورات، فوصلته بحلول كانون الثاني عام ١٧٤٢ ، سفينتان جديدتان تحملان اربعة عشر مدفعاً، وبهذا اصبح الاسطول الفارسي يتألف من خمس عشرة سفينة [٤٨٤] .

وعلى صعيد اخر ، يتبين ان الانكليز لم يكونوا متفائلين ازاء تحقيق الحملة الفارسية اهدافها باحتلال عمان ، وهذا ما اكده الوكيل الانكليزي في بندر عباس عندما ترددت انباء سقوط جلفار ومسقط وصحار بيد الفرس عام ١٧٤٣ ومسارعة نادر شاه لارسال ثلاثة الاف وخمسمائة مقاتل من التعزيزات الى صحار للتوجه الى داخل البلاد لاخضاعها فيقول : "بينما هو يقوم بذلك ، فهو يحطم كل شيء ، ولا شيء سوى التعاسة والجور والاستبداد يمكن رؤيته او سماعه في تلك الاجزاء" [٤٨٥].

---

[1] Ibid , p. 296.
[2] Ibid , p. 296-7.
[٤٨٢] نادية العبودي ، المصدر السابق ، ص٧٩-٨٥ .
[4] Lockhart , Nadir Shah , p. 213 ; Bathurst , Op. cit., 306 .
[5] Ibid , p. 213-216 ; صالح العابد ، دور القواسم ، ص٥٧.
[6] Lockhart , Nadir Shah , p. 218; Bathurst , op. cit., p. 312 .

وهذا يدل على قلق الدوائر الانكليزية من التطور الخطير الذي آلت اليه اوضاع بالحملة الفارسية في عمان ، الامر الذي يهدد مصالحها في المنطقة .

العلاقات مع شركة الهند الشرقية الهولندية :
التغلغل الهولندي في الشرق وتطلعهم نحو الخليج العربي :

اعتمدت هولندا في دخولها الشرق ، ولاسيما منطقة الخليج العربي ، على اسلوب تشكيل شركات تجارية [٤٨٦]. خاصة او مشتركة مع السلطات الحكومية في البلد الام [٤٨٧].

ادى الهولنديون دورا كبيرا في اضعاف الوجود البرتغالي في الشرق ، ففي سنة ١٦٤١، انتزعوا منهم ملقا ، ومنها شرع الهولنديون في مساعدة ملوك السنهاليين في حروبهم ضد البرتغاليين [٤٨٨].

---

[٤٨٦] تعود فكرة انشاء شركة للتجارة مع الهند واسيا الى عام ١٥٥٢ ، وفي عام ١٥٩٤ اسس تسعة من كبار تجار هولندا في امستردام شركة الاراضي البعيدة (Company of Far Land). وخرج اول اسطول هولندي للتجارة مع اسيا ١٥٩٥ بقيادة هوتمان ، تمكن من الوصول الى الجزر الاندونيسية ، واستطاع عقد اتفاقية مع ملك بنتام ، الذي فتح ارخبيل الهند الشرقية لهولندا ، وشهد تاريخ ٢٠ اذار عام ١٦٠٢ تاسيس (شركة الهند الشرقية الهولندية) برأسمال قدره (٦,٥) مليون فلورين هولندي و (وشركة الهند الشرقية المتحدة) عبارة عن اتحاد فدرالي لست شركات غير مترابطة ، تدعى بالهولندية (كامرز Kamers) أي غرف، وهي اتحاد مقاطعات هولندا . استطاعت الشركة الهولندية ان تبني مكانتها الكبيرة في اسيا منتصف القرن الثامن عشر، فتمكنت سنة ١٦١٩ من تاسيس قاعدة قوية في جزيرة جاوة اسمتها باتافيا ، ويرجع الفضل في تأسيسها الى الحاكم العام جان بيترسزون كوين (١٥٨٧-١٦٢٩) وهي ذات موقع ملاحي جيد، بالقرب من المضيق الذي يفصل بحر الصين عن المحيط الهندي ، وتسيطر على نقطة تحول الخطوط التجارية في اسيا، وبهذا نجح الهولنديون في اقامة موقع قوي تعجز اية دولة اوربية منافسة عن التعرض له، بل قام الهولنديون بمطاردة الانكليز في جزر التوابل وصد الامراء المحليين. أسس الهولنديون وكالة في اليابان ، واخرى في سورات على ساحل الكوروماندل ، واستطاعوا سنة ١٦٢٥ انشاء وكالة لهم في بندر عباس ، ثم بدأوا بغزو المنطقة الساحلية في سيلان . لمزيد من التفاصيل عن تاريخ تاسيس شركة الهند الشرقية يراجع ؛ احمد جلال التدمري ، قراءات ارشيفية في الوثائق التاريخية الهولنية المكتشفة حديثا ، وفي الصراع الدولي على الخليج العربي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٣٤ ، لسنة ١٣ ، ١٩٨٧ ، ص١٩- ٢٠ ؛ بانيكار، اسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة ، عبد العزيز جاويد ومراجعة احمد خاكي ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص٥٦ ؛ سلوت ، عرب الخليج ، ص٧٧-٨٤ ؛ مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ، ص١٤٦ .

[٤٨٧] بانيكار ، المصدر السابق ، ص٥٦ .

[٤٨٨] المصدر نفسه ، ص٥٧ .

وفي ١٦٥٤ تمكن الهولنديون، بعد حصار طويل ، احتلال ميناء كولمبو وطرد البرتغاليين من سيلان عام ١٦٥٨، وبعدها توالت المواقع البرتغالية بالانهيار سريعا ، وما لبثت كوشين قاعدتهم الاولى ان سقطت سنة ١٦٦٠ ولم يبق بعد كوا ، وجزيرتي دامان وديو الصغيرتين، وبومباي التي قدمت للعاهل الانكليزي [٤٨٩]. سنة ١٦٦٥ ، أي اثر لذلك الصرح الكبير الذي شيده الفونسو البوكيرك [٤٩٠].

سعى الهولنديون للحصول على امتيازات من شاه فارس ، بمنحهم حصة في تجارة الحرير ، ونجحوا ، بعد مضي اقل من سنتين من طرد البرتغاليين من هرمز [٤٩١]، في اقامة مؤسستهم التجارية في بندر عباس [٤٩٢]. وسعوا لاحتكار تجارة التوابل والفلفل بل بداوا يرفضون دفع الرسوم الكمركية في بندر عباس ، ونافسوا الانكليز منافسة شديدة ، فحاولوا ضرب تجارتهم في السوق الفارسية ، وسعوا لمزيد من الامتيازات ، ولم يترددوا في استعمال القوة [٤٩٣] للحصول عليها[٤٩٤] .

---

[٤٨٩] وقع الانكليز والبرتغاليون ، سنة ١٦٦١ معاهدة توجت بزواج الملك شارلس الثاني Charles II (١٦٤٦-١٦٨٥) من الاميرة كاترين اوف برجنزا ابنه ملك البرتغال جوا الرابع ، حصل بموجبها ملك انكلترا على بومبي ، كما ادت الوساطة الانكليزية الى تنازل الهولنديين عن البرازيل لصالح البرتغاليين الذين تخلوا بدورهم عن المطالبة بسيلان ، وقد اشرت هذه المعاهدة الضعف البرتغالي الحاصل والرغبة في ان تساعد الاساطيل الانكليزية في حماية الممتلكات البرتغالية الباقية او حتى استعادة بعض تلك الممتلكات التي فقدها التاج خلال مرحلة الاتحاد السيء مع اسبانيا للمزيد ينظر : Bruce, Annals, Vol.2, p.10; Bathurst, Op. Cit., 169

[٤٩٠] بانيكار ، المصدر السابق ، ص٥٧ .

[٤٩١] انظر صفحة (١٥) من الرسالة .

[٤٩٢] تعاون الانكليز والهولنديون سنة ١٦٢٥ ، عندما اشتبكوا في معركة ، بحرية ضد الاسطول البرتغالي ، بقيادة الفيرو بوتيلكو ، وكانت هذه المعركة اخر محاولة برتغالية لاستعادة هرمز ، وقد تضررت السفن البرتغالية ضرراً فادحاً، غير ان الانكليز والهولنديين لم يتمكنوا من ملاحقتهم عند انسحابهم . ينظر ارنولدويلسون ، تاريخ الخليج ، ص١٣٠ .

[٤٩٣] ارسل الهولنديون حملة بحرية الى الخليج العربي سنة ١٦٤٥، بقيادة بلوك Block ، وقد هددت الحملة بضرب ميناء بندر عباس ، بحجة ان الحكومة الفارسية حصلت على رسوم كمركية لاحق لها فيها ، كما حاول بلوك الاستيلاء على جزيرة قشم دون جدوى الامر الذي دفع الشاه للاذعان لتهديدهم ، وقابل الكابتن بلوك في اصفهان ، ومنح الهولنديين اعفاء تاما من الرسوم على استيراد الحرير ، ينظر :
Lock hart , The Fall. P. 365 .

[٤٩٤] عبد الامير محمد امين ، المصالح البريطانية ، ص١٨ .

وفي منتصف القرن السابع عشر كان النفوذ الهولندي في الخليج العربي قد ترسخ كثيرا. اذ تمكن الهولنديون من الحصول على امتيازات اضافية من الحكومة الفارسية التي كانت تنظر اليهم نظرة رهبة.

تعاظم التفوق الذي حققه الهولنديون في تجارتهم مع الفرس ، بعد طرد البرتغاليين من مسقط سنة ١٦٥٠ ، اذ وصلت الى بندر عباس في هذا العام سبع سفن كبيرة بحمولة تقدر باثنين وثلاثين الف تومان[٤٩٥].

العلاقات الهولندية – اليعربية :

من منطلق العداء المشترك للوجود البرتغالي ، ساد العلاقات الهولندية – اليعربية لون من الود ، بدا واضحا في اعراب الهولنديين عن سرورهم بتحرير العمانيين لمسقط ١٦٥٠[٤٩٦]. فعندما تلقت حكومة باتافيا العليا انباء تحرير مسقط ، قررت ان تبعث بتعليماتها الى الوكيل في بندر عباس تستطلع مدى امكانية التجارة في تلك المدنية .

وبتاريخ السادس من اذار عام ١٦٥١ طلب الوكيل الهولندي في بندر عباس ، من التاجر الياس بوداين ، ان يزور مسقط في طريق عودته من البصرة الى سورات ، لكن التقرير الذي قدمه بوداين لم يكن يحمل انباء سارة لكل من كان يامل بان تكون مسقط ميناء مهما كبندر عباس . وقد تكون وجهة نظر بوداين سلبية جدا لاحتمال ان يكون التجار البنيان [٤٩٧]. قد ابلغوه عن احوال التجارة المتوقفة في مسقط ، وقد قللوا من قيمتها قليلا لاعاقة المنافسين الاوربيين [٤٩٨].

هذا وقد اثبتت التعليقات الانكليزية وجهة نظر بوداين ، ففي تقرير انكليزي كتب عام ١٦٥٣، ذكر فيه "ان الحالة في مسقط قد تدهورت الى درجة ان كاتب التقرير يقول : "ان الامام كانت تراوده فكرة السماح للبرتغاليين بالتجارة فيها"[٤٩٩].

---

[1] Bruce , Annals , Vol. 1, p.445-461 .

[٤٩٦] عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص١٧٦ ؛ Miles , Op. cit., p. 211 .

[٤٩٧] البنيان طائفة من الهنود .

[٤٩٨] سلوت ، عرب الخليج ، ص١٧١ .

[٤٩٩] اغلب الظن ان كاتب التقدير قد بالغ في تقدير الاوضاع في مسقط ، فليس من المنطقي ان يقدم العمانيون خسائر كبيرة بالاموال والارواح في سبيل تحرير المدينة ، ليعودوا ويسلموها للاعداء بفعل الدمار والخراب الذي اصابها ، وهو متوقع بعد الحرب . ينظر : سلوت ، عرب الخليج ، ص١٧١-١٧٢ .

وتقديراً للموقف الهولندي ، وحرصاً من امام عمان سلطان بن سيف على ايجاد علاقات متوازنة مع القوى الاوربية ، قدم سنة ١٦٥١، عرضاً مغرياً للهولنديين، يقضي بتامين طريق بري لنقل بضائعهم الى البصرة بواسطة الجمال ، تنطلق من ابو ظبي فالقطيف فالبصرة ، بدلا من بندر عباس ، غير ان الوكيل الهولندي رفض العرض شاكرا .

وكان هذا الموقف الهولندي يعود لقوة العلاقة التي كانت تربط الهولنديين ببلاد فارس ، فضلا عن خوف الهولنديين من تحول اهتمام الشاه عباس الثاني (١٦٤٢-١٦٦٦) صوب الانكليز [٥٠٠].

وتكمن اهمية هذا العرض العماني في الهدف الذي كان يقصد منه ضرب المصالح البرتغالية الاقتصادية ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، جاء العرض في وقت كان الخلاف قد نشب بين الهولنديين والشاه بشان تجارة الحرير ، بسبب الضرائب الباهضة التي فرضها الشاه عليها وعلى الرغم من ان هذا العرض لم ينفذ ، الا انه اشر العلاقة الودية التي سادت بين الطرفين (اليعربي والهولندي) [٥٠١].

راجت شائعات كثيرة في الخليج العربي مطلع عام ١٦٥٣ ، فقد نقلت سفينة قادمة من كنج انباء الى البصرة تفيد ان الهولنديين قد تحالفوا مع العمانيين ، وانهم يقومون نيابة عن الامام باستحصال الضرائب المعتادة على النقل البحري في الخليج العربي ، التي كان البرتغاليون يستحصلونها في مسقط سابقا[٥٠٢].

وقد علق سلوت على هذا الموضوع بقوله : "وعلى الرغم من عدم صحة تلك الشائعات، الا انها تشير الى ان المجتمع التجاري في الخليج العربي ، قد ادرك مدى طموح العمانيين في احتلال مكانة البرتغاليين، واحتمال مساندة الاوربين لتلك الطموحات"[٥٠٣].

ونتيجة لتضرر المصالح الفارسية جراء الغارات العمانية على السفن والموانئ الفارسية، عرض الفرس، سنة ١٦٥٧ على الهولنديين الاسهام في عملية مشتركة ضد مسقط، الا ان هذا العرض قوبل بفتور [٥٠٤].

---

[٥٠٠] هيفاء عبد العزيز الربيعي، غزاة في الخليج ، الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية ، دراسة تاريخية، بغداد، دار الكتب، ١٩٨٩ ، ص٧٥؛ عائشة السيار، المصدر السابق، ص١٧٦؛ احمد جلال التدمري، الصراع الدولي، ص٧٣ .

[٥٠١] عائشة السيار، المصدر السابق، ص١٧٦-١٧٧ .

[٥٠٢] سلوت، عرب الخليج، ص١٧٥.

[٥٠٣] المصدر نفسه، ص١٧٧ .

[٥٠٤] المصدر نفسه .

تواصلت المساعي الهولندية لعرقلة التجارة الانكليزية في المنطقة ، ويبدو ان جهود شركة الهند الشرقية الانكليزية لفتح وكالة في مسقط عام ١٦٥٩ ، قد اثارت قلق الهولنديين ، فتقارير وكلائهم في المنطقة بشأن المفاوضات الانكليزية – اليعربية ، ذكرت ان الانكليز يهدفون الى اقامة قاعدة لهم في الزاوية الجنوبية الشرقية من خليج عمان ، انهم سينقلون تجارتهم من بندر عباس الى مسقط ، وسينتقمون من المضايقات التي تعرضوا لها من قبل الفرس ، بواسطة اسطول من اثنتين وعشرين سفينة ينتظر مجيؤها من انكلترا [٥٠٥].

الا ان ذلك الهدف لم يتحقق ، بفعل التفوق الكبير الذي حققه الهولنديون على الانكليز خلال الفترة ما بين عامي ١٦٥٤ و١٦٨٤ [٥٠٦]. حيث انتزع الهولنديون معظم النشاطات الاقتصادية في الخليج العربي، وقد بلغت ذروتها سنة ١٦٦٤ ، حيث اصبحت للهولنديين السيطرة الاولى على التجارة في بندر عباس [٥٠٧].

---

[1]Bathurst , op. cit, p. 165.

[٥٠٦] دارت بين الطرفين ما يقارب اثني عشرة معركة بحرية ، نتيجة ازدياد التنافس بين الطرفين ولاسيما في الشرق . وكانت معظم المعارك غير حاسمة ، فالحرب الاولى اندلعت بين عامي ١٦٥٢-١٦٥٤ وانتهت بعقد صلح ويستمنستر عام ١٦٥٤ ، على ان يدفع الانكليز تعويضا ، وان يشتركوا في حلف دفاعي مع هولندا، مقابل ان تستبعد هولندا اعضاء بيت اورانج من زعامة اتحاد الاراضي المنخفضة ،بينما انتهت الحرب الثانية بينهما التي استمرت ما بين عامي ١٦٦٥ ، ١٦٦٧ ، بدخول فرنسا والدانمارك الحرب الى جانب الهولنديين ، وعقد صلح بريدا في ١٠ يوليو عام ١٦٦٧ ، حيث تنازل الهولنديون عن حقهم في امستردام الجديدة ، مقابل استيلائهم على سرينام ، وفي سنة ١٦٦٨ عقد الحلف الثلاثي بين انكلترا وهولندا والسويد لوقف توسع لويس الرابع عشر في الاراضي المنخفضة الاسبانية، الا ان لويس الرابع عشر تمكن من ابعاد الانكليز والسويد بالمال عن ميدان النزاع ، وبذلك استطاع ان يصب جام غضبه على الهولنديين ، وقام عام ١٦٧٢ بقيادة جيش تعداده مائة الف مقاتل بعبور الراين وغزو جنوب هولندا ولكن وليم اورانج ملك انكلترا اضطر بعد ضغط الرأي العام الانكليزي ان يتحالف مع هولندا سنة ١٦٧٤ ، كما انضم اليهما امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة للوقوف بوجه فرنسا ، وبعد مرور ست سنوات من الحرب، عقد صلح بينهم. ينظر: وليم لانجر، موسوعة تاريخ العالم ، ج٤ ، اشرف على الترجمة: محمد مصطفى زيادة ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣ ، ص١١٧٧-١١٧٩؛ علي غنام، احلال النفوذ الاجنبي في الخليج العربي، ودور الاسرة الصفوية، مجلة الخليج العربي، العدد ١، السنة ١٦، ١٩٨٨، ص١١-٢٦؛ علي حيدر سليمان، المصدر السابق ، ص١٣٠؛ ارنولد ويلسون ، تاريخ الخليج ، ص١٣٨.

[٥٠٧] عمان في التاريخ، المصدر السابق، ص٤٠٩.

وبتنامي القوة البحرية اليعربية ، التي اخذت تشن هجمات ضد المواقع الفارسية ، اقترح الفرس على الهولنديين سنة ١٦٦٠ ، مساعدتهم بالسفن لنقل القوات الفارسية الى مسقط واحتلالها ، لكي ينالوا امتيازات هامة اخرى لصالح تجارتهم في فارس .

والدافع على هذا الاقتراح ، فقدان بندر عباس الكثير من نشاطه التجاري ، بسبب كثرة الغارات التي يشنها العمانيون ، وقد بلغ عدد السفن التي شنت تلك الغارات ما بين (مائة وخمس وعشرين) و (مائة وخمسين) سفينة سنويا[٥٠٨].

ولكن هذا العرض لم يلق قبولا لدى الوكيل الهولندي فان ويك ، ولتجنب مثل هذه العروض لاحقا ، وضع شروطاً تعجيزية ، لدرجة ان الفرس لم يكرروا مثل هذا لطلب ، ونجح فان ويك في التمسك بموقف الحياد تجاه عمان [٥٠٩].

حققت عمان في عهد الامام سلطان بن سيف الاول تطورا اقتصاديا ملحوظا ، نتيجة ازدهار التجارة فيها ، مما دفع الهولنديين لتقوية علاقتهم بها .

فقد بعث الوكيل الهولندي هندريك فان ويك في عام ١٦٦٥ ، رسالة من بندر عباس الى الامام سلطان بن سيف ، يعرض عليه نوعا من التعاون ضد البرتغاليين ، واقامة مقر للشركة الهولندية في مسقط [٥١٠].

وما لبث هندريك ان تسلم رد الامام سلطان على رسالته بعد ذلك بقليل جاء فيه : "... وصلتنا رسالتك التي نعتبرها جوهرة لاهميتها ... ، لقد جاءنا مبعوثك معربا عن رغبتك ..للاقامة في مدينتنا التجارية ... وسوف نعمل مسرورين على انشاء مقر لكم في مدينتنا التجارية..."[٥١١].

وقد علق الجانب الهولندي على مثل هذه الدعوة بانها مفعمة بالكرم ،ولكن حكومة باتافيا، وجدت انها غير كافية ، لانها لا تشير الى الامتيازات الخاصة المتعلقة بالرسوم الكمركية المرتفعة جدا في مسقط [٥١٢].

ان نص الرسالة يدل على مشاعر طيبة وودية ، ونية جادة في تطوير العلاقة بين الطرفين اليعربي والهولندي ، فالعرض الذي قدمه الوكيل الهولندي في بندر عباس ، بفتح ابواب مسقط

---

[٥٠٨] سلوت ، عرب الخليج ، ص١٧٨-١٧٩ .

[٥٠٩] المصدر نفسه ، ص١٧٩ .

[٥١٠] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٣٩٩ .

[٥١١] سلوت ، عرب الخليج ، ص١٧٩-١٨٠؛ وانظر ايضاً : ملحق (٤) آخر الرسالة .

[٥١٢] المصدر نفسه ، ١٧٩-١٨٠ .

للتجارة الهولندية ، وانشاء وكالة لهم في مسقط ، قد لقي الترحيب من قبل الامام سلطان .

اما الامتيازات التي سعى الهولنديون للحصول عليها ، فكان من الممكن الحصول على تخفيض كبير في الرسوم الكمركية او الغاء تدريجي لها ، لو انهم تعمقوا في مفاوضاتهم مع الجانب اليعربي ، ولاصبح مركز الهولنديين انذاك اكثر ارجحية من بقية القوى الاوربية الاخرى .

ولكن يبدو ان الهولنديين ارادوا تعويض تنازلهم عن تجارة ميناء بندر عباس فيما لو انتقلوا الى مسقط، وبالامتيازات نفسها التي حصلوا عليها من الفرس بداية دخولهم التجاري منطقة الخليج العربي ، ثم ان طلب الهولنديين جاء في وقت اندلاع الحرب الانكليزية الهولندية الثانية، ما بين عامي ، ١٦٦٥-١٦٦٧ ، وربما اراد الهولنديون الحصول على دعم امام عمان التجاري والعسكري ضد الانكليز ، وهذا مالم توضحه الرسالة .

وعلى الرغم من هذا الموقف المتساهل من جانب اليعاربة ، بدأ الهولنديون ، يفكرون في انشاء تحالف مشترك مع الفرس ضد عرب عمان ، وهذا يدل على تارجح افكار الهولنديين ، وعدم استقرارهم على خط سياسي واحد [٥١٣].

ومما يؤيد ذلك ان حكومة باتا فيا ، اوعزت الى الوكيل الهولندي في بندر عباس بدراسة اقتراحات حاكم بندر عباس الفارسي بشأن التخطيط لحملة مشتركة ضد مسقط ، وكان رد المسؤولين في باتافيا العليا عدم قبول هذه المقترحات الا اذا طلب الشاه ذلك في رسالة رسمية موجهة الى الحاكم الهولندي العام وعليها ختمهُ [٥١٤].

جاء هذا الطلب في وقت قام فيه امام عمان برفع نسبة الرسوم الكمركية في مسقط الى نسب مرتفعة جدا ، خشية ان تصبح مسقط ، عند توسع الاعمال التجارية فيها ، هدفا لاطماع الانكليز وغيرهم من القوى الاوربية [٥١٥].

وفي سنة ١٦٦٦ ، قامت بعثة هولندية بزيارة عدد من المواني العمانية ، على ظهر السفينة (ميركات) ، بقيادة الكابتن فوجل ، بهدف الاطلاع على مدينة مسقط وتحصيناتها العسكرية. وجاء تقرير هذه البعثة لتشغل مدينة مسقط حيزاً كبيراً منه ، اذ بين "ان مسقط مدينة يحيط بها سور ثبتت عليه مدافع مصوبة باتجاه الخليج ، وبها ثلاثة حصون قرب الشاطئ ، وعلى

---

[٥١٣] هيفاء الربيعي ، المصدر السابق ، ص٧٥-٧٦.

[٥١٤] سلوت ، عرب الخليج ، ص ١٨٠-١٨١ .

[٥١٥] المصدر نفسه ، ص١٨١ .

الجانب الشرقي من المدينة حصن يدعى موغوبلوان ، وعلى الجانب الغربي ، حصن مسقط ، تتصل به عند قاعدة الجبل قلعة الجبل فيها سلم حجري ، يؤدي الى الحصن ، وفي اسفل الجبل قلعتان، تدعى احدهما سانت انطوني، وعلى الجبل ما بين ثمانية الى تسعة مراكز للمراقبة"(٥١٦).

وتكمن اهمية هذه البعثة في الوصف الدقيق الذي تضمنه تقريرها عن المدن والقرى الصغيرة التي وصلت اليها، واول خليج دخلته السفينة كان خصب ودبا وخورفكان وكلبا(٥١٧).

كما انتهز الهولنديون الفرصة في عام ١٦٧٠ ، لتقوية علاقاتهم مع الامام سلطان، فقاموا بانشاء محطة في مسقط، كتلك التي في البصرة، لترتيب ارسال مأمون للرسائل والرزم الى اوربا(٥١٨).

عزز نمو القوة البحرية اليعربية اهمية عمان اقتصادياً، وعسكرياً، مما دفع حاكم سيلان العام فان جوينز ان يرسل في عام ١٦٧٢، مبعوثا خاصا هو بادتبرج Padberg ، برفقة هاركز، الى مسقط، بهدف التوصل الى عقد اتفاقية تجارية مع الامام وخول هذا المبعوث باقامة تحالف عسكري في حال اندلاع الحرب مع البرتغاليين (٥١٩).

وكان على بعثة بادتبرج التوقف اولا في الوكالة الهولندية في بندر عباس ، للتباحث مع وكيلها، الا انه توقف اولا في مسقط حيث اجرى مفاوضات اولية مع واليها الشيخ عبد الله ، ثم دعاه الامام سلطان لزيارة مدينة نزوى(٥٢٠).

وبسبب مرض الامام سلطان، كان ابنه ابو العرب يدير بعض شؤون البلاد ، لذلك لم يتم التوصل الى شيء ملموس في هذه الزيارة، وقرر بادتبرج، التوجه الى بندر عباس والتباحث مع الوكيل الهولندي هناك(٥٢١).

وفي بندر عباس أكد الوكيل اهمية ارسال البعثة الى مسقط ، وقد ضمت هذه البعثة كلا من جورج ويلمسون Wilmsohn وهو شخصية ذات خبرة بالتعامل مع العرب ، وهاركز سكرتير القنصل في بندر عباس. ولخصت تعليمات بادتبرج بالحصول على افضل شروط لاتفاقية تجارية ، وهي الأسس نفسها التي قامت عليها الاتفاقية التجارية بين الفرس والهولنديين أي الاعفاء التام

---

(٥١٦) عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٣٩٩ .

(٥١٧) سلوت ، المصدر السابق ، ص١٨٢-١٨٤ .

(3) Bathurst ,op, cit, p, 172; Ian Skeet ,op. cit , p. 38.

(4) Bathurst , the Ya'rubi , p. 172 ; سلوت ، عرب الخليج ، ص١٨٧-١٨٨

(٥٢٠) سلوت ، عرب الخليج ، ص١٨٧-١٨٨ .

(٥٢١) المصدر نفسه ، ص١٨٨ .

من الرسوم الكمركية ، وفي الناحية العسكرية ، طلب اليه التحري عن مدى قدرات عمان العسكرية واهميتها كحليف ضد البرتغاليين [٥٢٢].

ويبدو ان الهولنديين ارادوا كسب حليف قوي جاهز في أي وقت لمساعدتهم ضد البرتغاليين او الانكليز في حال اندلاع حرب بينهم ، فلم يتمسك الهولنديون بقوة بعقد حلف عسكري ضد البرتغاليين للمدة ما بين عامي ١٦٧٢و١٦٧٨ ، اذ كانت الحرب في اوربا مندلعة بينهم وبين انكلترا وفرنسا ، فلم يرحبوا بفتح جبهة جديدة ضد البرتغاليين الامر الذي سيعقد موقفهم في اسيا [٥٢٣].

لم تحقق المفاوضات التي اجريت ، اياً من طموح الطرفين . وفي اواخر سنة ١٦٧٢ ، عاد بادتبرج الى بندر عباس ، بعد ان عين ويلمسون مديرا للمحطة الهولندية في مسقط ، والذي حاول بدوره التوصل الى عقد اتفاقية تجارية ، الا انه لم يلق جواباً واضحاً ولم تسر التجارة سيرا حسنا ،اذا واجه ويلمسون صعوبات مع السلطات المحلية ، بشان الرسوم الكمركية ، وبحلول عام ١٦٧٤ غادر مسقط ، تاركا الصلاحية لنائبه ريتسرت لادارة المحطة [٥٢٤].

ووفقاً لاحد التقارير التي كتبها ويلمسون اثناء وجوده في عمان ، وتحديدا سنة ١٦٧٤ ، قام الاسطول البرتغالي باجراء مناورة بحرية بالقرب من مسقط ، ورد العمانيون على هذه المناورة بتجهيز ثلاث او اربع سفن كبيرة ، وسفينتين شراعيتين وتسع الى عشرة سفن صغيرة، وبلغ مجمل السلاح الذي تزودت به سفن هذه الحملة ما بين تسعين الى خمسة وتسعين مدفعا ، كما سجل تقريره عدم امتلاك العمانيين طاقماً دائماً من الملاحين للعمل على ظهر هذه السفن ، وانما كانوا يستدعون ملاحين من مراكب صيد وبعض المراكب التجارية عند الحاجة اليهم [٥٢٥].

وكان رأي ويلمسون في العمانيين انهم حلفاء اتكاليون اكثر من كونهم مساندين في حالة نشوب حرب بين الهولنديين والبرتغاليين ، كما علق على ترحيب الامام بمنح الهولنديين ، وكالة في مسقط بقوله "ان العمانيين تكلفوا الحصول على الحصون ، ولن يتخلوا عنها ابدا"[٥٢٦].

قصد ويلمسون من هذا التقرير السلبي التنويه لرؤسائه بعدم جدوى التجارة في عمان ، لعدم وجود مكان حقيقي للهولنديين في اطار نظامها الاقتصادي ، فالتجار المحليون يزودون عمان

---

[٥٢٢] سلوت ، عرب الخليج ، ص ١٨٨ .

[٥٢٣] تنظر صفحة (٩٤) من الرسالة هامش (٢) .

[٥٢٤] سلوت ، عرب الخليج ، ص١٨٩ .

[٥٢٥] عمان في التاريخ ، المصدر نفسه ، ص٤٠٠ .

[٥٢٦] سلوت ، عرب الخليج ، ص١٩٦-١٩٩ .

بالمنتجات من انحاء اسيا ، ولهم روابط اقتصادية وثيقة مع الهند وشرق افريقيا ،وهكذا ادرك الهولنديون عدم وجود مصدر للربح لهم في الخليج العربي ، خارج بندر عباس [٥٢٧].

اما التقرير الذي سجله بادتبرج ، فيعد مصدرا مهما وقيما عن الاحوال العامة ، في عمان خلال حكم الامام سلطان بن سيف اليعربي، وجاء في تقريره تقييم لاسلوب الحياة العربية، وافضل ما ذكره من ملاحظات ، حديثه عن العرب وتقييمه لاخلاقهم ، اذ يقول : "انهم تبدو عليهم الخشونة ظاهريا ، ولكنهم في الداخل ذوو اخلاق وتصرفات مصقولة "[٥٢٨].

وفي حديثه عن الامام سلطان يقول : "يتحد الجميع في طريقة لباسهم ،وعندما نصف الامام الكبير، فكاننا نصف ايضا جنديا عاديا ... والامام متوسط القامة ، داكن البشرة ، وتتجه حدقتا عينيه في الوسط ، مما يجعله يغمض عينيه نصف اغماضه عند النظر ... ويتسم الامام بمظهر جيد .. وهي من الصفات الشائعة لدى لعرب" [٥٢٩].

وفي وصف بادتبرج للعادات الاجتماعية الخاصة بالعمانيين يقول ، : "يتصف عرب عمان بالتهذيب والود الكرم والنخوة في تعاملهم مع بعضهم البعض ، ومع الغرباء ايضا ، وتصرفاتهم في غاية النزاهة الى درجة مبالغ فيها ، ولا يؤخذ أي قرار مباشرة قبل عرضه على الجميع وهذا يعود الى تمكن الجميع من حضور المجلس العام ..."[٥٣٠].

ان التقارب اليعربي – الهولندي كان واضحا لدى الاب كيير Abbe Carre عندما اخبره ممثلو الامام سلطان في نخيلو عام ١٦٧٤ : "ان عمان ستكن مزيداً من الاحترام والتقدير لفرنسا ، اذا لم تقم بشن حرب ضد الهولنديين ، الذين هم اكبر اصدقائهم ، ويزودونهم بالذخائر في حربهم ضد البرتغاليين . وان مساعدتهم هي التي مكنتهم من تسليح اسطول قوي في مسقط، في تلك السنة ومهاجمة البرتغاليين في باسين "[٥٣١].

لكن سرعان ما اصاب الفشل هذا التحالف اليعربي – الهولندي ، ففي سنة ١٦٧٥ ، قررت حكومة باتافيا اغلاق محطتها في مسقط ،لكن المدراء في هولندا ظلوا ياملون خيرا بالتجارة في عمان ، اذ راوا ان تصدير الارز لشبه الجزيرة العربية ، يحقق ارباحا طائلة[٥٣٢].

---

[٥٢٧] عمان في التاريخ ، المصدر السابق ، ص٤٠٠ ؛ عائشة السيار ، المصدر السابق ، ص١٧٧ .

[٥٢٨] سلوت ، عرب الخليج ، ص١٩٠ .

[٥٢٩] المصدر نفسه ، ص١٩١.

[٥٣٠] المصدر نفسه ، ص١٩١.

[5] Bathurst , Op. Cit., P. 173 .

[1] سلوت ، عرب الخليج ، ص٢٠٠ .

وهكذا ساد التذبذب العلاقات العمانية – الهولندية، خلال عصر الامام سلطان بن سيف ، ولان اليعاربة لم يكونوا مستعدين لاستبدال السيادة البرتغالية باخرى هولندية ، ولاسيما مع وجود قوة بحرية عربية يمثلها الاسطول العماني ، الذي اخذ يجوب مياه الخليج العربي والمحيط الهندي، ناشراً الرهبة في نفوس الشركات الاجنبية في هذه البحار ، فكان طبيعيا ان يحدث احتكاك بين الهولنديين واليعاربة (٥٣٣) .

وبالفعل شهد عصر الامام سيف بن سلطان الاول ، استيلاء العمانيين على سفينتين هولنديتين سنة ١٦٩٧(٥٣٤). وهو الامر الذي كانوا يترددون في الاقدام عليه في السابق ، وجاءت ردود الفعل الهولندية سريعة ، فقد وصلت ثماني سفن من باتافيا ، وهددت بشن هجوم على مسقط ، الامر الذي دفع العمانيين الى الافراج عن السفينتين الهولنديتين (٥٣٥).

ويؤكد باثرست ، انه على الرغم من هذا الحادث ، لم تكن الهجمات العمانية على السفن الهولندية شديدة ، اذ يقول : "ان الهولنديين مازالوا نسبيا بعيدين عن تدخل السفن العمانية"(٥٣٦). وان "الهولنديين لم يعانوا منها حتى الان"(٥٣٧).

حاول الفرس الانتقام من هجوم العمانيين على ميناء كونك سنة ١٦٩٥ ، فتوجهوا نحو الهولنديين عام ١٦٩٧ طالبين مساعدتهم في مشروع حملة على مسقط ، وفي العاشر من حزيران عام ١٦٩٧ ، قررت حكومة باتافيا ان ترد بالايجاب على طلب الفرس المساعدة في نقل قوات فارسية مع ذخيرتهم ومؤونتهم على متن سفن هولندية ، لكن دون السماح للسفن الهولندية بالاشتراك في العمليات الحربية ، وعدم السماح للسفن الهولندية ، بمساندة الفرس بمدفعيتها عند الانزال (٥٣٨).

---

(٥٣٣) احمد جلال التدمري ، المصدر السابق ، ص٢٥ .

(٥٣٤) في حين تشير عائشة السيار، المصدر السابق، ص١٧٧؛ احمد جلال التدمري، المصدر السابق ص٧٥ ، الى ان سنة ١٦٩٥ ، شهدت اول صدام بين اليعاربة والهولنديين .

(4) Bathurst , op. cit., p. 196-197.

(5) Ibid, p. 200-1 .

(6) Ibid , p 203 .

(٥٣٨) سلوت ، عرب الخليج ، ص٢٢٥ ؛ هيفاء الربيعي ، المصدر السابق ، ص٩٥ .

ولتحقيق هذا الهدف اعدت حكومة باتافيا خمس سفن كبيرة ، للتوجه الى الخليج العربي، لكن لم تصل الى بندر عباس سوى سفينة واحدة ، وتقرر ارسال بقية السفن عندما يصبح الفرس جاهزين [٥٣٩].

لم يتحقق من الحملة المرجوه شيء ، اذ لم يكن لدى الفرس ، عدد كاف من الجنود لمهاجمة مسقط ، لانشغال الجيش في حروبه في البصرة[٥٤٠] ، ولان الشاه ، كما كان الهولنديون، يقولون ساخرين :"كان مشغولا جدا بزوجاته"[٥٤١].

اعرب حاكم باتافيا العام عن ارتياحه ، من عدم الالتزام بمساعدة الفرس في مغامرة خطرة وباهظة التكاليف ، فكتب الى رؤسائه في امستردام يقول : "لقد تخلصنا من التزامنا باستخدام السفن للحرب"[٥٤٢].

شهدت هذه المرحلة ، توتر العلاقات الهولندية –الفارسية ، فقد حاول الهولنديون عقد اتفاق مع حاكم بندر عباس، يقضي باحتكارهم تصدير الحرير وبيعه ضد مصلحة شركة الهند الشرقية الانكليزية، ومن غير علم الشاه سليمان (١٦٦٦–١٦٩٤) ، لكن بعد مجيء الشاه سلطان حسين الى السلطة في فارس ، الغى كل الامتيازات المعقودة مع الهولنديين ، بل واثار غضبهم عندما تقرب من الانكليز، وقرر عام ١٦٩٩ زيارة الوكالة الانكليزية، ولم يزر الهولندية [٥٤٣].

لم تمنع هذه الاحداث الهولنديين من التقرب من الشاه سلطان حسين ضماناً لاستمرار تجارتهم ، وحاولت الشركة الهولندية في المدة ما بين عامي (١٧٠٥ – ١٧٠٦) التقرب منه،

---

[٥٣٩] سلوت ، المصدر السابق ، ص٢٢٥ .

[٥٤٠] كانت البصرة بيد القوات الفارسية ، للمدة ما بين عامي اذار ١٦٩٧– واذار ١٧٠١ ، باعتراف الحكومة العثمانية ، وقد عين داود باشا والياً فارسياً عليها ، بعد ان نجح فرج الله باحتلالها ، انظر :
Bathurst , op. cit., p. 201.
وتشير التقارير الهولندية لعام ١٦٩٩ ان الفرس كانوا يخشون من مهاجمة عرب مسقط لهم في تلك السنة ، وخافوا ان يباغتهم فرج الله الذي عزله الشاه وعاد ليتصالح مع مانع السعدون شيخ عشائر المنتفق ، ينظر : سلوت ، عرب الخليج ، ص٢٣٠ .

[٥٤١] سلوت ، عرب الخليج ، ص٢٢٥–٢٢٦ .

[٥٤٢] المصدر نفسه ، ص٢٢٦ .

[٥٤٣] هيفاء الربيعي ، المصدر السابق ، ص٩٤–٩٦ .

بحجة مساندته بقوتهم البحرية، ضد عرب عمان ، الذين استمروا في شن هجمات متكررة على الساحل الشرقي للخليج العربي، لكن الشاه ، رفض ذلك ، مفضلا التعاون مع الانكليز [٥٤٤].

وفي سنة ١٧٠٧ هددت السفن العمانية ، ميناء بندر عباس ، ولذا سارع الشاه الى الطلب مجددا من الانكليز والهولنديين مساعدته ضد مسقط ، فارسل ميرزا ناصر مبعوثا خاصا الى بومباي، لاقناع حاكمها بمساندته بحريا ضد عرب عمان ، كما ارسل مبعوثا اخر الى باتافيا للغرض نفسه [٥٤٥].

اظهر حاكم بومباي استعداده لتلبية الطلب الفارسي ، للحصول على افضلية على الهولنديين في السوق الفارسي ، ولكنه تذرع بحالة الحرب في اوربا لتاجيل ارسال القوة البحرية الكافية لمواجهة العمانيين [٥٤٦].

وبعد فشل الفرس في اقناع الانكليز والهولنديين بمساعدتهم في نزاعهم مع اليعاربة توجه الشاه سلطان حسين صوب الفرنسيين ، للحصول على مساعدتهم العسكرية والبحرية ضد مسقط، الا انهم لهم يستجيبوا لطلبه ، لذا عدل الشاه الطلب الى ان يقوموا بحماية سواحله فقط ، وحتى هذا الطلب لم يكتب له النجاح المطلوب فلم يكن لفرنسا المنشغلة في الحرب في اوربا اهتمام كبير بالشرق ، فضلا عن العراقيل الانكليزية والهولندية التي ستواجهها[٥٤٧].

وبين عامي ١٧١٦و١٧١٨ ، جرت سلسلة من المفاوضات بين شركة الهند الشرقية الهولندية والحكومة الفارسية في اصفهان ، لتجديد امتيازت الشركة ، وقد رأس الوفد الهولندي جون جوسوا كتيلار Jan Josus Ketelaar ، وفي غضون ذلك تمكن العمانيون من تشديد قبضتهم على الخليج بالسيطرة على البحرين سنة ١٧١٧[٥٤٨]. وقد احدث هذا حالة من الذعر في الاوساط الفارسية ، فبادر اعتماد الدولة فتح علي خان الى الطلب من كتيلار ، لقيام اثنين من سفن الشركة الهولندية بمساعدة الفرس في اخراج العمانيين من البحرين ، الا ان كتيلار اعتذر عن الاستجابة ،بحجة عدم امتلاكه صلاحية اجراء كهذا . وبعد ان غادر كتيلار اصفهان الى بندر

---

[٥٤٤] المصدر نفسه ، ص٩٩ ، اما سلوت يذكر ان الفرس هم الذين عرضوا على الهولنديين عام ١٧٠٦ مساعدتهم ضد عمان، الا ان الهولنديين ، لم يجيبوا على طلب الفرس هذا ، ينظر : سلوت ، المصدر السابق، ص٢٢٨.

[2]Bruce , Annals , vol. 3, p652 .

[3] Ibid, P. 652.

[٥٤٧] هيفاء الربيعي ، المصدر السابق ، ص١٠١ .

[5]Lockhart , The Fall , p. 403.

عباس وصلت الاخبار بنزول العرب الى جزيرة هرمز ، ومحاصرتهم لقلعتها ، مما اثار المخاوف من احتمال هجومهم على بندر عباس[٥٤٩]. فبادر كتيلار الى نقل مبعوث فارسي على متن سفينة هولندية الى كوا البرتغالية استجابة لطلب الفرس.

لكن قائد الحامية الفارسية في بندر عباس ، اعترض السفينة الهولندية (Haringtuyn) المخصصة لنقل كتيلار الى باتافيا واصر على استخدامها في عمليات حربية ضد العرب ،لكن كتيلار رفض طلبه ، مما دفع الفرس لمحاصرة المحطة الهولندية وقطع التجهيزات عنها . ولكن وفاة كتيلار بعد يومين دفع الفرس الى رفع الحصار عن المحطة ، والسفينة الهولندية [٥٥٠]. وغادرت السفينة عائدة الى باتافيا ، حاملة رسالة من اعتماد الدولة الفارسي الى الحاكم العام تتضمن طلبا جديدا لمساعدة الفرس في مهاجمة مسقط ، الا ان الحاكم العام رفض الطلب ، بحجة ان هناك حاجة ماسة الى السفن والجنود لمهام قتالية في مالابار وجاوة [٥٥١].

وفي حادث منفصل ، شهد شباط عام ١٧١٨ ، رسو السفينة الهولندية (Haringtuyn) في هرمز ، بعد ان كانت في طريقها من باتافيا الى بندر عباس وقد نفذت منها المؤن ، وقرر بعض بحارتها التوجه عبر مركب شراعي صغير لصيد السمك قرب لارك، فاستوقفتهم سفينة مراقبة عمانية، ظنا منها انهم من البرتغاليين ، وادعى البحارة الهولنديين عدم علمهم باحداث الحرب القائمة في المنطقة [٥٥٢].

ونقل بعدها البحارة الى المعسكر العماني في هرمز ، حيث امر القائد العماني باطلاق سراحهم واعادتهم الى سفينتهم . وعن تفاصيل لقاء القائد العماني بالبحارة الهولنديين ، قال احد هؤلاء البحارة : "قادونا الى القائد العماني ... حيث شاهدنا رجلين جالسين .. سألانا عن جنسياتنا ، فاجبنا : اننا من هولندا واننا نخدم الوكالة ... ثم سالانا عن كيفية معاملتنا في جزيرة لارك ، واجبته : انها كانت حسنة ، واننا مدينون لهم بالشكر ، وانني سوف ابلغ قائدنا بحقيقة الامر . ثم سالني عن سبب قدومنا الى لارك ، فاجبته : اننا جئنا لشراء الغنم ، واننا لم نكن نعلم بالحرب الدائرة بينهم وبين الفرس ... ثم سمح لنا بالمغادرة ، فوقفنا وشكرناه على المعاملة اللطيفة التي عاملنا بها .." [٥٥٣].

---

[1]Lockhart , The Fall , p403.

[2]Ibid , p404; ب.ج. سلوت ، الهولنديون في الخليج ، ص١٠١-١٠٢ .

[٥٥١] سلوت ، الهولنديون في الخليج ، ص١٠٢ .

[٥٥٢] سلوت ، عرب الخليج ، ص٢٣٨ ؛ احمد جلال التدمري ، المصدر السابق ، ص٧٥ .

[٥٥٣] سلوت ، عرب الخليج ، ص٢٣٨-٢٣٩ . .

وكبادرة على حسن النوايا ، بعث شيخ القواسم (رحمة بن مطر) الى المعتمد الهولندي، رسالة بتاريخ ٢١ – اذار – ١٧١٨ ، يعرب فيها عن مشاعر الود والصداقة ، والاعتزاز بالعلاقات الودية بينه وبين الهولنديين ، كما قدم اعتذاره عن مصادرة البحارة القواسم سفينة أجنبية وكان على متنها ثلاثة اشخاص ، أتضح فيما بعد ان المركب هولندي وانه اطلق سراحه وسراح الاشخاص الثلاثة [٥٥٤].وبالمقابل كان رد المعتمد الهولندي مفعما بعبارات الود والشكر لاطلاق سراح المركب والأشخاص الثلاثة[٥٥٥].

ظل الهولنديون متمسكين بموقفهم المحايد في الصراع العماني ، الفارسي ، الا ان تدهور نفوذهم في الخليج العربي في القرن الثامن عشر ، اثر النكسات المتوالية التي شهدتها تجارتهم في فارس ، دفعهم من جديد لمحاولة كسب النفوذ فيها ، عن طريق تقديم مساعدات بحرية لنادر شاه عام ١٧٣٧[٥٥٦].

موقف الهولنديين من الغزو الفارسي لعمان :

في فترة الغزو الفارسي لعمان ما بين عامي (١٧٣٧و١٧٣٨) [٥٥٧]. طلب الفرس من وكلاء الشركتين الانكليزية والهولندية الحصول على سفن حربية وعلى المعدات اللازمة ، مثل الحبال والمراسي والاشرعة ، وعلى النجارين الاوربيين المهرة .

وفي ربيع عام ١٧٣٧ ، أعارت شركة الهند الشرقية الهولندية الفرس سفينتين ، هما : (انطونيا) و (هايز دي فورست) ، لنقل الجنود والمؤن والمعدات الى جلفار وخورفكان ، دون التدخل في القتال [٥٥٨]. ثم عاود الفرس ، مطلع عام ١٧٣٨، الطلب لاستخدام السفينتين (انطونيا) و (هايز دي فورست) الا ان الهولنديين ابلغوا تقي خان قائد الاسطول الفارسي وجوب مغادرة السفنية الكبيرة الى باتافيا ، وان بامكانهم استخدام (انطوينا) لنقل مائة حصان .

---

[٥٥٤] احمد جلال التدمري ، المصدر السابق ، ص٧٥ .

[٥٥٥] المصدر نفسه ، ص٧٥ ؛ سلوت ، عرب الخليج ، ص٢٣٩ .

[٥٥٦] غانم رميض العجيلي ، قيام سلالة اليعاربة ، ص١٠٠ .

[٥٥٧] حول تفاصيل حملات نادر شاه على سواحل عمان . ينظر : صالح العابد ، دور القواسم ، ص٤٥–٤٨ .

[٥٥٨] سلوت ، عرب الخليج ، ص٢٩٢ .

ويبدو ان الضغوط الفارسية على الهولنديين في هذه المرحلة بلغت درجة ، توقع معها الهولنديون انهم سيتعرضون الى هجوم فارسي ، مما دفعهم الى وضع وكالتهم وسفنها في حالة دفاع ، اذا ما اظهر الفرس ، نوايا سيئة (٥٥٩).

ويعلق اسلوت على حراجة الموقف الذي واجهه الهولنديون بقوله : "وقد بلغ الامر من التدهور درجة ان الهولنديين باتوا مستعدين ، لمغادرة بلاد فارس كليا"(٥٦٠).ويبدو ان الهولنديين قد اذعنوا اخيرا للطلب الفارسي ، ووافقوا على تقديم مراكب صغيرة من النوع المحلي لنقل بعض الجنود والمؤن الى جلفار (٥٦١).

وفي عام ١٧٤٠ ، ادى الهولنديون دورا بارزا بتقديمهم العون للفرس ، لاخماد تمرد البحارة العرب ، الذين اخذوا الاسطول الفارسي الى خورفكان ، وكادت حركة التمرد هذه تنجح لولا انقسام العرب فيما بينهم الامر الذي سمح لقوات نادر شاه بقمعها واخمادها(٥٦٢).

وشهدت سنة ١٧٤١ ، طلب امام وردي خان من الوكيل الهولندي اقراضه سفينتين للقيام بحملة اخرى ضد العرب الثائرين ، وعندما رفض الوكيل الهولندي الطلب ، قام السردار بالاستيلاء على السفينتين وارسال ربابنتها الى الساحل ، وابحر للهجوم على العرب في جزيرة قيس، وانزل خمسمائة رجل فيها ، لكن سرعان ما ظهرت السفن العربية ، ودارت بين الطرفين اشتباكات عنيفة ، قتل فيها السردار ، وانتهت المعركة لصالح العرب (٥٦٣).

في هذه المرحلة واجهت فارس، وضعا داخليا مضطربا ، تمثل بحركة تمرد وعصيان ، ففي عام ١٧٤٣ واجه نادر شاه تمرد قائده تقي خان الشيرازي قائد الاسطول الفارسي وحاكم شيراز ، وتمكن نادر شاه بمساندة المدفعية الهولندية ، من محاصرة المدينة اربعة اشهر والقضاء على التمرد (٥٦٤).

---

(٥٥٩)سلوت ، عرب الخليج ، ص٢٩٣ .

(٥٦٠) المصدر نفسه ، ص٢٩٣ .

(٥٦١) نادية العبودي ، المصدر السابق ، ص٧٩ ؛ هيفاء الربيعي ، المصدر السابق ، ص١١٠ .

(4)Bathurst , op, cit., p303 :

حول تمرد البحارة العرب ينظر: صالح العابد،دور القواسم،ص٥٧-٦٠؛ Lockhart Nadir Shah , p.212.

(5) Lock hart , op. cit. p. 212; صالح العابد ، دور القواسم ، ص٥٩-٦٠ .

(٥٦٤) نادية العبودي ، المصدر السابق ، ص٨٥ .

وبحلول منتصف القرن الثامن عشر ما عاد للهولنديين علاقات تذكر مع عمان فمع انهيار حكم سلالة اليعاربة في اواخر العقد الخامس من القرن ، كان نجم الهولنديين في الخليج العربي يقترب من الافول ، وانتهى بسقوط اخر معاقلهم في جزيرة (خرج) سنة ١٧٦٦ ، على ايدي عرب بندريق بقيادة مير مهنا [٥٦٥].

العلاقات مع شركة الهند الشرقية الفرنسية :

شركة الهند الشرقية الفرنسية والخليج العربي :

تاخر دخول فرنسا ميدان المتاجرة مع الهند واسيا ، بالمقارنة مع انكلترا وهولندا ، لكنها نجحت عام ١٦٢٧ بقيادة الراهب بيير باسيفيك في ايجاد صلة مع فارس عن طريق انشاء بعثة تبشيرية في اصفهان عن طريق الرهبان الكابوشيين [٥٦٦].

وخطت فرنسا سنة ١٦٦٤ ،خطوة اكثر جدية بمبادرة من وزير المالية كولبير Colbert[٥٦٧].في تاسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية Companie Francaise Des Orientales من اجل تطوير التجارة مع الهند وبلدان الشرق [٥٦٨]. ففي العام نفسه ارسلت الشركة مبعوثين عنها الى البلاط الفارسي ، حيث استقبلهم الشاه عباس الثاني بترحيب بالغ ، واعفى الشركة من الرسوم والضرائب مدة ثلاثة اعوام ، ومنحها حقوق التجارة نفسها التي منحت من قبل للإنكليز والهولنديين . ولاحقا فتحت الشركة الفرنسية وكالة لها في بندر عباس [٥٦٩].

---

[٥٦٥] قبل خروجهم من بندر عباس عام ١٧٥٩، اقام الهولنديون مركزاً تجارياً في البصرة ، ونجح رئيس البعثة الهولندية في البصرة كنيفاوزن Kniphausen ، باحتلال جزيرة خرج ١٧٥٣، الا ان نزاعاً نشب بينه وبين مير مهنا حاكم بندريق الذي طالبه بدفع ايجار لقاء احتلال الهولنديين للجزيرة، وبعد قتال دام سنوات، تمكن ميرمهنا آل صعب من طرد الهولنديين نهائيا من الجزيرة بعد مقتل سبعين هولنديا ومائتي فارسي ، للتفاصيل ينظر: صالح العابد ، دور القواسم، ص٣١ ، ارنولد ويلسون، تاريخ الخليج ، ص١٥٢؛ علي ابا حسين ، تعليق على بحث ، ص١٣٤ .

[2]Jcottvell Alvin , the ….. Gulf states , London ,1980 . p. 12-13.

[٥٦٧] هو جان باتيست كولبير (١٦١٩-١٦٨٣) كبير وزراء لويس الرابع عشر ، اعاد تنتظم مالية الدولة ، واصلح نظام الضرائب. للتفاصيل: مروان بحيري ، التغيرات في المفاهيم الاستعمارية الفرنسية من العالم الجديد الى مصر والجزائر ، مجلة شؤون عربية ، العدد ، ١٢ ، ١٩٨٢ ، ص١٢ .

[٥٦٨] صالح العابد ، موقف بريطانيا ، ص٣٥ .

[5]Sir Percy Sykes , History of Persia, Vol. 2 , London , 1969 , p.195; Jcottvel ,op. cit., p13 .

وللاشارة الى وضع الفرنسيين ووجودهم في الخليج العربي ، يذكر الاب دي كارون De Caron ، الذي وصل الى سورات في عام ١٦٧٠ ، ويقول : "نحن الفرنسيون تشكلنا وتوطدنا مسبقا في المياه الهندية ، لكن الامر في الخليج العربي لم يتم بعد"[٥٧٠].

لكن مركز الفرنسيين في بندر عباس ، اغلق سنة ١٦٧٣ ، نتيجة تاخر وصول الهدايا التي وعدوا الشاه بها ، فبادروا بارسال بعثة محملة بالهدايا الثمينة من سورات ، مما سمح للشركة بمواصلة تجارتها ، لكن من غير امتيازات [٥٧١].

وعلى الرغم من ذلك، لم يحرز الفرنسيون الا مكاسب ضئيلة ، وعلى حد قول شاردان Chardin: "ان الفرنسيين ليس لديهم ما يعملونه في ميناء بندر عباس، كما هو حالهم في اماكن اخرى"[٥٧٢].

ويمكن القول ان المصالح الفرنسية في فارس تركت بايدي البعثات التبشيرية نتيجة المقاومة النشطة للانكليز والهولنديين ، فضلا عما تورطت به فرنسا من حروب في اوربا خلال السنوات الاخيرة من القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر [٥٧٣]. مما قلل مردود تجارتها في الخليج العربي [٥٧٤].

ففي سنة ١٦٧٣ ، كتب الاب جيروم Fr Jerom في البصرة ان . "الفلاندريين من هولندا كانوا اقوياء جدا ، وكانوا باعداد كبيرة ، ... وانهم استولوا على سبعة سفن فرنسية .." [٥٧٥]. لكن بتوقيع معاهدة ريسويك Ryswich[٥٧٦] في ٢١ ايلول عام ١٦٩٧ ، والتي

---

[6]Chronicle of Carmiltes , Vol. 1, p. 425.

[٥٧١] صالح العابد ، موقف بريطانيا ، ص٣٦-٣٧ .

[٥٧٢] مقتبس في فتحية النبراوي ومحمد نصر مهنا ، الخليج العربي دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية، الاسكندرية ، بلا ت ، ص١٤٤ .

[٥٧٣] خاضت فرنسا في عهد لويس الرابع عشر سلسلة حروب فاشلة في القارة الاوربية ، وقبل وفاته كانت فرنسا قد وصلت الى حافة الافلاس ، واشهر هذه الحروب : حرب الاراضي المنخفضة الاسبانية١٦٦٧ ، وحرب الاراضي المنخفضة البروتستانية (هولندا) ١٦٧٢ ، وحرب البلاتينات او عصبة اوكسبرك ، واخيراً حرب الوراثة الاسبانية . ينظر : علي حيدر سليمان ، المصدر السابق ، ص١٣٠-١٣٢ .

[٥٧٤] صالح العابد ، موقف بريطانيا ، ص٣٧ .

[5]A Chronicle of Carmilites, p. 426.

[٥٧٦] ريسويك قرية في هولندا ، تم فيها التوقيع على معاهدة بين فرنسا من جهة وبين اسبانيا وانكلترا وهولندا والامبراطورية الرومانية المقدسة ، وبمقتضاها اعترفت تلك الدول بامتلاك فرنسا لمدينة ستراسبورك وبلاد

عقدت بين لويس الرابع عشر(١٦٤٣-١٧١٥) وعصبة اوكسبرك ، منحت فرنسا فرصة الاستقرار وتركيز انتباهها نحو تجارتها في الشرق ، فاستعادت بوند شيري[٥٧٧]. من هولندا ، وبذلك قوي مركزها في الهند فعادت تحاول تعزيز مكانتها في فارس[٥٧٨].

العلاقات اليعربية ، الفرنسية :-

وجهت فرنسا اهتمامها نحو مسقط ، منذ وقت مبكر من تاسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية ، ففي عام ١٦٦٧ ، ارسل كولبير مبعوثين الى فارس ، احدهم دي لالين De Lalain ، ليدافع عن فكرة احتلال مسقط ، واتخاذها قاعدة بحرية [٥٧٩].

ويذكر باثرست ، ان مضايقة الهولنديين للتجارة الفرنسية في الخليج العربي ، بين عامي ١٦٦٥و١٦٧١، اوضحت اهمية هذه القاعدة ، وان التحالف الانكلو-هولندي في اوربا ، والعلاقة الودية بين العمانيين والهولنديين ، قد دفعت الفرنسيين بشكل لا مفر منه ، نحو الفرس، للحصول على امتيازات خاصة ، مقابل وقف التهديدات العمانية التي تصاعدت بعد نمو البحرية اليعربية [٥٨٠].

وبعد عدة هجمات عمانية على الموانئ والسفن الفارسية ، وفشل الشاه في الحصول على دعم انكلترا وهولندا ضد عرب عمان قررت الحكومة الفارسية في اب عام ١٦٩٩ ،التوجه شطر فرنسا طلبا للمساعدة .

وفي هذا الوقت نفسه، قام البابا انوسنت الثاني عشر Innocent VII بارسال مبعوث الى اصفهان، لحل المنازعات الدينية بين الارمن والكاثوليك ، وانتهز البلاط الفارسي هذه الفرصة ليكشف للمبعوث الفرنسي عن قلق فارس من قوة اليعاربة المتنامية ، وطلب مساعدة فرنسا العسكرية للاستيلاء على مسقط ، مقابل دفع الشاه نصف عوائد مسقط ، فضلا عن تمتعها بحرية التجارة في فارس، و اعفائها من الرسوم الكمركية في الموانئ الفارسية كلها[٥٨١]. وقبل ان تغادر

الالزاس . انظر : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٧ ، ص١٤١.

[٥٧٧] سقطت بوند شيري بيد الهولنديين في ١٦ ايلول عام ١٦٩٣ ، مما وجه ضربة قاسية لمركز الشركة الفرنسية على طول ساحل كورماندل ، لذا بادرت حال استعادتها لهذه المقاطعة، الى تحصينها بدرجة كبيرة، لمواجهة احتمالات المستقبل. للتفاصيل ينظر : صالح العابد ، موقف بريطانيا ، ص٣٨ .

[٥٧٨]المصدر نفسه ، ص٣٨.

[3]Ian Skeet , Muscat and Oman p. 40 .

[4]Bathurst , op, cit., p. 192.

[٥٨١] محمد العزاوي ، المصدر السابق ، ص٥٣ .

البعثة اصفهان الى الهند ، انضم اليها الاب كوديرو Gaudereau Abb الذي كان يقيم في فارس منذ عام ١٦٩٠ ، وسلمه معتمد الدولة محمد مؤتمن مذكرة لينقلها الى ادارة الشركة الفرنسية في سورات [٥٨٢].

وبالفعل سلمت هذه المقترحات الى جيروم دي بونتشارتران Jerom de Poutchartrain قائد التجارة الفرنسية في سورات ، وارسل بيلافوان Pilavoine مسؤول الشركة في سورات بهذا الطلب الى حكومته مبينا ان اليعاربة اظهروا نوايا طيبة تجاه فرنسا، وانهم يرتبطون بعلاقات طيبة مع الشركة ،وأكد عدم موافقته على هذا المشروع ، وشكوكه في امكانية نجاحه .

كما اوضح ان هذا المشروع يتطلب قوة كبيرة ونفقات باهضة ، مقابل الشكوك في الفوائد التي يمكن لفرنسا ان تحصل عليها في حال نجاح المهمة ، لذلك لم تجازف الحكومة الفرنسية بتلبية طلب الفرس [٥٨٣].

كانت الفكرة التي كونها الفرنسيون عن مسقط واضحة ، لدى الاب روفائيل دي مان Pere Raphael du mans ، المبشر الفرنسي الشهير ، الذي مكث في اصفهان مدة ستة وعشرين عاما ، وقدر له البقاء هناك حتى وفاته عام ١٦٩٦ ، فقد ابلغ كولبير سنة ١٦٧٠ ، ما كان يعانيه البرتغاليون من مضايقات يثيرها اليعاربة ، الذين نجحوا بفضل السفن التي غنموها في مختلف معاركهم البحرية في الحد من قدرات البرتغاليين في البحار الشرقية [٥٨٤].

وفي عام ١٧٠١ ، وصل جان بيلو Jean Billon الى اصفهان ، قادما من الاستانة حيث استقبله الشاه ، مؤكدا رغبته في اقامة علاقات سياسية مع فرنسا ، وعاد بيلو الى باريس في العام التالي ، حاملا رسالة من الشاه الصفوي سلطان حسين الى الملك لويس الرابع عشر ، وتضمنت الرسالة طلب الشاه ، اقامة علاقات صداقة بين الدولتين وارسال سفير فرنسي الى البلاط الفارسي ، مؤكدا ان التجار الفرنسيين سيتمتعون بحمايته ، وان فارس ستمنح فرنسا امتيازات كثيرة ، مقابل ارسال الاخيرة سفينتين حربيتين لحماية سواحل فارس من هجمات اليعاربة [٥٨٥].

وجدد الشاه عروضه للفرنسيين سنة ١٧٠٣ ، فبعث خطابا اخر الى الملك لويس الرابع عشر اعرب فيه عن رغبته في انشاء علاقات دبلوماسية بين الدولتين على مستوى السفراء ، وفي

---

[٥٨٢] لورنس لوكهارت ، التهديد العماني ونتائجه أواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر ، تر: علاء الدين احمد ، مجلة الخليج العربي ، العدد ١٠ ، ١٩٧٨ ، ص٩٠-٩١ ؛ Bathurst op, cit. p. 213 .

[٥٨٣] محمد العزاوي ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

[٥٨٤] لورنس لوكهارت ، المصدر السابق ، ص٩١ .

[٥٨٥] محمد العزاوي ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

العام التالي اراد الشاه ان يرسل وفدا الى فرنسا برئاسة ميرزا احمد حاكم استراباد، وعندما علم مندوبا الشركتين الانكليزية والهولندية بالامر ، حاولا اعاقة سفر الوفد ، حتى انهما دفعها الرشاوي لميرزا احمد ليوقف سفر الوفد[٥٨٦]. ونشط الانكليز والهولنديون للايقاع بين فارس وفرنسا ، فذكروا فارس بان فرنسا لم تبعث وفداً لتقديم التهنئة لمناسبة جلوس الشاه سلطان حسين على العرش ، فلا ينبغي في المقابل ان يبعث الشاه وفدا الى البلاط الفرنسي [٥٨٧].

ولم يتاخر الفرنسيون كثيرا في احباط المساعي الانكلو–هولندية ، فقرر الملك لويس الرابع عشر ارسال جان باتيست فابرJean Baptiste Fabre مبعوثا له الى شاه فارس .وبالفعل غادر فابر مرسيليا في اذار عام ١٧٠٥ متوجها الى فارس [٥٨٨].

ولكي يظهر المبعوث عظمة الملك الفرنسي، اصطحب معه حاشية كبيرة مكونة من خمسين رجلا ، فضلا عن هدايا ثمينة للشاه ، وقد تضمنت تعليماته الطلب من الشاه ، الامتيازات نفسها التي يتمتع بها الانكليز والهولنديون في فارس وقد وصل فابر الى حلب في نيسان من العام نفسه ، لكنه لم يكمل رحلته الى فارس ، اذ مات مسموما في اريفان Erivon ، ويعتقد ان الانكليز والهولنديين مسؤولون عن موته ، لعرقلة الاتفاقية [٥٨٩] .

وتواصلت العروض الفارسية ، لاقناع فرنسا بمساندتها في الهجوم على مسقط ، ففي عام ١٧٠٧ قدم جان بيلو مذكرة الى الملك ، ذكر فيها ان الوزير الفارسي الاول كلفه بان يقترح على الملك ارسال اربع سفن حربية ومنجنيقين للاستيلاء على مسقط ، كما تضمن الاقتراح تكفل السلطات الفارسية بتسديد نفقات الحملة ، على ان يبقى حصن المدينة تحت سلطة الشاه ، مقابل حصول ملك فرنسا على نصف عوائد الميناء [٥٩٠].

ويبدو ان الحكومة الفرنسية ظلت مترددة ، في اتخاذ قرار بمساندة فارس ضد مسقط ، رغم العروض المغرية التي قدمها الفرس ، وربما كان ترددها يعود لخطورة مثل هذا القرار ، واحتمال ان الانكليز والهولنديين لن يبقوا صامتين ازاء المساعدة الفرنسية لفارس ، فربما يمدون يد العون للعرب ، لكسر شوكة الفرنسيين ، وضرب مصالحهم في المنطقة ، طالما رفضوا هم مساعدة الفرس .

---

[٥٨٦] مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ، ص٢٤٩ .

[٥٨٧] المصدر نفسه ، ص٢٤٩ .

[٥٨٨] محمد العزاوي ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

[٥٨٩] المصدر نفسه ، ص٥٥ .

[٥٩٠] المصدر نفسه .

ورغم المكائد الهولندية والانكليزية ، بدأ الفرس والفرنسيون مفاوضات جديدة ، لعقد معاهدة بينهما ، وقام المبعوث الفرنسي بيير فكتور ميشيل Pierre Victor Michel عام ١٧٠٨ بالتوقيع عليها في اصفهان ، لكن فرنسا تاخرت في الاستفادة من الترتيبات التجارية التي وفرتها ، وعلى الرغم من انها لم تحو اية اشارة بشأن مساعدة عسكرية فرنسية ضد مسقط ، سارع الفرس الى المصادقة عليها [٥٩١].

ومن شروط معاهدة الصداقة هذه، التي وقعت في ١٥ ايلول عام ١٧٠٨ : موافقة فارس على ان يدفع الفرنسيون رسوما كمركية لاتزيد على (٣%) بشرط ان لا تزيد صادرات الفرنسيين على مبلغ(٢١) الف تومان سنويا ، ومنح القنصل الفرنسي حق فض المنازعات بين رعاياه ، وحق ممارسة الشعائر الدينية المسيحية الكاثوليكية [٥٩٢].

ومرة اخرى لم يحقق الفرس هدفهم ، فعدم تطرق المعاهدة الى حلف عسكري لاحتلال مسقط ، دعاهم مرة اخرى للطلب من الانكليز والهولنديين المساعدة ، لكن الطلب رفض ، مما دعى الى ان يكتب الشاه الى المبعوث الفرنسي ميشيل قائلا : "اذا اردتم عدم دفع أي ضريبة ، فهل تتعهدون بحماية سواحلنا البحرية ضد الاعداء ؟ ، سنطرد الانكليز والهولنديين والبرتغاليين من بلدنا ، وستمارسون لوحدكم التجارة"[٥٩٣].

لم يصغ الفرنسيون للمطالب الفارسية ، فهذه المرحلة شهدت نحو القوة البحرية اليعربية التي وصلت اوج ازدهارها وعظمتها في عهد الامام سيف بن سلطان (١٦٩٢-١٧١١) واصبح الاسطول العماني مهابا في المياه الشرقية .

ولتأكيد اهمية ما يمكن ان يحصل عليه الفرنسيون في الحملة على مسقط ، قدمت مذكرة الى الحكومة الفرنسية ، جاء فيها :"تتمتع مدينة مسقط بموقع جغرافي بالغ الاهمية ، يتيح لها السيطرة على الخليج العربي ، وهذا ما يفسره قوة سكانها ، الذين يتمكنون بما يناهز الثلاثين سفينة من الاستيلاء على غنائم ضخمة ، يسلبونها من عدة دول ، باستثناء فرنسا وهولندا . وتعد بلاد فارس ، التي تفتقر الى وسائل دفاعية بحرية، اكثر الدول تأثرا بهذه الاوضاع ، وهي تود ان تقنع فرنسا بمساعدتها في الاستيلاء على مسقط . وستحصل فرنسا باستيلائها على هذا الميناء على امتيازات كبيرة للتجارة في الخليج العربي" [٥٩٤].

---

[1] Lockhart , The Fall , p. 400; Bathurst , op. cit. p. 213 .

[٥٩٢] مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ، ص٢٤٩؛ صالح العابد ، موقف بريطانيا ، ص٣٨ .

[٥٩٣] هيفاء الربيعي ، المصدر السابق ، ص١٠١ .

[٥٩٤] مقتبس في محمد العزاوي ، المصدر السابق ، ص٥٦ .

ونتيجة لانشغال فرنسا، بحرب الوراثة الاسبانية ، لم تعلن عن معاهدة عام ١٧٠٨ مع الفرس ، الا في عام ١٧١١ . وحالما اذيعت بنودها ، مارس الانكليز والهولنديون ضغوطا شتى على الشاه سلطان حسين، لالغاء الامتيازات التي منحت للشركة الفرنسية ، كما استاء رجال الدين البروتستانت من محاولات الفرنسيين نشر الكثلكة في اوساط الجاليات المسيحية في فارس، ولكن يبدو ان يأس الحكومة الفارسية من الحصول على دعم انكليزي – هولندي ضد العمانيين ، حال دون تحقيق ذلك[٥٩٥].

تعرضت العلاقة الهولندية – الفارسية لهزات عديدة ، بعد محاولة الشاه التقرب من الانكليز ، مما دفعهم الى احتلال جزيرة قشم ، وتدمير ميناء بندر عباس ، وعندما ازدادت اعتداءات الهولنديين ، قرر الشاه ارسال مبعوث الى البلاط الفرنسي في اذار عام ١٧١٤ ، هو محمد رضا بيك ، الذي وصل باريس في شباط عام ١٧١٥ ، واستقبله الملك لويس الرابع عشر في قصر فيرساي ، حيث بدات مفاوضات مع وزراء الملك لرسم معاهدة تكميلية بشأن التجارة والامتيازات الاخرى [٥٩٦].

وقام السفير الفارسي بلفت انتباه الحكومة الفرنسية الى انه تلقى وعدا شفهيا ، قدمه ميشيل سنة ١٧٠٨ ، بارسال سفن للمساعدة في مهاجمة مسقط ، و لحماية الموانئ والسفن الفارسية[٥٩٧] . وتضمن العرض الفارسي الجديد امتيازات اخرى ، منها : اقتسام الطرفين صيد اللؤلؤ في البحرين ، واشتراك الفرس بثلاثين الف مقاتل لغزو مسقط ، على ان يقتسم الطرفان نفقات الحملة وعائداتها مناصفةً، وبموجب هذا الاتفاق يقتسم الطرفان حصون مسقط ، على ان تكون حصة الفرنسيين قلعتي الجلالي والميراني[٥٩٨].

لم يكن الفرنسيون في ذلك الوقت راغبين في اعطاء تعهد ملزم ، سوى تأكيدهم ، على الفوائد الاخرى التي سيحصلون عليها من تحالفهم مع فارس ، ولكن رغم مماطلة الفرنسيين، تم التوقيع على المعاهدة في الثالث عشر من اب عام ١٧١٥ ، غادر بعدها ، السفير الفارسي باريس [٥٩٩].

---

[٥٩٥] مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ، ص٢٥١ .

[2]Bathurst , op, cit. p. 215.

[3]Ibid , p.215 .

[4]Ian Skeet , op. cit. p. 40 ; محمد العزاوي ، المصدر السابق ، ص٥٧ .

[5]Bathurst , op, cit. p. 215.

حققت فرنسا نظريا في هذه المعاهدة نصراً كبيراً اذ اعفيت تجارتها في فارس من دفع الرسوم الكمركية اعفاء تاما مع عدم تحديد حجم بضائعها المتبادلة ، وتم الاتفاق على تبادل القناصل بين الدولتين وان تكون فرنسا من الامم الاكثر تفضيلاً [٦٠٠].

ولاحقا قررت الحكومة الفرنسية عودة الكابتن البحري الفرنسي جيرالدين Geraldin الى فارس سفيرا لها في البلاط الفارسي ، على ان يقوم بتحديد احتياجات فارس البحرية . لكن وفاة لويس الرابع عشر ادت الى توقف هذا المشروع[٦٠١].

وبالمقابل خابت امال الفرس جراء فشلهم في الحصول على دعم فرنسي ضد عمان ، وانتحر محمد رضابك في اريفان ، اذا اعتقد انه تجاوز صلاحياته ، ولم ينفذ التعليمات التي كلف بها بدقة[٦٠٢]. ولم تصادق الحكومة الفارسية على هذه المعاهدة[٦٠٣].

وباعتلاء لويس الخامس عشر (١٧١٥-١٧٧٤) العرش ، قررت فرنسا استئناف المفاوضات مع الحكومة الفارسية ، فارسلت انجي دي كاردان Ange de Gardan في اذار عام ١٧١٦ بصفته قنصلاً عاماً لفرنسا في فارس ، لاقناعها بتصديق معاهدة عام ١٧١٥ ، فوصل قزوين عام ١٧١٨ . لكن كاردان لم ينجح في مسعاه بسبب المخاوف التي انتابت الفرس اثر استيلاء العمانيين على البحرين وجزيرتي لارك وقشم ، وفرضهم حصاراً شديداً على قلعة هرمز، مما هدد المصالح الفارسية في مصائد اللؤلؤ [٦٠٤].

لهذا السبب ابلغ الفرس السفير الفرنسي ان المعاهدة لن يتم التصديق عليها ، الا بعد وصول السفن الفرنسية، وفي هذه الاثناء وصل من باريس اتنييه بادري Etienne Padery ، بصفته قنصلا فرنسيا في شيراز عام ١٧٢٠ ، وفورا بدأ بادري مفاوضات مع فتح علي خان معتمد الدولة [٦٠٥].

حصل باردي على صلاحية عقد حلف عسكري مع فارس ،واضافة بند اخر الى الامتيازات السابقة ، وهو ان يكون ميناء مسقط قاعدة للبحرية الفرنسية ، التي سيكون لها الحق في ان تتخذ

---

[٦٠٠] محمد العزاوي ، المصدر السابق ، ص٥٨ .

[2] Bathurst , op, cit. p. 216.

[٦٠٢] محمد العزاوي ، المصدر السابق ، ص٥٨ .

[٦٠٣] مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ، ص٢٥٢ .

[٦٠٤] محمد العزاوي ، المصدر السابق ، ص٥٨ .

[6] Bathurst , op. cit. p. 218-219 .

فيه تدابير كتلك التي اتخذتها في الموانئ التي تحت اداراتها ، كما فوض بتقديم خمس اوست سفن حربية تحمل ما بين خمسين وستين مدفعا لهذه الحملة [٦٠٦].

وفي الوقت الذي دعم فيه باردي ، اقامة حلف مع فارس ، عارض القنصل الفرنسي في اصفهان كاردان تجهيز حملة ضد مسقط ، اذ كتب الى الحكومة مؤكدا على خطورة مشروع الحملة على مسقط ، فالوصول اليها من جهة البحر صعب جدا ، وذلك بفضل تحصيناتها القوية، فضلاً عن ان هذه المدينة كثيرة السكان ، وكذلك سائر البلد ، منبها الى فشل حملة نائب الملك في كوا ، الذي ارسل اربع سفن لمهاجمة مسقط بمساعدة الفرس ، وادت المقاومة التي ابداها العمانيون الى اجبار المهاجمين على التراجع . واضاف كاردان : "ان اهل مسقط يملكون عشر سفن كبيرة ، يستطيعون تسليح ست منها في الوقت نفسه ، وعندهم حوالي اربع سفن تحمل خمسين مدفعا ، وانهم يتاجرون مع الهند والبحر الاحمر ، وهؤلاء العرب لا يطاردون الامم الاخرى التي تحاول ان تعيش في سلام معهم بهدف التجارة"[٦٠٧].

اما بادري قنصل فرنسا في شيراز فقد دافع عن وجهة نظره وكتب الى حكومته بهذا الخصوص قائلا : "ان مسقط مهمة جدا ، وسيكون بامكاننا الاستيلاء عليها من غير نفقات ، وسوف نصبح سادة الخليج العربي بعد سيطرتنا على حصونها البحرية ، وستكون تجارة فارس تحت سيطرتنا ، بعد طرد الدول الاخرى المستفيدة من هذه التجارة "[٦٠٨] .

وظل بادري يسعى جاهدا لافشال أي اتفاق فارسي برتغالي بشان مسألة غزو مسقط ، واقنع اعتماد الدولة الجديد محمد قلي خان بعدم جدوى مثل هذا الاتفاق ، للنفقات الكبيرة التي يطلبها البرتغاليون لقاء هكذا حملة . ويبدو ان العمانيين لم يكونوا على علم بالمساعي الفرنسية–الفارسية ، ففي هذا الوقت كانت عمان تواجه حربا اهلية مريرة ، اضعفت البلاد كثيرا[٦٠٩].

وفي تقرير آخر بعثه الى باريس ، ذكر كاردان ، انه علم بوعود قدمها بادري للفرس ثانية ، لتجهيز كل من السفن الملكية وسفن الشركة ، واعدادها لمهاجمة مسقط ، واضاف انه يخشى من العرب ان يعمدوا للانتقام بمهاجمة السفن الفرنسية ، اذا علموا بالامر [٦١٠].

---

[1] Bathurst , op. cit., p218 .

[٦٠٧] مقتبس في محمد العزاوي ، المصدر السابق ، ص٥٩-٦٠ .

[٦٠٨] المصدر نفسه ، ص٦٠ .

[٦٠٩] حول تفاصيل الحرب الاهلية ، انظر ص (٤١) من الاطروحة .

[٦١٠] لورنس لوكهارت ، التهديد العماني ، ص٩٧ .

والواضح ان صمت الحكومة الفرنسية عن اعطاء الفرس جوابا قاطعا بالقبول او النفي ، دفع بادري للتمادي في وعوده وتعهداته ، فقد اكد لمحمد قلي خان ان بلاده ستجهز ما بين عشر واثنتي عشرة سفينة حربية على ان يستعد الفرس لتجهيز الجيش اللازم لانجاز مهمة غزو مسقط، وان هذه السفن ستصل خلال ستة اشهر، ونتيجة لهذه الوعود ، وافق الشاه على التصديق على معاهدة عام ١٧١٥[٦١١].

وعلى الرغم من جهود بادري المتواصلة ، لم توافق الحكومة الفرنسية على اقامة حلف مع فارس ضد عمان ، وادت تحركات بادري الى استياء العمانيين ، فكتب يعرب بن بلعرب الوصي على الامام سيف بن سلطان الثاني – الذي كان عمره ١٤سنة في ذلك الحين ، الى كاردان في التاسع من مايس عام ١٧٢١، يخبره بانه علم بالمحادثات الفرنسية ، الفارسية للحصول على دعم الاسطول الفرنسي للاستيلاء على مسقط ،وان هذا الامر يتناقض مع العلاقة بين بلاده وفرنسا التي تتسم بالمودة وعدم الاعتداء ، ومضى قائلا :"اكاد اكون متأكدا ، وتشاركني في هذا الرأي امتي، من ان الفرنسيين سيحافظون باخلاص على السلام معنا ، وان ملك فرنسا ورعاياه، يرغبون في تقوية الصداقة مع الامم التي ترغب فيها "[٦١٢].

بادر كاردان الى اعلام حكومة بلاده ، بالنشاطات المريبة لبادري والتي ستعرض مصالح فرنسا الى الخطر ، فبادرت باريس على اثر ذلك بعزل بادري و سحبه من فارس ، وطلبت من كاردان الاتصال بامام عمان ، وان يؤكد له الثقة بصداقة فرنسا القديمة ، وان الفرنسيين حريصون على استمرار حالة السلام مع بلاده وان ملك فرنسا يرغب في تعزيز الصداقة مع الدول التي ليس في نيتها قطع العلاقات [٦١٣].

ويبدو ان موقف الحكومة الفرنسية كان متارجحاً ، في هذه المرحلة ، بين تحقيق مكاسب عسكرية واقتصادية كبيرة ، وبين التمسك بعلاقات ودية مع ابرز قوة عربية في المنطقة .

---

[٦١١] لورنس لوكهارت ، التهديد العماني ، ص٩٧ .

[٦١٢] مقتبس في محمد العزاوي ، المصدر السابق ، ص٦١ .

[٦١٣] المصدر نفسه ، ص٦١ .

وعلى اية حال ما عادت بلاد فارس بقادرة على مجرد التفكير بغزو مسقط وتبخرت امال الفرنسيين في الحصول على مكاسب فيها [٦١٤]. اذ تعرضت الى خطر كبير هدد مصيرها تمثل بالغزو والاحتلال الافغاني في تشرين الاول عام ١٧٢٢ ، لتدخل بلاد فارس مرحلة من الصراعات انتهت ببروز شخصية نادر شاه واعتلائه العرش سنة ١٧٣٦ ، لتبدأ صفحة جديدة في تاريخ البلاد .

الخاتمـــــة

استطاعت دولة اليعاربة ان توحد عمان بعد قرون من التجزئة والصراعات المريرة على السلطة ، تمكن على اثرها البرتغاليون من السيطرة على موانئ الساحل العماني قرابة اكثر من قرن من الزمن ، انطلقت على اثره ، صفحة جديدة من صفحات الكفاح الوطني المشرقة في تاريخ عمان الحديث ، نجح فيها ائمة اليعاربة من تحرير الساحل العماني ، سعت بعدها الدولة اليعربية ، الى اقامة علاقات خارجية متوازنة مع القوى الاخرى المتواجدة في المنطقة .

وبالمقابل نظرت القوى المحلية والاوربية الى اليعاربة ، على انهم قوة عربية ناشئة استطاعت ، بكل مقاييس البطولة ، رغم بساطة قوتها ، ان تكسر شوكة البرتغاليين اقوى دولة استعمارية ، طالما احتكرت طرق التجارة والملاحة الدولية ، طوال القرن السادس عشر وجانب كبير من القرن السابع عشر ، يساعدها في ذلك اسطولها الجبار ، المزود بالمدفعية الثقيلة . فحرصت تلك القوى على ايجاد علاقات ود واحترم مع اليعاربة ، بعد ان اصبح اسطولهم البحري ، يجوب الخليج العربي والمحيط الهندي ، بحثا عن سفن الاعداء والتصدي لها .

---

[٦١٤] استطاعت فرنسا ان تحقق امراً اكثر عملية ، باستيلائها على جزيرة موريشيوس ، التي اسمتها ايل دي فرانس Ale de France سنة ١٧١٥ ، ويعود الفضل في تاسيسها الى لابوردرين La Baurdonais (١٦٩٩-١٧٥٣) ، الذي عين حاكما عليها سنة ١٧٣٥ ، ونجح خلال عشر سنوات من حكمه لها ، ان يؤسس قاعدة استعمارية قوية ومزدهرة ، اذ انشا فيها صناعة للسفن وانشا عاصمة جديدة هي بورت لويس. حازت هذه الجزيرة اهمية كبرى بل عظمى في نظر فرنسا، وعدها الفرنسيون مفتاح المحيط الهندي ، لمزيد من التفاصيل يراجع :

صالح العابد ، موقف عمان من الصراع البريطاني – الفرنسي في الخليج والمحيط الهندي ، حتى ١٨١٠ ، مقالة في محاضرات الدورة التاسعة للمعهد الدبلوماسي العماني ، وزارة الخارجية ، سلطنة عمان ، ١٩٩٤، ص٣٧ ؛ Ian Skeet , op. cit., p. 41 .

لكن الامر لم يخل من سوء فهم طبع بعض هذه العلاقات ،سواء مع القوى المحلية ام الاوربية ، فوجود دولة قوية تبسط نفوذها على طول الساحل ومدن الداخل ، حرم كثيرا من القوى المحلية من امتيازات سابقة حصلت عليها ، وقت كانت عمان مجزاة ومقسمة ، مثل الجبور الذين خاضوا مع الامام ناصر حروبا ضارية ، لرفضهم الخضوع لسلطته ، وينطبق الامر كذلك على بني ياس ، الذين ساندوا اليعاربة في البدء لتحرير التراب العماني ، الا انهم سرعان ما ناصروا الجبور في تحديهم سلطة قادة الدولة الجديدة .

وكذلك كان حال القواسم ، الذين برز دورهم بمساندة الائمة اليعاربة في حروبهم ضد البرتغاليين والفرس ، الا انهم برزوا اكثر خلال سنوات الحرب الاهلية ، التي قسمت البلاد الى كتلتين متنافستين ،واعلنوا لاحقا ، بعد ضعف الدولة وانهيارها ، الاستقلال العام .

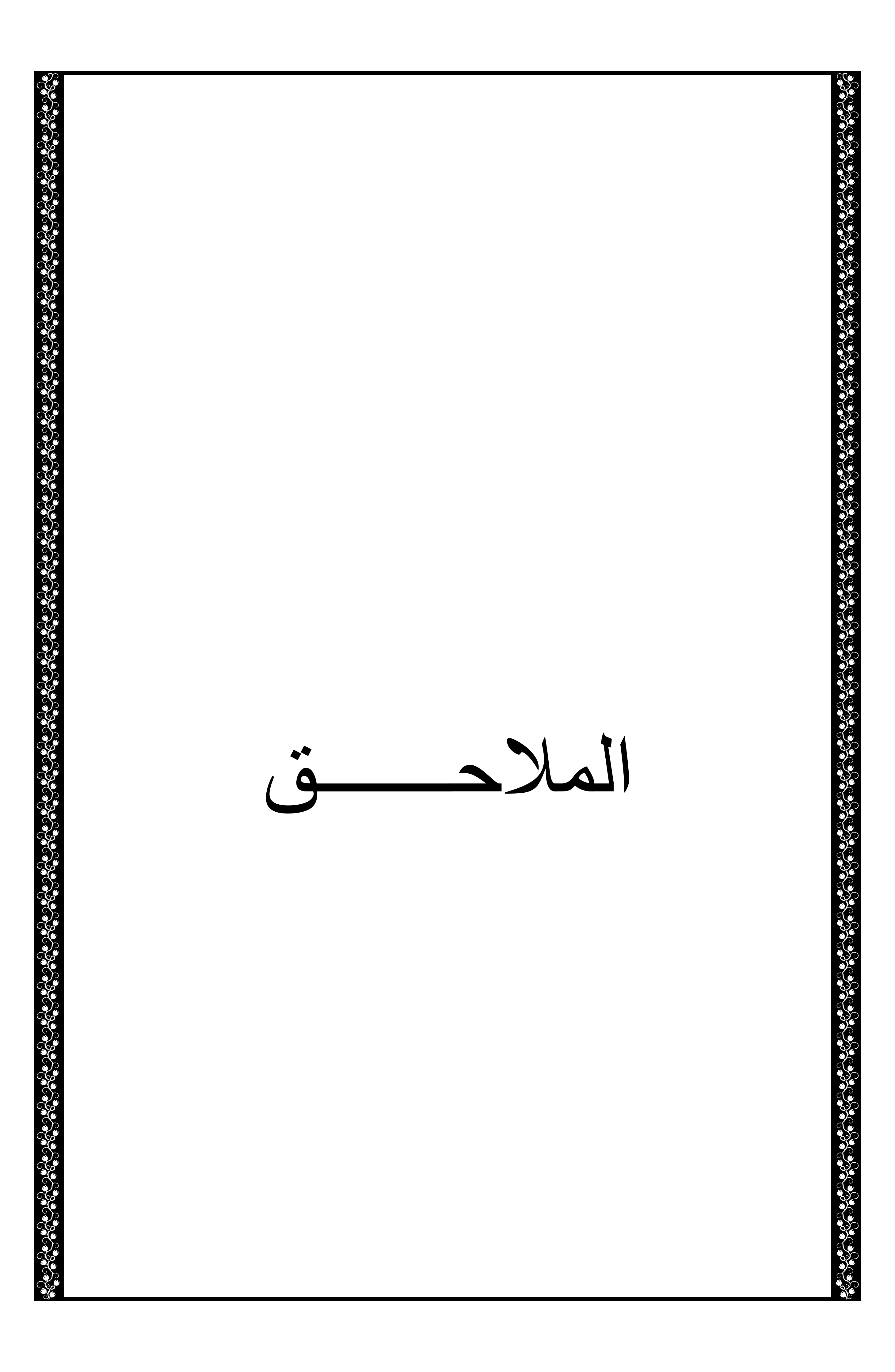
وفيما يتعلق بالاوربيين ، فان حرص ائمة اليعاربة على عدم اتاحة الفرصة لاي قوة منهم للحلول محل البرتغاليين في المنطقة ، دفع العمانيين للتعرض لبعض سفنهم التجارية والحربية ، ولكن الامر لم يصل الى حد اعلان حرب معها ، وفي الوقت ذاته حاول اليعاربة تحييد هذه القوى في صراعهم الدائم مع البرتغاليين والفرس ، الامر الذي جعلهم يحرصون كثيرا على عدم التعرض لسفن شركة الهند الشرقية الانكليزية ، ولسفن الشركة الهولندية .

حرص الانكليز على عدم التدخل في شؤون منطقة الخليج العربي الداخلية ، فانصرفوا الى نشاطهم التجاري فيها ، وان سعي الهولنديين المتواصل لتثبيت اقدامهم في جزر الهند الشرقية وفارس ، وصراعهم مع القوى الاوربية الاخرى ، جعلهم يبتعدون عن التورط في مغامرات قد تكون وخيمة العاقبة على مركزهم وتجارتهم .

ويبدو ان هذه السياسة نجحت طوال عهد اليعاربة وادى فشل الفرس في استدراج أي من هاتين القوتين لضرب عرب عمان ، الى لجوئهم الى الفرنسيين ، الذين ترددوا كثيرا في فكرة اقامة حلف عسكري معهم ضد مسقط ، لكن ما ان ضعفت الدولة اليعربية حتى وافق الفرنسيون والهولنديون والانكليز عام ١٧٢٠ على مساعدة الفرس للحصول على مكاسب وامتيازات جديدة في المنطقة .

وبالفعل تمكن نادر شاه سنة ١٧٣٧ من تحقيق الحلم الفارسي ، الذي طالما راود اسلافه، بغزو عمان باسطول فارسي ، مستغلا ضعف الدولة وتفككها ، لتبدأ معه عمان من جديد نضالا طويلا لتحرير البلاد . وكان هذا ايذانا بانهيار دولة اليعاربة ، التي حققت مكاسب كبيرة وانجازات رائعة ، ادهشت الاعداء قبل الأصدقاء .

ونجح الامام احمد بن سعيد البوسعيدي اخيرا من تحرير عمان ، وطرد الفرس نهائيا ، ليؤسس سلالة جديدة لا تزال تحكم حتى يومنا هذا .



الملاحـــــــق

ملحق رقم (١)
نص الرسالة التي بعث بها الامام سلطان بن سيف الى ملك صنعاء المتوكل ، كما اوردها السالمي في تحفة الاعيان

بسم الله الرحمن الرحيم

من امام المسلمين سلطان بن سيف مالك راس العرب اليعربي العربي العماني الى عالي ذروة الجناب المعظم الهمام المكرم اسماعيل بن القاسم القرشي العربي .

اما بعد فانا نحمد الله على آلائه وجميل صنعه وبلائه ونسترشده الى سلوك سبيل رضاه، ونستزيده من خزائن مواهبه وعطاه ، انه بيده مفاتيح كل خير وكفاية كل بؤس وضير وان سألت ايها المحب عنا ورمت كيفية الحال منا فانا بحمد الله في حال يُسر به الودود ويساء به الحسود ، ثم لتعلم ايها الملك انه قد وصل الينا في مدة ايام قد تصرمت وشهور قد تخرمت رجل من جنابكم يزعم انكم ارسلتم بيده طروساً بها درر من رائق لفظكم وخطابكم غير انه يقول ان المركب الذي اقبل فيه عابهُ الانكسار فغرق في اليم فادرك الطروس المسطرة حكم التلف ثم بيد انه قد افاه الينا من نتائج لسانه واتضح لنا من واضح نطقه وبيانه انكم علينا عاتبون ومنا واجدون لاجل قطع خدامنا في العالم الماضي مراكب رقاب المشركين على بابكم واخذهم لسفنهم الواردة لجنابكم ولعمري انا لندري ان العتاب بين الاخلاء عنوان المودة الخالصة والصفاء وزائد محض المودة الصادقة والوفاء، غير انه يجب عند اقتراف الجرائم وانتهاك المحارم فانا نحن لم نقصد الى انتهاك ذلك سبيلا ولا نجد لك على الزام فعل ذلك دليلا، اذ كنا لم نجهز مراكبنا ونتخذ مخالبنا ليساره رعيتك ولا استباحة دم اهل حكمك وقضيتك ، ولكن جهزنا الجيوش والعساكر ، واعددنا اللهاذم والبواتر لتدمير عبدة الاوثان واعداء الملك الديان ، تعرضا منا لرضاء رب العالمين ، واحياء لسنة نبيه الامين ورغبة في ادراك اجر الصابرين المجاهدين وحاشا لمثلك ان يغضب لقتال عبدة الاصنام واعداء الله والاسلام ، الست من سلالة علي بن ابي طالب الساقي للمشركين وبى المشارب ، انت تدري ما جرى بيننا واياهم من قبل في سواحل عمان وفي سائر الاماكن البلدان من سفك الدماء وكثرة الصيال وتناهب الاملاك والاموال ، وانا لناخذهم في كل موضع تحل به مراكبهم وتغشاه حتى من كنج وجيرون وبندري الشاه ولم يظهر لنا من اجل عتابا ولا نكيرا ،وان كنت في شك من ذلك فاسئل به خبيراً اولا نذكرك ايها الملك والذكرى تنفع المؤمنين، وانا لك من المنذرين وعليك من المحذرين ، انا بما ملكنا تلك الايام بلدة ظفار وهي عنا نازحة الفيافي والقفار لم نر في ملكها صلاحا لشيء

اوجبه منا النظر ، وحاكته الاذهان والفكر ، فتركناها لا من خوف قوة قاهرة ولا كلمة علينا ظاهرة ولا يد غالبة ولا كف سالبة، وحينما خرج منها عاملنا خلّف بها شيئا من مدافع المسلمين لغفلة جرت عن حملها في ذلك الحين، ولما ملكتم انتم زمام عيسها واجتليتم ضوء بدرها وشمسها، لم تدفعوا لنا تلك المدافع كان لم يكن وراءها ذائد ولا دافع ، فاعلم ايها الملك ان البعل غيور والليث هصور والحر على غير الاهانة صبور ومن انذر فقد أعذر وما غدر من حذّر، على انا في اصلاح ذات بيننا وبينكم راغبون طالبون وفي استبقاء صحبتك راغبون ، ولاطفاء الفتن واخماد المحن بيننا واياك مؤثرون فان كنت راغباً في الذي رغبنا وطالبنا لما له طلبنا فادفع لنا اياها ولا تحتس بسرعة الاعتداء حمياها ، وان ابيت الا الميل الى اغتنامها والجزم على خبط ظلامها ففي الاستعانة بالله على من اعتدى سعة، ومن كان مع الله كان الله معه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[٦١٥] .

---

[٦١٥] السالمي ، تحفة الاعيان ، ج٢ ، ص٥٧-٥٩ .

ملحق (٢)

نص جواب ملك صنعاء الامام المتوكل الى الامام سلطان بن سيف

بسم الله الرحمن الرحيم

من شمس سماء الخلافة العلية ومضرب سرادقات الشريعة المحمدية الى قاصية ارض الملك المالك سلطان بن سيف بن مالك اليعربي العربي العماني اراه الله نهج الهداية وجنبه مسلك الضلال والغواية .

اما بعد : حمد الله والصلاة والسلام على نبيه الامين ، وعلى وصيه الاترع البطين ، الحاصد سيفه رؤوس المارقين ، وقد وصل كتابك الذي شحنته بالابراق والارعاد وعدلت به من تحسين العتاب الى تخشين الخطاب ظنا منك ان هذيان وعيدك وطنين ذباب تهديدك ، يزعزع من باسنا صخرة صماء ، او يحرك من وقارنا جبلا اشما فكيف يكون ذلك .

واسيافنا في كل شرق ومغرب   *بها من قراع الدارعين فلول*

اين ذهب حجاؤك حتى طلبت منا المدافع بهذه الاراجيف والبقاقع :

وانما تقطع اعناق الرجال المطامع

اما علمت ان اللبث اذا هيّج على فريسة كان اشد اقداما واعظم جرأة واعتزاماً ولا جرم انها لما نأت بنا وبك الديار وحالت دوننا ودونك الامصار ، فاسترسلت لفظك فجاوزت في سوء المقدار حدك ، وانفردت بارضك – فطلبت الطعن والنزال وحدك .

يا سالكا بين الصوارم والقنا   *اني اشم عليك رائحة الدم*

فاقطع عرى امالك عن هذه المدافع فهي اول غنيمة ان شاء الله من قطرك الشاسع وقد دعوتنا على النزول على حكم الضباء والاسل .

فالبث قليلا يلحق الهيجا حمل

ونحن من القوم الذين سقوا قومك يوم النهروان كؤوس الحتوف وانتم اتباع من سقى فما بدأ به اوائلنا في سلفكم ختمنا به من بقي والسلام[٦١٦] .

---

[٦١٦] السالمي ، تحفة الاعيان ، ج٢ ، ص٥٩-٦١ .

ملحق رقم (٣)

بنود المعاهدة التي وقعت بين فيليب وايلد ممثل شركة الهند الشرقية الانكليزية في سورات وبين الامام ناصر بن مرشد اليعربي في شباط ١٦٤٦ في صحار :

١- طالما انه تم منحنا الترخيص بمزاولة التجارة الحرة في ظل هيمنة هذه (المملكة) ويقصد عمان، ودون منعنا من جلب او شراء او تصدير أي سلعة خارج المملكة فانه لا توجد حدود تقتصر عليها بنود هذه الاتفاقية تمنعنا من التعامل معها باية عملة ، ونقلها الى اية جهة نختارها .

٢- في حالة تعرض بضائعنا لاي حادث سرقة ، فان عمان مسؤولة عن تعويضنا بالاضرار.

٣- عدم قيامنا بدفع أية رسوم لاي نوع من السلع أو البضائع تُجلب او تُستورد من خارج المملكة.

٤- ان لا يحتكر أي شخص او يضارب لمصلحة الشخصية ، باي نوع من السلع التجارية ، الا ان للتجار حق شراء السلع بالنسب التي يتفقون عليها فيما بينهم .

٥- اننا مرخصون بمزاولة طقوسنا الدينية الخاصة .

٦- في حالة نشوب شجار او اعمال عدائية بين أي انكليزي واي شخص من سكنة هذا البلد من المسلمين ، تقوم سلطة المكان الحاكمة بالفصل بين رعاياه المسلمين ويتولى المسؤول الانكليزي محاكمة الشخص الانكليزي الذي يقع عليه التقصير .

٧- إنّ أي رجل انكليزي مسوح له بارتداء الملابس الخاصة بالزي العسكري .

٨- لا يسمح لاي مسيحي في أي مكان من هذه المملكة ، بمزاولة أي نشاط تجاري الا بعد حصوله على ما يجيز له ذلك[٦١٧] .

---

[1]Ian Skeet , Muscat and Oman , P. 211-212 .

ملحق رقم (٤)
نص رسالة الامام سلطان بن سيف الى مدير الوكالة الهولندية في بندر عباس هندريك فان ويك عام ١٦٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

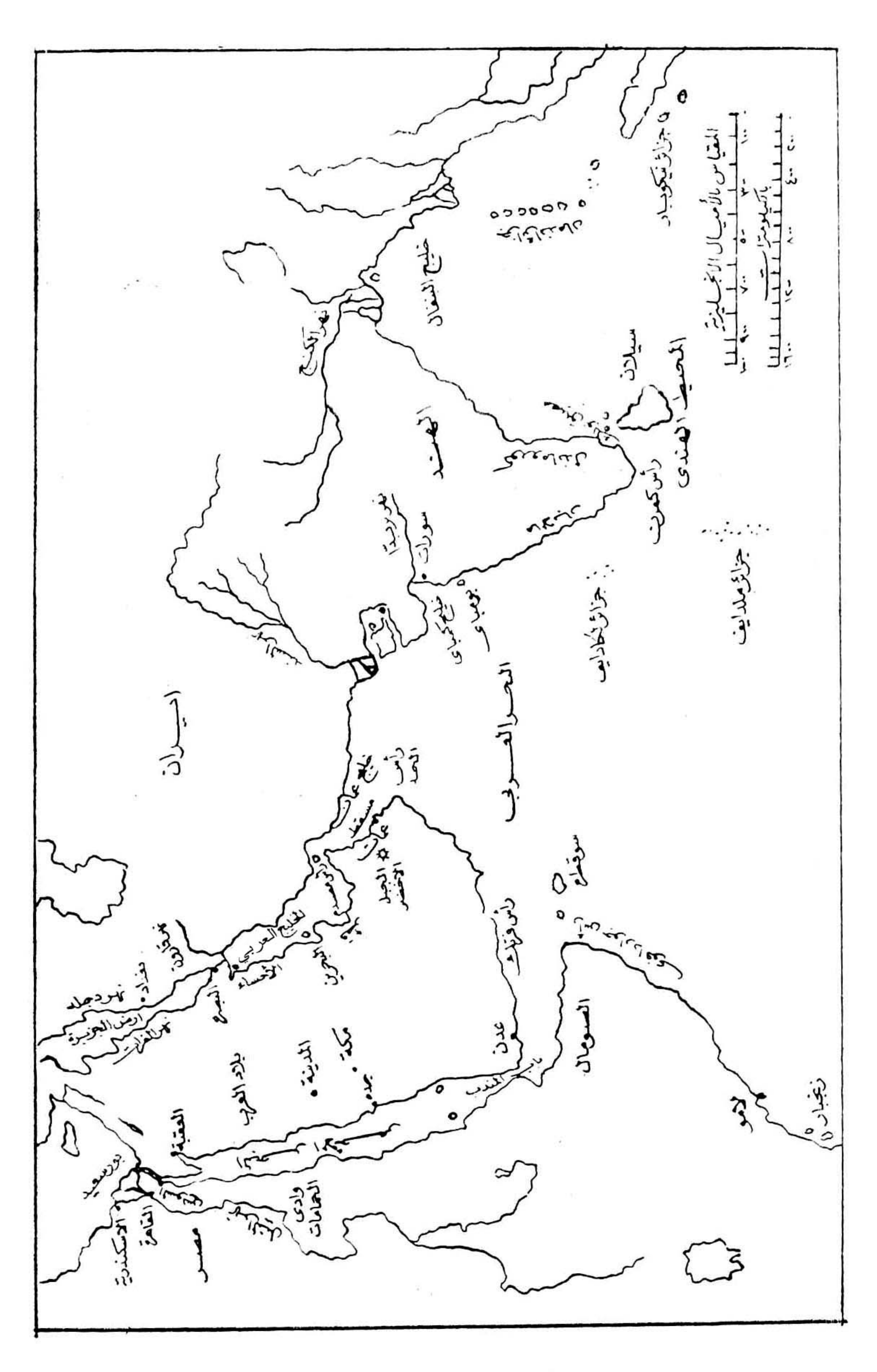
هذه الرسالة موجهة من سلطان بن سيف امام المسلمين ، ابن متوبا ، ابن (ابو العرب) ابن السلطان اعزه الله ونصره الى السيد هندريك فان ويك .. وصلتنا رسالتك ، التي نعتبرها جوهرة لاهميتها ان رسالتك تلك ملأى بالتفهم ومفعمة بالتعبيرات اللائقة ومحلاة بعبارات الود والنبل واللطف والادب . وهي مصقولة ومضيئة انارتنا كما ينير القمر الارض ، وهي مؤثرة وفعالة تدخل السرور الى اكثر النفوس حزنا لانها جاءت من طرف اقرب الاشخاص الى قلوبنا، الذي يتصف باللياقة والرحمة والكرم والقوة والكرامة والفصاحة وغيرها من الصفات ، حفظه الله العليّ.

لقد جاءنا مبعوثك معربا عن رغبتك بارسال شخص باذن الله ، التي مدينتنا التجارية مسقط ، على ان يستخدم لهذا المشروع بعض البواخر والمراكب لنقل البضائع منها واليها لغرض التجارة ، وانه سيحضر الينا بعض الاشخاص من قبلكم للاقامة في مدينتنا التجارية للقيام بكل ما يلزمك من خدمات ، ونحن اذ نجيب على طلبك هذا ، نود ان نؤكد بان مدينتنا التجارية هي مدينتكم التجارية ، وان مشاعر الصداقة والتحالف سوف تكون متبادلة بيننا ، وانه سوف يعمل بكل التفاصيل المتفق عليها ، واننا في غاية السرور ، يا اعز اصدقائنا ، لقدومكم الكريم ، ولا تخش من حدوث ما يخالف ارادتنا ، ونحن نعد ، من طرفنا ، ان لا يصدر عنا سوى الصدق والاخلاص في مختلف الظروف وسوف نقوم بكل ما يخدم مصالحنا وازدهارنا المتبادلين ، وسوف نعمل مسرورين على انشاء مقر لكم في مدينتنا التجارية آملين ان تقضوا اوقاتا ملؤها السعادة والهناء فصحبتكم تسعدنا وسوف نقدم لكم كل ما تحتاجون اليه وهذه هي رغبتنا [٦١٨].

---

[٦١٨] سلوت ، عرب الخليج ، ص١٧٩-١٨٠ .

ملحق رقم (٥)



المحيط الهندي
البحر العربي
الخليج العربي
الصومال
عدن
مكة
المدينة
مصر
القاهرة
الإسكندرية
بغداد
سيلان
الهند
إيران
سوقطرة
رأس كمرين

ملحق رقم (٦)



سلطنة مسقط
وامامة عمان
ايران
الخليج العربي
خليج عمان
بندر عباس
جزيرة قشم
الشارقة
دبا
الفجيرة
شناص
صحار
سويق
مسقط
الرستاق
جبل الاخضر
الظاهرة
ازكي
عبري
نهود
الشرقية
صور
راس الحد
الأشخرة
جعلان
ابوظبي
البريمي
الربع الخالي
ظفار
البحر العربي
كوريا موريا
حضرموت
طاقة
مربط
صلالة

قائمة المصادر والمراجع

اولاً - الوثائق الانكليزية المنشورة

1- A chronicle of Carmelites in Persia and the Papal Mission of the XVII and XVIII Centuries , Vol. 1 , London , 1939 .
2- Bruce , John , Annals of the Honorable East India Company , London , 1810, Vol. 1,2,3 .
3- Penelope Tuson , Record of the Emirates , primary Documents 1820-1958, Vol. 1, 1820-1835, oxford , 1990 .
4- Record of Oman 1867-1947 , ed. : by: R. W. Bailey CMG, Vol. VI, Foreign relations London , 1988.
5- Selection from state papers Bombay , the East – India Company's Connection with the …….. Gulf with A Summary of Events 1600-1800, Calcutta, 1908 .

ثانياً – المصـــادر :

١-ابن قيصر ، عبد الله بن خلفان ، سيرة الامام ناصر بن مرشد ، تحقيق : عبد المجيد القيسي ، عمان ، ١٩٧٧ .
٢-الازكوي ، سرحان بن سعيد ، كشف الغمة الجامع لاخبار الامة ، تحقيق : عبد المجيد القيسي ، الطبعة الثانية ، سلطنة عمان ، ١٩٨٦ .
٣-ابن رزيق ، حميد ، الفتح المبين في سيرة السادة البو سعيديين تحقيق : عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبد الله ، سلطنة عمان ، ١٩٧٧ .
٤-ابن زريق ،الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، سلطنة عمان ، ١٩٨٤ .
٥-السالمي ، نور الدين ، تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان ، ج٢ ، الطبعة الخامسة ، الكويت، ١٩٧٤ .
٦-المعولي ، ابو سليمان ، قصص واخبار جرت في عمان ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، الطبعة الثانية ، سلطنة عمان ، ١٩٨٣ .

ثالثاً - المراجع العربية :-

١- امين، عبد الامير محمد ، المصالح البريطانية في الخليج العربي ، ١٧٤٧-١٧٧٨ تعريب: هاشم كاطع ، مراجعة مكي حبيب ، بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٧٧ .

٢- ابراهيم، عبد العزيز عبد الغني ، علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، دراسة وثائقية، الرياض، ١٩٨٢ .

٣- ابو حاكمة، احمد مصطفى ، تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة ، القاهرة، ١٩٦٧ .

٤- البصير، عبد الرزاق، الخليج العربي والحضارة المعاصرة ،الكويت ، كلية التجارة، ١٩٨٦ .

٥- بانيكار ، ك.م. اسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة : احمد خاكي ، القاهرة ، دار المعارف ،١٩٦٢ .

٦- الحداد ، محمد يحيي ، تاريخ اليمن السياسي ، القاهرة ، دار عالم الكتاب ، ١٩٧٦ .

٧- حنظل، فالح، المفصل في تاريخ الامارات العربية المتحدة ، ج١ ، ابو ظبي ، ١٩٨٣ .

٨- ______، الشحوح وتاريخ منطقة رؤوس الجبال في الخليج العربي، ط١، راس الخيمة ، ١٩٨٧ .

٩- حراز ، رجب ، افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي ،القاهرة ، دار النهضة ١٩٦٨ .

١٠- الخصوصي ، بدر الدين ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ،ج١ ، الكويت الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ .

١١- الخطيب، مصطفى عقيل، فترة التنافس الدولي في منطقة الخليج العربي١٦٢٢-١٧٦٣، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨١.

١٢- الداوود ، محمود علي ، محاضرات عن تاريخ الخليج العربي والعلاقات الدولية ، ١٨٩٠-١٩١٤، القاهرة ١٩٦٠-١٩٦١ .

١٣- درويش، مديحة، سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ط١، جدة، ١٩٨٢.

١٤- الروضان، عبد عون، موسوعة القبائل العربية، انسابها وقائعها مأثرها شعراءها، ج١ ، عمّان ، ٢٠٠٠ .

١٥- الربيعي ، هيفاء ، غزاة في الخليج ، الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية دراسة تاريخية ، بغداد ، دار الكتب ، ١٩٨٩ .

١٦- الزرقا ، محمد علي ، عمان قديما وحديثا ، سلسلة كتب سياسية ، الكتاب الخامس بعد المائة، دمشق ، ج١ ، ١٩٥٩ .

١٧- سلوت ، ب.ج. عرب الخليج ١٦٢٢ -١٧٥٦ في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية ، تر : عايدة خوري ، ط١ ، ابو ظبي ، ١٩٩٣ .

١٨- سليمان، علي حيدر، تاريخ الحضارة الاوربية الحديثة، الطبعة الاولى، بغداد ، ١٩٩٠ .

١٩- السيار، عائشة، دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقيا(١٦٢٤-١٧٤١) ، وبيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٤ .

٢٠- سليمان ، احمد السعيد ، تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ .

٢١- الشماخي، عبد الله بن عبد الوهاب ، اليمن الانسان والحضارة ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٨٥ .

٢٢- شرف الدين ، احمد حسين ، اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن العشرين دراسة جغرافية سياسية تاريخية شاملة ، ط٢ ، اليمن ، ١٩٦٤ .

٢٣- الصيرفي ، نوال حمزة ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، الرياض ، ١٩٨٣ .

٢٤- العابد ، صالح ، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧-١٨٢٠ ، بغداد ، ١٩٧٦ .

٢٥- ______ ، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ، ١٧٩٨-١٨١٠ ، بغداد ، ١٩٧٨ .

٢٦- العاني، عبد الرحمن عبد الكريم، عُمان في العصور الاسلامية الاولى ودور اهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الاسلامية، بيروت،ط١،٢٠٠١.

٢٧- عامر ، عبد المنعم ، عمان في امجادها البحرية ، سلسلة تراثنا ، العدد ، ٨ ، عمان ١٩٨٠ .

٢٨- عمان في التاريخ، وزارة الاعلام ، سلطنة عمان ، لندن ، دار اميل للنشر ، ١٩٩٥ .

٢٩- عمان وتاريخها البحري ، وزارة الاعلام ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠ .

٣٠- عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، تاريخ اهل عمان ، القاهرة ١٩٨٠ .

٣١- العيدروس ، محمد حسن ، دولة الامارات العربية المتحدة من الاستعمار الى الاستقلال، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٩ .

٣٢- عبد الله، محمد مرسي، امارات الساحل العماني والدولة السعودية الاولى(١٧٩٣-١٨١٨)، ج١ ، القاهرة، ١٩٧٨.

٣٣- عبد الله، محمد مرسي، دولة الامارات العربية المتحدة وجيرانها، ط١، الكويت ١٩٨١.

٣٤- عثمان، شوقي عبد القوى، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية، الكويت، ١٩٩٠ .

٣٥- غباش، حسين، عمان الديمقراطية الاسلامية ، تر : انطوان حمصي ، ط١، بيروت، دار الجديد، ١٩٩٧ .

٣٦- فوزي، فاروق عمر، الخليج العربي ، في العصور الإسلامية الوسطى ، الطبعة الثانية، بغداد ، ١٩٨٥ .

٣٧- فريد ، محمد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٧ .

٣٨- قلعجي ، قدري ، الخليج العربي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٥ .

٣٩- قاسم ،جمال زكريا ، الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧-١٨٤٠ ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

٤٠- ______، دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا (١٧٤١-١٨٦١) ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة،١٩٦٧ .

٤١- لوريمر ، ج.ج. ، دليل الخليج العربي ، القسم الجغرافي ،ج١ ، ترجمة : مكتب الترجمة ديوان امير قطر ، الدوحة .

٤٢- _______، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج٢ .

٤٣- لوثرب ، ستيوارد ، حاضر العالم الاسلامي ، ج٢ ، نقلة للعربية : عجاج نويهص ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٤٣هـ .

٤٤- لانجر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج٤ ، اشرف على الترجمة : محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣ .

٤٥- لاندن ، روبرت جيران ، عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا ، ترجمة : محمد امين عبد الله ، ١٩٧٠ .

٤٦- مايلز ، س .ب. الخليج بلدانه وقبائله ،ترجمة : محمد امين عبد الله ، عمان ،١٩٨٠ .

٤٧- المعمري، احمد حمود ، عمان وشرق افريقيا ، ترجمة : محمد امين عبد الله ، وزارة التراث القومي والثقافة ، عمان ، ١٩٧٩ .

٤٨- من تاريخ الخليج العربي، سلسلة ثقافية تشرف على اصدارها الكلية العسكرية، بغداد، ١٩٧٢ .

٤٩- النبراوي ، فتحية ومحمد نصر مهنا ، الخليج العربي دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية ، الاسكندرية ، منشاة المعارف ، بلا تاريخ .

٥٠- ويلسون ، ارنولد ، تاريخ الخليج ، ترجمة : محمد امين عبد الله ، الطبعة الثالثة ، سلطنة عمان ، ١٩٨٨ .

رابعاً - الرسائل الجامعية :-

١- نايف الاحبابي ، الموقف العربي والاقليمي من الهيمنة البرتغالية في الخليج العربي ١٥٠٧-١٦٥٠ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٨٨ .

٢- دينا الادهمي ، الاوضاع السياسية في الخليج العربي في ظل التسلط البرتغالي ١٥١٥-١٦٥٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢ .

٣- عفراء عطا الله الريس ، بنو ياس ودورهم في ظهور امارة ابو ظبي ١٧٦١-١٩١٤ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩ .

٤- غانم رميض العجيلي ، قيام حكم سلالة اليعاربة وانهياره في عمان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٧ .

٥- نادية العبودي ، السياسة الفارسية تجاه القبائل العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي في القرن الثامن عشر ، رسالة ماجستير ، كلية التربية – جامعة بغداد ، ٢٠٠٠.

٦- محمود عبد الواحد القيسي ، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية في الهند ١٦٠٠-١٦٦٨ ، رسالة ماجستير ،كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٣ .

خامساً - المراجع الإنكليزية :-

1- A Alvin , Jcottvell , the …. Gulf States , London , 1980 .

2- Allen , Calvin , H., Oman the Motorization of the Soltanate , London , 1987 .

3- Bathurst , the Ya'rubi Dyasty in Oman, ph. thesis , oxford university , 1967 .

4- _________ , Maritim Trade of Imamate of Oman , London , 1972.

5- Badger George percy , History of the imams and Seyyis of Oman by: Salil – Ibn-Razik , from A. D. 661-1856 , Translated from the Original Arabic , and

ed: with notes , App endices and an Introduction Continuing the History down to 1870, London , 1871 .

6- Coupled , East Africa and Its Invaders From the Earliest time to the Death of Seyyied Said in 1850, Oxford , 1938 .

7- Clements , Fa , Oman the Reborn Land , London , 1980 .

8- Danvers , Fredrick, the Portuguese in India Being A history of the Rise and Decline of their Eastern Empire Vol. 2 , London , 1894 .

9- Gray , Richard , the Cambridge History of Africa , Vol. 4 , from 1600-1700 , London , 1975 .

10- Garret , G. T. , Indo–British civilization the Legacy of India , Oxford , 3rd ed., 1957.

11- Huart , L. C. Histoire des Arabes , Tome : II, Paris , 1913 .

12- Hawley , Donald , the Trucial States , London , 1969 .

13- Hamilton Alexander , A New Account of East Indies , Vol. 1 , London , 1827.

14- Kaylani , Nabil , politics and Religion in Oman Middle East Studies , London , 1979 .

15- Laurance Lackhart , the Fall of Safavi Dynasty and the Afghan Occupation of persia , London , 1958.

16-__________, Nadir Shah , Acritical Study Based Mainly upon Contemporary Sources , London , 1938.

17- Miles , S. B. the Countries and Tribes of the ……. Gulf , Vol. 2 London , 1919.

18- Marsh, Zoe , and G. W. Kingsnorth, A History of East Africa and Introductory Surrey , London , Cambridge university , 1972 .

19- Marlow , J., the …. Gulf in the Twentieth Century', Oxford , 1963 .

20- Palgrave, Wiliam, Narrative of A years' Journey through Central and , Eastern Arabia, London , 1865.

21- Phillips , Wendell, Oman A History , London , 1967.

22- Sykes Sir Percy , A History of Persia , Vol. 2 , London , 1962 .

23- Searle , Pauline , Down Over Oman , London , 1979 .

24- Skeet , Ian . Mustcat and Oman , The end of an Era-London , 1974 .

25- Serjeant , R. B. , Portuguese of South Arabian Coast Hadrami chronicles with Yamani and Europeans account of Dutch pirates of Mocha in the Seventeenth Century, oxford , 1963.

26- Townsend, John, Oman the Making of Modern State , London , 1977 .

27-Wellested , Lieut., J. R. Travels in Arabia , Vol. 1 , Oman and Nakab. E1 Hajar , London , 1837 .

سادساً - البحوث والمقالات :

١- احمد ، لبيد ابراهيم ، المصادر التاريخية لتجارة الخليج العربي خلال العصور الوسطى الاسلامية ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٢ ، ١٩٨٠ .

٢- ابا حسين ، علي ، تعليق على بحث "فترة التنافس الادربي بين عامي ١٦٥٠-١٨٠٠" ، مجلة الوثيقة ، العدد ٣٤ ، لسنة ١٧ ، ١٩٩٨ .

٣- ابا حسين، علي ، الجبور عربان الشرق ، مجلة الوثيقة ، العدد ٣ ، يوليو ١٩٨٣ .

٤- بحيري، مروان ، التغيرات في المفاهيم الاستعمارية الفرنسية ١٧٨٩-١٨٣٠ من العالم الجديد الى مصر والجزائر ، مجلة شؤون عربية ، العدد ١٢ ، ١٩٨٢ .

٥- بوكسر، س ، ملاحظات جديدة عن الصلات بين العمانيين والبرتغاليين ١٦١٣-١٦٣٣، ندوة الدراسات العمانية ، المجلد السادس ، سلطنة عمان ، ١٩٨١ .

٦- بكنجهام، س ، بعض الملاحظات عن البرتغاليين في عمان ، ندوة الدراسات العمانية ، المجلد السادس ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠ .

٧- التدمري ، احمد جلال ، الصراع الدولي على الخليج العربي قراءة ارشيفية في الوثائق الهولندية المكتشفة حديثا ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٣٤ ، السنة ١٣ ، ١٩٨٧ .

٨- الحلو ، صادق ياسين ، الغزو البرتغالي للخليج العربي من خلال المصادر الفرنسية ، أبحاث ندوة راس الخيمة التاريخية ، ج١ ، الامارات العربية المتحدة ، ١٩٨٧ .

٩- الحجري، عامر حمود ، تاريخ العلاقات العمانية – الافريقية ، البحوث المقدمة الى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ، لجنة تدوين تاريخ قطر ، ج٢ ، الدوحة، ١٩٧٦ .

١٠- الحميدان ، عبد اللطيف ناصر ، التاريخ السياسي لامارة الجبور في نجد والجزيرة العربية ٨٢٠-٩٣١هـ/١٤١٧-١٥٢٥م ، مجلة كلية الاداب - جامعة البصرة - العدد ١٦ ، ١٩٨٠ .
١١- الحميدان، عبد اللطيف ناصر ، نفوذ الجبور في شرق الجزيرة العربية بعد زوال نفوذهم السياسي، مجلة كلية الاداب - جامعة البصرة ، العدد١٧ ، ١٩٨١ .
١٢- الحخاني، حبيب ، دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الاسلامي الاول ، ندوة الدراسات العمانية ، المجلد الثالث ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠ .
١٣- الحمداني، طارق نافع، القوى الرئيسة في الخليج العربي مطلع القرن السابع عشر ، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ، العدد ١٣ ، ١٩٨٤ .
١٤- الداوود، محمود علي ، العلاقات البرتغالية في الخليج العربي ، مجلة كلية الاداب - جامعة بغداد ، العدد ١ ، ١٩٦٠ .
١٥- رمضاني، روح الله ، سياسة ايران الخارجية ١٥٠٠-١٩١٤ ، مجلة دراسات الخليج العربي، الجزيرة العربية ، مراجعة ، مراجعة : عدنان البكري ، العدد ١٦ ، السنة ٤ ، ١٩٧٨ .
١٦- سلوت ، ب . ج ، الهولنديون في الخليج العربي ينتقلون مكاتبهم حيث توجد الارباح ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٠ ، السنة ٥ ، البحرين ، ١٩٨٧ .
١٧- سارجنت ، أ.ر ، النشاط الملاحي العماني على الساحل العربي الجنوبي، ندوة الدراسات العمانية ، المجلد السادس ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠ .
١٨- عثمان ، عبد الرزاق علي ، البرتغاليون في شرق افريقيا وطردهم منها ، مجلة الوثيقة، العدد ١٤ ، السنة ٧ ، البحرين ، ١٩٨٩ .
١٩- العزاوي ، محمد عبد الله ، التحالفات الفارسية - الاوربية ضد عرب الخليج ١٦٩٥-١٧٢٢ مجلة الخليج العربي ، العدد ١ ، المجلد ١٩ ، ١٩٨٧ .
٢٠- العابد ، صالح ، تحرير ساحل عمان من الهيمنة البرتغالية ،مجلة افاق ، بغداد ، ١٩٨٥ .

٢١- العابد ،صالح ، موقف عمان من الصراع البريطاني – الفرنسي في الخليج العربي و المحيط الهندي حتى عام ١٨١٠ ، مقالة محاضرات المعهد الدبلوماسي العماني – الدورة التاسعة ،سلطنة عمان ، وزارة الخارجية ، ١٩٩٤ .

٢٢- العابد ، صالح ، الصراع البحري العماني – البرتغالي في الخليج العربي وغرب المحيط الهندي في النصف الثاني من السابع عشر ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ٥٢ ، ٢٠٠١ .

٢٣- العابد ، صالح ، تحرير سواحل عمان من الهيمنة البرتغالية ١٦٣٢-١٦٥٠ ، مقالة محاضرات المعهد الدبلوماسي العماني – الدورة التاسعة ، سلطنة عمان ، وزارة الخارجية ، ١٩٩٤ .

٢٤- العابد ، صالح ، صفحة من تاريخ تصدي القواسم للتحدي البريطاني في الخليج العربي الحملة البريطانية على ساحل عمان ١٨٠٩-١٨١٠ ، ندوة حركة الجهاد البحري ، منشورات المجمع العلمي بغداد ، دائرة العلوم الإنسانية ، ٢٠٠٢ .

٢٥- العجيلي ، غانم رميض ، الزعامات القبيلية في منطقة الخليج العربي وعلاقاتها مع قوى منطقة عمان وفارس منذ مطلع القرن السادس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر، مجلة دراسات في التاريخ والاثار ، العدد ٩ ، السنة ٢١ ، ٢٠٠٢ .

٢٦- العجيلي، غانم رميض ، معركة تحرير مسقط ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٢ ، السنة ٦، البحرين ، ١٩٨٨ .

٢٧- العجيلي ، غانم رميض ، الصراع البحري العماني – البرتغالي في البحار الشرقية ١٦٥٠ -١٧٢٠ ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٣ ، السنة ٧ ، البحرين ، ١٩٨٨ .

٢٨- عوض ، عبد العزيز محمد ، الاحتلال البرتغالي لموانئ الجزيرة العربية ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٩ ، لسنة ١٢ ، ١٩٨٦ .

٢٩- العقاد ، صلاح ، دور العرب والفرس في مكافحة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي ، ندوة الدراسات العمانية ، المجلد الرابع ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠ .

٣٠- غنيمي ، رأفت ، دور عمان في بناء حضارة شرق افريقيا ، ندوة الدراسات العمانية ، الملجد الثالث ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠ .

٣١- غنام ، علي ، احلال النفوذ الأجنبي في الخليج العربي ودور الأسرة الصفوية ، الحلقة الرابعة ، مجلة الخليج العربي ، العدد ١ ، السنة ١٦ ، ١٩٨٨ .

٣٢- قاسم ، جمال زكريا ، عمان في شرق افريقيا (الدولة العمانية في شرق أفريقيا) ، ندوة الدراسات العمانية ، المجلد الثالث ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠ .

٣٣- قاسم ، جمال زكريا ، الاصول التاريخية لقضية عمان ، المجلة التاريخية المصرية، م١٢ ، القاهرة ، الجمعية التاريخية المصرية ، ١٩٦٤-١٩٦٥ .

٣٤- لوكهارت ، لورنس ، التهديد العماني ونتائجه اواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر ، ترجمة : علاء الدين احمد ، مجلة الخليج العربي ، العدد ١٠ ، ١٩٧٨ .

٣٥- ماضي ، محمد عبد الله ، دولة اليمن الزبدية نشأتها تطورها علاقاتها ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد ١ ، المجلد٣ ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

٣٦- محمود ، حسن احمد ، التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٢ ، ١٩٨٠ .

٣٧- نعيسة ، يوسف ، البحرية العمانية ، الخليج العربي دراسات تاريخية وجغرافية منذ اقدم العصور حتى الوقت الراهن ، الدراسة السابعة ، الطبعة الاولى ، دمشق ، ١٩٩٣.

٣٨- واني ، صادق عبد ، الدولة العمانية نشأتها وازدهارها ، ندوة الدراسات العمانية ، المجلد الثاني ، سلطنة عمان ، ١٩٨١ .

The Foreign Relations of the Ya'rubi Dynasty in Oman 1624-1747

A thesis submitted by
Nagham Talib Abdulah Al-Ne'ami

To the College of art University of Baghdad
In partial Fulfillment of requirement for the Master Degree
in Modern History .

Supervised by :
Prof. Dr. Saleh Mohammed Al-Abid

Rabi'Al Awal 1426 April 2005

Abstract

This thesis investigates and traces the foreign relations of Ya'arubi Dynasty beginning with its establishment in 1624 AD up to its fall in 1747 . The thesis falls into four chapters . Chapter one offers a brief survey of the history of Oman till the rise of the Imamite Dynasty in 1624 when Imam Nassir Bin Murshid was elected . Then the discussion tackles the latter's role in unifying Oman which was plighted with internal disputes . Next comes the analysis of his initiatives in the resistance against the Portuguese occupation of certain Omanian coastal areas . This resistance enable Bin Murshid to liberate all occupied ports , excluding Maskat which was liberated by his heir Sultan bin Saif in 1650 .

Chapter two deals with the relationship between the Ya'arubis and the Portuguese including the sea battles that broke out between them in West India and East Africa which greatly weakened the influence of the Portuguese in the Orient .

Chapter three discusses the relations between the Ya'arubis and the other regional forces , such as the tribes of Al-Jubur , Al-Al-Qawasim and Bani Yas . It also investigate their relations with Persia and Yemen .

As for chapter four , it has been dedicated to the foreign relations of the Ya'arubis with other European nations , especially those who achieved some presence in the Arabian Gulf such as the British , the Dutch and French .

The thesis is rounded off with a final section with offers the most important conclusions arrived at .